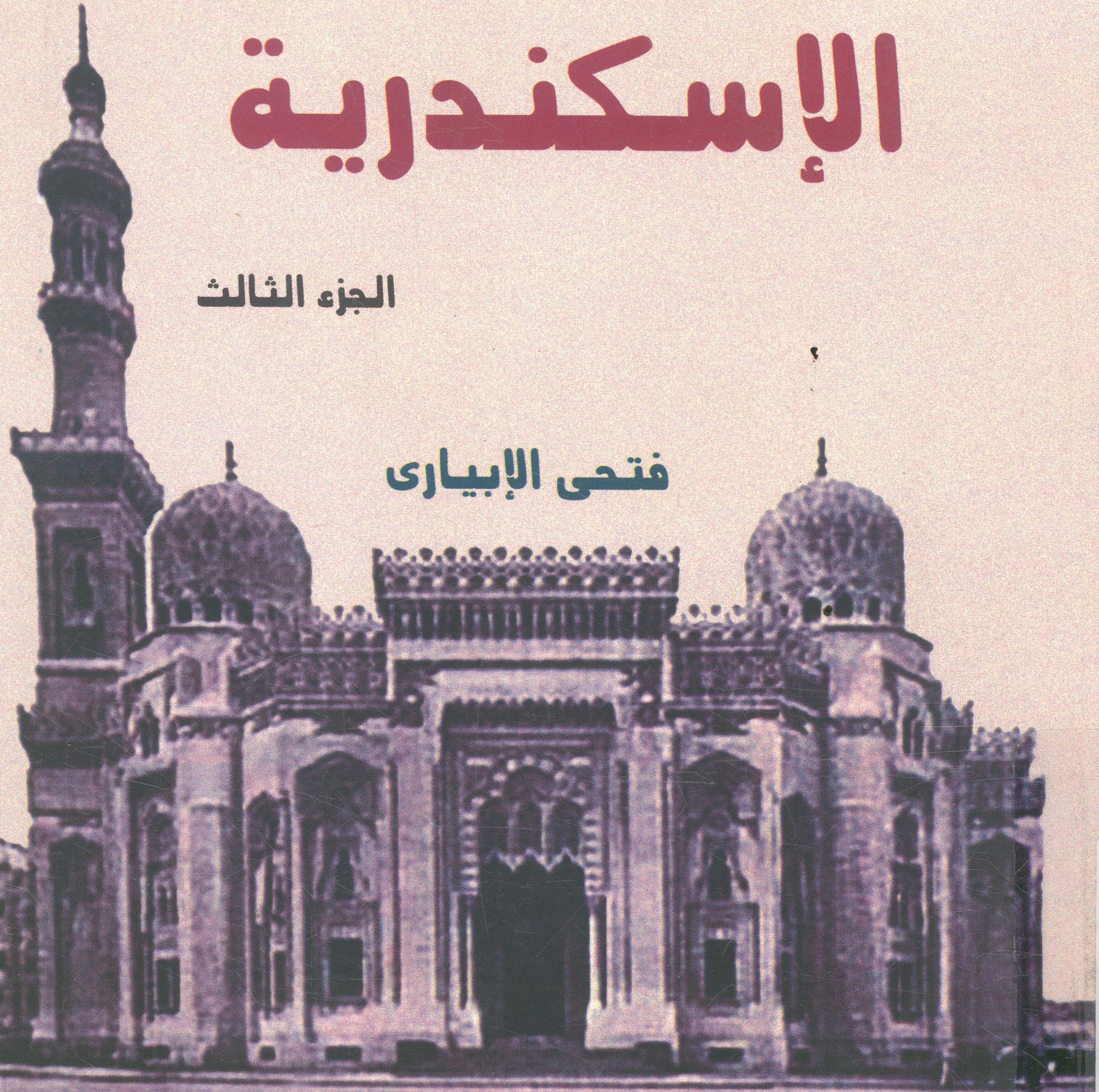
المجلس
الأعلى
للثقافة

منارة الثقافة

الإسكندرية

الجزء الثالث

فتحى الإبيارى



المجلس الأعلى للثقافة

منارة الثقافة

الإسكندرية

بانوراما معلوماتية للتاريخ والمكان والشخصيات والأحداث والمواقف
بمناسبة الاحتفال بمدينة الإسكندرية
عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠٠٨

(الجزء الثالث)

فتحى الإبيارى



٢٠٠٨

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الإبيارى ، فتحى
منارة الثقافة الإسكندرية ، تأليف : فتحى الإبيارى
القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٨
٢٤٨ ص ؛ مج ٣ ؛ ٢٤ سم .
(بانوراما معلوماتية للتاريخ والمكان والشخصيات والأحداث والمواقف بمناسبة الاحتفال بمدينة الإسكندرية عاصمة الثقافة والإسلامية عام ٢٠٠٨) .
١ - الإسكندرية - تاريخ .
(أ) العنوان ٩٦٢,١١

رقم الإيداع ٢٠٠٨/١٩٠٩١
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 902 - 0
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 27352396 **Fax :** 27358084

المحتويات

هذه الموسوعة

والجزء الثالث

الحمد لله .. والشكر لله ، على رعايته لصدور الجزء الثالث الهام وفيه ملف كامل عن "الإسكندرية عاصمة الثقافة الإسلامية عام ٢٠٠٨" . يلقى الأضواء على تاريخ مدينة من أهم وأكبر المدن العربية الإسلامية التى لعبت دوراً كبيراً فى تاريخنا القومى ، فكانت ثغراً ورباطاً ، وكانت مركز نشاط حربى واقتصادى كبيراً . ومركز إشعاع ثقافى وحضارى أكبر خلال العصر الإسلامى ، فهى وإن كانت قد تنازلت عن مكانتها التى كانت تشغلها فى العصرين اليونانى والرومانى كعاصمة أولى لمصر ، فإنها لم تفقد هذه المكانة عندما أصبحت عاصمة مصر الثانية فى العصر الإسلامى . ولم يكن الدور الذى لعبته فى العصر الإسلامى فى ميادين الحرب والبحرية والتجارة والاقتصاد والفكر والثقافة أقل شأناً من الدور الذى لعبته فى هذه الميادين فى عصورها القديمة .

ولا توجد مدينة أثرت فى الحضارة العربية الإسلامية كما فعلت مدينة الإسكندرية ، فقد امتازت الإسكندرية بمكان جغرافى ومكانة تاريخية لم تتميز بهما أية مدينة أخرى ، ومن موقعها الجغرافى والتاريخى كان لها ذلك الأثر البالغ فى التكوين الحضارى للعرب والمسلمين على امتداد عدة قرون . فهى بحق عاصمة للثقافة الإسلامية .

وإن شاء الله ، وبعون من الله وتوفيقه ، سيتم إصدار الجزء الرابع من موسوعة "منارة الثقافة .. الإسكندرية" حيث ألقى الأضواء على جوانب كثيرة مثل أحياء

الإسكندرية ، وقصورها ، والمزيد عن مكتبة الإسكندرية ، والصحافة ، حيث ولدت الصحافة المصرية بالإسكندرية منذ صدور العدد الأول من الأهرام ، ورموز أعلامها ، وكذلك السينما ، والآثار ، وغيرها من المعلومات التى كانت تندثر بين صفحات المراجع والمخطوطات .

ولا يسعنى إلا أن أشكر كل من ساهم ويساهم فى إصدار هذه الموسوعة ، وأخص بالتقدير الصديق ابن الإسكندرية الفنان العالمى الوزير فاروق حسنى وزير الثقافة ، والأخ العزيز الأستاذ على أبو شادى أمين عام المجلس الأعلى للثقافة ، والابن العزيز الدكتور عماد بدر الدين أبو غازى نائب الأمين العام . على حرصهم الشديد على صدور هذه الموسوعة فى صورة ممتازة .

والله ولى التوفيق

فتحى الإبيارى

الإسكندرية
عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠٠٨

الإسكندرية فى العصر الإسلامى

بُذلت جهود علمية كثيرة لدراسة تاريخ مدينة الإسكندرية وآثارها وحضارتها وطبوغرافيتها فى العصور اليونانية الرومانية القديمة، ثم وقفت هذه الجهود عند العصر الإسلامى الوسيط، بل وتخطته إلى العصور الحديثة، وإذا تكرم واحد من الباحثين وأشار إلى هذا العصر فإنه يغمطه حقه ويتهمه ظلمًا بأنه كان عصر تدهور وتأخر واضمحلال - وهى تهمة لا تتفق والحقيقة فى شىء . ويقول الدكتور جمال الدين الشيال:

وقد عنيت بهذا الموضوع وهو "تاريخ الإسكندرية فى العصر الإسلامى" منذ سنوات طويلة، وكنت دائمًا أتساءل وأنا أقلب المراجع العربية المختلفة: ألم يكتب العرب تاريخًا خاصًا لهذا الثغر الهام فى العصر الإسلامى؟... وهم لم يتركوا مدينة من مدنهم الكبرى أو الصغرى إلا وأرخوا لها، وبين أيدينا الموسوعات والكتب الكبيرة أو الصغيرة عن تاريخ بغداد، ودمشق، وحلب، والموصل، وبخارى، وأصفهان، ومكة والمدينة، والفسطاط، والقاهرة، والفيوم إلخ، وبعضها مطبوع، وبعضها لا يزال مخطوطًا ينتظر من يعنى بتحقيقه ونشره، وبعض ثالث مفقود أو كالمفقود من يبذل الجهد الجاد للبحث عنه فى زوايا المكتبات الخاصة التى لم يكشف عن كنوزها بعد...

وظللت أبحث حتى وُفِّقت إلى نصوص تشير إلى كتاب كبير فى جزأين ألفه فى القرن السابع الهجرى (١٣م) عن تاريخ الإسكندرية واحدٌ من أبنائها وعلمائها وهو: منصور بن سليم، ورجعت إلى كتب التراجم وكتب التاريخ المطولة أحاول أن أستزيد

معرفة بهذا العالم والمؤرخ السكندري وحياته ومؤلفاته، ووجدت له ترجمات مختصرة في "شذرات الذهب لابن العماد"(١) "وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي"(٢) و"تذكرة الحفاظ للذهبي"(٣) و"منتخب المختار للسلامي"(٤) و"السلوك للمقريزي"(٥) والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى"(٦) و"الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي"(٧) و"كشف الظنون لحاجي خليفة"، وهي في جملتها تُعرف بالرجل تعريفًا موجزًا، فتذكر أن المظفر وجيه الدين منصور بن سليم بن منصور بن فتوح الهمذاني الإسكندري، محتسب الإسكندرية، وأنه ولد في ثامن صفر سنة ٦٠٧ هـ وأخذ عن الكثيرين، ورحل إلى الشام والعراق، واعتنى بالحديث والفقه والرجال والتاريخ، وجمع لنفسه معجمًا، وكتب تاريخًا كبيرًا لمدينة الإسكندرية(٨) وتوفي في الحادي والعشرين من شوال سنة ٦٧٣ هـ.

وكانت فرحتي كبيرة عندما علمت بوجود تاريخ لمدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي كتبه عالم من علمائها، وزاد في فرحتي ويقيني بوجود الكتاب أنني عثرت على فقرات كثيرة نقلها المؤرخون المصريون في القرنين الثامن والتاسع الهجريين عن هذا المؤلف.

---

(١) ج ٥، ص ٣٤١

(٢) ج ٥، ص ١٥٧

(٣) ج ٤ ص ٢٤٩ وانظر أيضًا: (نفس المؤلف: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مخطوطة دار الكتب المصرية، وفيات سنة ٦٧٣هـ ص ٣٩٦).

(٤) نشر عباس العزاوي، بغداد، ١٩٣٨م، ص ٢٢٩ – ٢٣١).

(٥) ج ١، ص ، ٦١٩

(٦) ج ٧، ص ، ٢٤٧

(٧) ص ١٢٢.

(٨) ذكر السبكي والذهبي أنه كان في مجلدين: وذكر السخاوي أنه كان في أربع مجلدات، انظر أيضًا:

Bro;elmann: Geshte der Adrabichen Litter. Supp Uol. L. P. P.753- 574.

و (جمال الدين الشيال : أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، القاهرة ١٩٦٥م، ص ١١٤–١١٥).

وانطلقت أقلب فهارس المخطوطات فى المكتبات المختلفة، ولا أبالغ إذا قلت إننى صحت فرحًا عندما وجدت أن فهارس المخطوطات العربية بمكتبة أيا صوفيا بإستانبول تشير إلى وجود نسخة خطية من هذا الكتاب فى هذه المكتبة فى جزأين تحت رقمى ٣٠٠٣ و ٣٠٠٤ كان هذا منذ نحو عشرين عامًا، فبادرت فى الحال بالكتابة إلى صديقى المستشرق الألمانى ريتر Ritter – وكان يقيم حينذاك فى إستانبول.. أستوضحه حقيقة هذه المخطوطة، وأرجوه أن يصور لى نسخة منها.

وبقدر ما كانت فرحتى عند العثور على الإشارة إلى وجود نسخة من الكتاب، بقدر ما كان حزنى وألمى عندما أتانى رد ريتر وفيه يقول إن الكتاب – للأسف الشديد – مفقود، وإن الكتاب الموجود مكانه والذى يحمل رقمه هو "قصة الإسكندر الرومانى وسياحاته ودخوله فى الظلمة باحثًا عن ماء الحياة" ، ولكننى لا زلت أعتقد أن الكتاب كان موجودًا فى المكتبة إلى وقت قريب، أى إلى الوقت الذى طبعت فيه فهارس الكتب العربية الموجودة فى مكتبة أيا صوفيا. ثم امتدت إليه الأيدى، ولا زال الأمل يداعبنى أن نُوفَّق يومًا ما للعثور عليه، وعند ذلك نحصل على وثيقة هامة جدًا توضح لنا تاريخ الإسكندرية ومعالمها فى القرون السبعة الهجرية الأولى. لأن الكتاب كتبه واحد من أهلها وعلمائها، وقد تولى الحسبة بها وقتًا ما.

ويضاف إلى هذا الكتاب كتاب ثان ذو فائدة كبيرة للباحثين فى تاريخ الإسكندرية فى العصر الإسلامى، غير أنه أقل أهمية من سابقه. لأنه لم يكتب أصلاً للتأريخ للإسكندرية، وإنما للتأريخ لحادثة خاصة، وهى غزوة القبارصة الصليبية للمدينة فى أواخر القرن الثامن الهجرى (٧٦٧م = ٣٦٥ هـ).

غير أن المؤلف التزم فى مؤلفه هذا طريقة غريبة. فهو يبدأ الحديث عن بعض أحداث الغزو، ثم يستطرد منها إلى تناول موضوعات كثيرة من فقه وتاريخ وأدب وتصوف، فيغرق فى ذكر التفاصيل التى تمس هذه الموضوعات إلى أن ينسى وينسى القارئ معه الموضوع الأصيل، ثم يتذكر ما كان بصدده فيعود ثانية إلى

استئناف الحديث عن وقائع الغزو وأحداثها، إلى أن ترد فى حديثه كلمة توجب الاستطراد فيعود إليها[1].

وهو فى حديثه الأصيل عن الغزوة القبرصية وفى استطراداته الكثيرة المستفيضة يورد معلومات وفيرة قيمة عن تاريخ مدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى بعامة، وفى عصر الأشرف شعبان بخاصة، لا نجد لها شبيهًا أو مثيلاً فى أى مرجع آخر. وقد أفدنا من هذا الكتاب كثيراً عند كتابة الفصل الخاص بتاريخ الإسكندرية فى عصر الأشرف شعبان من كتابنا هذا.

مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن القاسم النويرى السكندرى المالكى. فهو واحد من أهل المدينة وعلمائها[2] فى القرن الثامن الهجرى (١٤م)، وعنوان كتابه: "الإلمام بالإعلام بما جرت به الأحكام القضية فى واقعة الإسكندرية، فى سنة سبع وستين وسبعمائة وعودها إلى حالتها المرضية".

والكتاب لحسن الحظ موجود وإن كان لا يزال مخطوطاً. وتوجد نسخة من الجزء الأول منه فى مكتبة برلين تحت رقم ٩٨١٥ (وفى دار الكتب المصرية صور شمسية منها) وتوجد نسخة خطية من الجزء الثانى فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٤٢ كما توجد نسخة خطية أخرى من الكتاب مكتملاً فى خزانة "بانكى بور"[3] بالهند تحت

(١) التفت إلى هذا الأسلوب فى تأليف الكتاب وأشار إليه (السخاوى. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. ص ١٢٢) فقال عند حديثه عن هذا الكتاب: "ولمحمد بن قاسم بن محمد النويرى السكندرى المالكى صفة الكائنة العظمى التى وقعت للفرنج فى أول سنة سبع وستين حين ملكوها ونهبوا أموالها وأسروا نساءها ورجالها فى ثلاث مجلدات ولكنه استطرد فيها من شىء إلى شىء، فإنه ابتدأ بصفة فتحها. واستمر بحيث كانت الواقعة فى جانب ما ذكر كالشامة".

(٢) انظر ترجمة المؤلف فى : ابن حجر. الدرر الكامنة. ج ٤ ، ص، ١٤٢.

(٣) انظر: السيد هاشم الندوى. تذكرة النوادر من المخطوطات العربية، حيدر ابن الداكن، ١٣٥٠ هـ ، وفهرس دار الكتب المصرية ج ٥ ، ص ٣٨، ج ٨ ص ٢٤.

رقم ٢٣٣٥ قيمة أكثر قيمة من النسختين الأوليين، لأنها كتبت فى القرن الثامن الهجرى، فهى قريبة العهد من عصر المؤلف.

ويشرفنى أن أشير هنا أن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية قد عهد إلىَّ أخيراً بتحقيق ونشر هذا الكتاب. وأرجو أن أوفق إلى إخراجه قريباً.

وقد كتبت عن "فضائل الإسكندرية" رسائل كثيرة، تشير المراجع إلى ثلاث منها: اثنتان موجودتان. والثالثة مفقودة – أما الاثنتان فهما:

(أ) فضائل الإسكندرية لأبى على الحسن بن عمر بن الحسن الصباغ(١) وتوجد منها نسخة خطية فى المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٦٦٣.

(ب) رسالة فى فضل ثغر الإسكندرية لجلال الدين السيوطى(٢) وتوجد منها نسخة خطية فى مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة تحت رقم ١٣٧٤

أما الرسالة الثالثة المفقودة فعنوانها "فضائل الإسكندرية" كذلك ومؤلفها هو خلف بن على بن محمد بن أحمد بن عيسى المغربى التروجى السكندرى(٣) المتوفى سنة ٨٤٤هـ.

(١) هذا نشر الأستاذ إتيين كومب بعض صفحات من هذا الكتاب فى المجلد الثالث من مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية. انظر:

(Combe: Le Texte de Nuwairi surl Attaque d, Alexandria par Pierre I Lusignan. Bulletin of the Faculty of Arts. Farouk I University - Alexandarie - Vol , III 1934)

(٢) انظر : السخاوى، الإعلان بالتوبيخ ص ١٢٢، و

Rosenthal:History of Muslim Historiography. P. 383

وترجمته العربية للدكتور صالح أحمد العلى.

(٣) انظر ترجمته فى السخاوى الضوء اللامع. ج٣، ص ١٨٤.

هذه هى المؤلفات العربية القديمة التى كتبت للتأريخ لمدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى وهى جميعًا فيما عدا رسالتى ابن الصباغ والسيوطى – لمؤلفين سكندريين، وقد بذلت مجهودًا كبيرًا فى تعقبها وإحصائها ودراستها منذ عنيت بتتبع تاريخ المدينة فى هذا العصر.

وقد زاد اهتمامى بتاريخ مدينة الإسكندرية منذ نقلت إلى جامعتها فى سنة ١٩٤٣م. فأقبلت على كتب التاريخ المطولة وكتب التراجم وكتب الجغرافيا والرحلات أجمع ما فيها من مادة مبعثرة وأعيد ترتيبها فى نسق جديد. تمهيدًا لإخراج كتاب جديد يرد للمدينة اعتبارها ويلتقى الأضواء الجديدة على تاريخها ونشاطها ومهد حضارتها فى العصر الإسلامى المفترى عليه.

وكان باكورة ما أخرجته فى هذا الميدان فضلاً عن كتاب عن تاريخ الإسكندرية أخرجته غرفتها التجارية فى سنة ١٩٤٩م. وكان موضوع هذا الفصل "الإسكندرية فى العصرين الأيوبى والمملوكى" ثم كتاب "أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى"

العصر الإسلامى

من القرن السابع الميلادى إلى القرن السادس عشر

يقول الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال : تم لعمرو بن العاص فتح مصر يوم أن وقعت الهدنة بينه وبين "قيروس Cyrus" فى ديسمبر سنة ٦٤١ (المحرم ٢١هـ). ثم دخل جيشه الإسكندرية بعد أحد عشر شهراً - وهى مدة الهدنة المتفق عليها - وهذا هو الفتح الأول للإسكندرية. وقد تم صلحًا لا عنوة، غير أن الروم لم يلبثوا أن استشعروا ضعف المدينة بعد عزل عمرو عن ولاية مصر وتولية عبد الله بن سعد، فعادوا إليها فى أواخر سنة ٦٤٥ (أوائل سنة ٢٥هـ).

ونُدب عمرو لقتالهم، فهزمهم خارج المدينة، ثم تتبعهم إلى أسوارها، ويقال إنه عندما رأى الأسوار تقوم سداً مانعًا بينه وبين المدينة، ندم أن لم يقدم على هدمها عند دخوله المدينة فى المرة الأولى، وحلف لئن أظفره الله بالمدينة ليهدمن أسوارها، ثم هاجم هذه الأسوار بمجانيقه من ناحيتها الشرقية إلى أن سلمت له، ومن هنا ترددت المقولة بأن عمرواً هدم جميع أسوار الإسكندرية بعد دخوله إليها، وهى فى الحقيقة مقولة ظالمة، والراجح أن أجزاء السور من جهتيه الشرقية والجنوبية قد هدمت فى أثناء الحصار والقتال بين العرب والروم إبان هذا الفتح الثانى للمدينة.

غير أن هذه الأسوار أعيد بناؤها فى العصر العربى، وليس من المعروف على وجه التحديد متى أعيد بناؤها وإن كانت بعض المراجع تشير إلى أنها بنيت ثانية فى عصر أحمد بن طولون (فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى).

ولم تكن الإسكندرية وقت أن دخلها العرب فى ازدهارها القديم، بل لقد كانت عوادى الزمن قد أتت على بعض معالمها، كما كانت الحوادث السياسية قد أتت على بعض آخر، فإن النزاع بين الرومان والبطالمة، ثم النزاع بين الروم والوثنيين والمصريين والمسيحيين، ثم النزاع بين الروم الملكانيين واليعاقبة المصريين، كل هذا كان له أثره الواضح فى تخريب الكثير من معالم المدينة الهامة التى كانت تميزها وتزينها فى العصر اليونانى، فالمدينة وقت دخول العرب كانت قد فقدت مكتبتها الكبرى ودار حكمتها، والقصور الملكية لم يكن لها بهاؤها القديم وعظمتها السالفة، ومعبد السيرابيوم والقيصريون كانت قد نالت منهما أيدى التخريب إبان النزاع الدامى بين المسيحية والوثنية، وإن كانت قد أقيمت على أجزاء منهما كنيستان كبيرتان.

ومع هذا كله فقد بهرت المدينة أعين العرب عند رؤيتها ورؤية مبانيها، فوصفوها وصف المعجب المشدوه، وأشاروا أكثر ما أشاروا إلى معالمها البارزة، ومبانيها المميزة: كالمنارة، وعمود السوارى، وكنيسة القيصريون، ومسلات كليوباترا، وقصور المدينة، وحماماتها، وصهاريجها، وشوارعها المكسوة بالمرمر والرخام، وكثرة ما بها من عمد، وأخيراً أسوارها وحصونها وأبراجها.

وقد انكمشت المدينة فى أوائل العصر العربى عما كانت عليه فى العصور القديمة، فلما أعيد بناء السور روعى أن يضم إليه المنطقة الآهلة بالسكان فقط، وهى التى تحتاج إلى الدفاع عنها، وترك خارجه منطقتين كبيرتين فى شرقى المدينة وجنوبيها، أما المنطقة الشرقية فكانت تقوم عليها مقابر اليونان والرومان، ولا حاجة لأن تضمها الأسوار إلى المدينة، وأما المنطقة الجنوبية فكانت تضم بعض المزارع وبقية من أطلال معبد السيرابيوم وأطلال ما كان به من مبان وبيوت يشرف عليها جميعًا عمود السوارى، ولم يكن هناك داع لصرف الأموال الطائلة لتوسيع محيط السور عند إعادة بنائه ليضم كل هذه الأطلال.

وصف الإسكندرية التى رآها العرب :

وقد وصف الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد الإسكندرية عندما دخلها العرب كما يلى:

دخل العرب المدينة التى لم يشهدوا لها مثيلاً من قبل قصورها الضخمة ومعابدها الفخمة وشوارعها الواسعة ذات الأقواس (العقود) المرفوعة على العمد الجميلة، والمليئة بالأعمدة الهائلة والتماثيل العجيبة، فكان لها وقع غريب فى نفوسهم أثار خصب خيالهم فوصفوفها وصفاً رائعاً. والواضح من وصف الإسكندرية عند مؤرخ مصر ابن عبد الحكم أن المدينة كانت تتكون من ثلاثة أحياء على كل حى منها سور، وخلف ذلك سور على الأحياء الثلاثة، هو سور المدينة، وأحياء المدينة الثلاثة عند دخول العرب، هى حى المصريين الوطنى، وحى الروم، وحى اليهود. والمعروف أن العداء كان صريحاً بين الطوائف الثلاث، وهذا ما يفسر كيف أنه لكل من الأحياء أسواره الخاصة داخل نطاق أسوار المدينة وتحصينها.

وهناك وصف مدهش لصهاريج خزن المياه التى كانت طبقات فوق بعض، وبها العدد العظيم من الحجرات والأعمدة، وهذا أصل الأسطورة التى تقول إن الإسكندرية مبنية مدينة فوق مدينة، نظراً لاتساع هذه الصهاريج إلى درجة جعلت الناس يقولون إنها شملت كل مساحة المدينة الكبيرة. وما زالت بعض هذه الصهاريج موجودة حتى اليوم، وهذه الصهاريج كانت تملأ من الترعة العذبة فى أوقات الفيضان. وأما الأسواق المقنطرة فالمعروف أن كثيراً من شوارع الإسكندرية كان يكتنفها من الجانبين سقائف (بوائك) مبنية على عقود وأقواس تحملها الأعمدة الجميلة، وخصوصاً فى الشارعين الرئيسيين: الطولى (الكانوبى: شارع فؤاد أو الحرية حالياً)، والرأسى (السوما: شارع النبى دانيال حالياً). ولما كان الطريق الأعظم هو موضع البيع والشراء، فإنه كان بمثابة السوق المقنطرة. ولا شك فى أن هذا الطريق التجارى المسقف هو الذى

أوحى ببناء الأسواق المسقوفة فى المدن العربية المعروفة (بالقيسارية، القيصرية) نسبة إلى قيصر. ونظن أن قيسارية الإسكندرية فى العصر العربى الأول كانت فى هذا الطريق. ولا بأس من تحديدها بالقرب من سوق العطارين الحالى الذى يحده الطريق الأعظم القديم (طريق الحرية اليوم).

وأشهر معالم الإسكندرية على الإطلاق هو المنار إحدى عجائب الدنيا السبع - وتتمثل بقايا قاعدته المربعة فى قلعة قايتباى الحالية بحى الأنفوشى.

وهناك وصف جيد للمنار للمؤرخ القديم المسعودى (سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م) ينص على أنه يتكون من ثلاث طبقات: السفلى مربعة الشكل، مبنية بالحجارة، والوسطى مثمنة، مبنية بالآجر والحصى، ومحيطها أقل من محيط الطبقة السفلى، والعليا مدورة الشكل، ومحيطها أقل من محيط الطبقة الثانية. هذا كما قدم لنا المسعودى معلومات تاريخية هامة عن الزلازل التى ألمت بالإسكندرية وما ألحقته بالمنار حتى أيامه، مثل زلزال سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م الذى هدم ثلاثين قدماً من أعلاه.

ويذكر الكتاب أنه كان فى قمة المنار مسجد ينسبونه إلى النبى سليمان. وهذا المسجد كان موضع عناية حاكم مصر أحمد بن طولون سنة ٢٦٢هـ /٧٥٥م. وهذا المسجد كان يرابط فيه حراس البحر لمراقبة العدو البحرى. وكان المنار مبجلاً من السكندريين الذين خصصوا له يوماً جعلوه عيده السنوى وكان يوم الخميس دائماً، هو خميس العهد عيد الربيع عند المصريين الذى يعادل إثنين شم النسيم، عيد الربيع الحالى. وكان الناس يصعدون فى يوم عيد المنار هذا إلى أعلى المنار، يتأملون بنيانه ويطلون من أعلاه على البحر وعلى معالمه، ويصلى من يريد التبرك بالصلاة فى مسجده، وذلك من الصباح إلى أن ينتصف النهار. ومنذ ذلك اليوم كان يبدأ احتراس البحر.

ولقد كان للمنار آثاره على العمارة الإسلامية فى المشرق وفى بلاد المغرب العربى خاصة. هذا كما كان لمنار الإسكندرية تأثيره على بناء أبراج الكنائس فى مصر

والشام، وأنه ومن هذه الأبراج أوحى إلى العرب بناء مآذن المساجد ابتداء من النصف الثانى للقرن الأول الهجرى على أيام والى مصر مسلمة بن مخلد. وأقدم نماذج هذا النوع من المآذن التى تذكر بشكل منار الإسكندرية هى منارة المسجد الجامع بالقيروان، وإن كانت المآذن التى تعتبر بحق نماذج حقيقية لمنار الإسكندرية، هى منارة جامع أشبيلية بالأندلس التى حولت إلى برج للكتدرائية، والمعروفة حاليًا باسم الخيرالدا، ومنارة جامع الكتيبة بمدينة مراكش ثم منارة جامع حسان بمدينة الرباط التى لم تتم الأجزاء العليا منها. وفى ذلك يقول المؤرخ عبد الواحد المراكشى إن مئذنة جامع حسان التى بناها المنصور الموحدى فى أواخر القرن الـ ٦هـ / ١٢م، إنما بنيت على هيئة منار الإسكندرية، كما أن مدينة الرباط نفسها (عاصمة المغرب) بنيت على هيئة الإسكندرية من حيث اتساع الشوارع واستقامتها، وعظمة مبانيها.

ويأتى بعد المنار عمود السوارى الذى ينسبه الكتاب العرب إلى النبى سليمان. ويوصف بأنه أسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلها، غلظها ٣٦ شبرًا، عالية شاهقة لا يدرك أعلاها قاذف بحجر، أما عن رأس العامود (تاجه) فقالوا إنه محكم الصناعة، وإنه يدل على أن بناء كان عليه والعمود الذى أعطى اسمه لمقبرة الإسكندرية (العمود) يعتبر من أعاجيب العالم.

وعمود السوارى يقع إلى شمال قصر الإسكندرية الأعظم، والمقصود به معبد السرابيوم الذى يوصف بأنه لم يكن له فى معمور الأرض نظير. وكان موضوعه فى نفس منطقة عمود السوارى فى الحى الوطنى بإزاء الباب الجنوبى للإسكندرية، وهو باب الشجرة الذى يعرف حاليًا بباب سدرة وكان القصر (المعبد) على ربوة عالية (المعروف بالطوبجية حاليًا) وطوله ٥٠٠ ذراع وعرضه ٢٥٠ ذراعًا، ولا يصف الكتاب العرب إلا بقاياه من السوارى التى بلغ عددها مائة أسطوانة قائمة، غلظ كل واحدة منها عشرة أشبار. وهذه السوارى الصغيرة (نسبيًا) هى التى أعطت للأسطوانة الكبرى اسم عمود السوارى.

ولا يوجد حاليًا فى الموضع عمد أو سوارى سوى العمود الأكبر، والمعروف تاريخيًا أن قراجا والى صلاح الدين على الإسكندرية حمل الأعمدة وألقى بها فى البحر ليمنع أثر الأمواج على الشاطئ (كما تفعل البلدية حاليًا عندما تضع مكعبات الخرسانة الكبيرة) أو ليعوق العدو البحرى من النزول إلى البر.

أما الملعب الذى كان مبنيًا بطريقة بديعة: يرى الجالسون فيه بعضهم بعضًا، ويشاهدون كل ما يجرى فيه من مناقشات أو ألعاب (لا يخفى على أحدهم من ذلك شيئًا). وهنا تقول الرواية إن عمرو بن العاص حضر قبل الفتح أحد مهرجانات الإسكندرية الرياضية فى ذلك الملعب، وأن الكرة التى كان يلعب بها الفتيان والفتيات وقعت فى جيبه فكانت نبوءة امتلاكه الإسكندرية. وتفخر الإسكندرية بذلك الملعب البديع الذى تم الكشف عنه تحت بعض أنقاض كوم الدكة، بجوار مركز المطافئ حاليًا.

كان من أهم معالم الإسكندرية وقتئذ كنيستان من أعظم كنائس الروم أولاهما هى كنيسة القديس مرقص (المرقصية) حيث كان جثمان الرسول الذى نقل فى القرن التاسع الميلادى. والأخرى هى كنيسة القيصريون التى كان لها مسلتان قديمتان فى فنائها، وهما اللتان نقلتا إلى نيويورك ولندن وباسمهما يعرف حاليًا حى وشارع المسلة (المتاخمان جنوبيًا لمحطة الرمل).

وأغلب الظن أن مقبرة الإسكندر لم تكن بعيدة عن حى القيصريون، والمسعودى فى كتابه مروج الذهب يذكر المقبرة ولكنه لا يحدد موضعها بدقة. ونظن أنه ينقل عن بعض القدامى عندما عندما يقول: إن جثة الإسكندر وضعت فى التابوت من المرمر (وجعل التابوت المرمر على أحجار نضدت وصخور نصبت من الرخام والمرمر قد رصفت، وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الإسكندرية من أرض مصر، يعرف بقبر الإسكندر).

أما عن آخر المعالم التى لا ينبغى أن تهمل رغم عدم ذكر قدامى الكتاب العرب أى شىء عنها فهى مكتبة الإسكندرية التى يجرى إحياؤها فى موضعها القديم فى أرض

جامعة الإسكندرية شمال مجمع الكليات النظرية الذى يحوى كليات: الآداب والتجارة والحقوق. وإذا كانت هناك قصة تقول إنها أحرقت على يدى عمرو بن العاص فقد أثبت البحث الحديث عدم صحة ذلك.

والمهم أن الإسكندرية ظلت تخضع لتخطيطها القديم، وقوامه تقسيم المدينة إلى شوارع مستقيمة تتقاطع فى زوايا قائمة أشبه ما يكون برقعة الشطرنج المستطيلة على طول الساحل، وظل شارعاها الرئيسيان القديمان، وعرف الأفقى منهما فيما بعد باسم المحجة العظمى، وأصبح الباب الواقع فى شرق المدينة حيث مخرج الشارع الأفقى يسمى بالباب الشرقى بينما المقابل له من جهة الغرب بالباب الغربى– وهو الذى عرف مؤخرًا بالباب الأخضر.

وفى جنوب الإسكندرية كانت بحيرة مريوط التى كانت تصل إليها المياه العذبة من النيل، وكانت المنطقة غنية بالبساتين والمزارع فكانت ضفتا الترعة القديمة فى منطقة مريوط فى نهاية العمارة التى تمتد إلى أرض برقة، كما كانت السفن تجرى فى النيل وتتصل بأسواق الإسكندرية.

وهكذا يتضح الفرق بين مساحتى المدينة قبل الفتح العربى وبعده فى الخريطة التى رسمها الفلكى باشا لتخطيط أسوار المدينة فى العصرين، وقد بنيت للأسوار الجديدة أبواب تقابل الأبواب القديمة، وإن كانت قد سميت بأسماء جديدة، فالباب الذى بنى فى المشرق مقابل باب الشمس سمى باب رشيد أو باب القاهرة لأنه كان يؤدى إلى طريق رشيد ومنها إلى القاهرة، والباب الذى بنى فى الغرب مقابل باب القمر سمى باب القرافة لأنه كان يؤدى إلى جبانة هناك، وكان لا يفتح إلا يوم الجمعة، ثم بنى فى الجنوب باب سمى "باب سدرة"، فقد كانت تقوم إلى جانبه شجرة عاتية من أشجار السدر، (أبواب العمود لإشرافه على عمود السوارى)، أما باب البحر فى شمال المدينة فقد بقى كما هو يشرف على الميناء الشرقية.

هذا أهم تغيير أصاب المدينة فى العصر الإسلامى، يضاف إليه ما استحدث فيها من مساجد، تبعًا لوجود الحامية العربية بها، وازدياد عددها مع مرور الزمن، وتبعًا

لانتشار الدين الإسلامى بين أهليها، وقد أنشئ بعض هذه المساجد إنشاء، وأقيم البعض الآخر على أطلال المعابد أو الكنائس القديمة، وتشير مراجع العصر الإسلامى الأول إلى ستة من هذه المساجد، ولكنها لا تحدد مواقعها تحديداً قاطعًا، وهى:

١ - مسجد سليمان عند القيسارية.

٢ - مسجد الخضر.

٣ - مسجد ذى القرنين (ولعله بنى بالقرب من قبر الإسكندر، ولهذا سمى بهذا الاسم).

٤ - مسجد عمرو بن العاص، وتنص المراجع على أنه بنى فى وسط المدينة، وكان يسمى أيضًا "مسجد الرحمة" لأنه بنى فى المكان الذى رفع فيه عمرو السيف عن أهل المدينة حين دخلها عنوة فى فتحه الثانى.

٥ - مسجد موسى، وقد بنى بالقرب من المنارة.

٦ - مسجد المنارة، وقد بنى داخل المنارة نفسها ليكون مصلى للجند المرابطين فيها.

وقد أعجب عمرو بالمدينة ومبانيها حت يقال إنه كتب إلى الخليفة عمر يصفها له بقوله: "لقد فتح الله علينا بمدينة من صفتها أن بها أربعة آلاف قصر، وأربعة آلاف حمام وأربعمائة ملهى، واثنى عشر ألف بائع للخضر وأربعين ألفا من اليهود أهل الذمة".

كذلك يروى أنه لإعجابه بها فكر فى أن يتخذها عاصمة له، وأنه نظر إلى مبانيها بعد الفتح وقال: "منازل قد كفيناها" وكتب إلى عمر يعلن إليه هذه الرغبة، لولا أن عمر أرسل إليه ينصحه باختيار مكان آخر لا يفصل بينه وبين بلاد العرب ماء، فتحول عمرو منذ ذلك الحين عن الإسكندرية إلى الفضاء المجاور لحصن بابليون، وبنى عليه عاصمته الجديدة الفسطاط.

ولم يؤثر تأسيس الفسطاط فى مدينة الإسكندرية، بل لقد حافظت على مكانتها القديمة، واعتبرت من ذلك الحين العاصمة الثانية لمصر، وظلت دائمًا موضع العناية من الخلفاء وولاة مصر، فقد كانت فى نظرهم جميعًا ثغرًا من أهم الثغور الإسلامية التى يجب العناية بها ويحصونها وبوسائل الدفاع عنها.

لهذا لا نعجب إذا رأينا المدينة تنمو فى هذا العصر العربى الأول ويزداد عمرانها، فقد استقر بها عدد كبير من العرب، ونزلوا بيوتها القديمة، أو بنوا لأنفسهم بيوتًا جديدة، تشير المراجع إلى بعضها، كالبيت الذى بناه الزبير بن العوام بعد الفتح، والمنزل الكبير الذى كان ينزله خمارويه بن أحمد بن طولون عند مريوط بضواحى الإسكندرية. ثم زادت الحامية العربية بالمدينة حتى بلغت ٢٧ ألفًا يرابطون دائمًا لحمايتها، وكانت هذه الحامية مقسمة إلى عرافات "ولكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه، فتكون الدار لقبيلتين أو ثلاث، وللمدينة أبراج عالية يقف عليها الحراس، وتسمى مثل هذه الأبراج المحارس، أو المناظر، أو المراقب، أو الطلائع، فإذا بدا فى أفق البحر شىء من سفن العدو أعطى المراقب الإنذار فاجتمع الجند كل طائفة فى عرافتها، وكان بالرملة (الرمل حاليًا) أربعة آلاف فارس للنجدة".

وكانت المنارة الكبرى فى جزيرة فاروس أعلى هذه الأبراج وأهمها لإشرافها على البحر مباشرة، وكان المسلمون يحتفلون حولها كل عام احتفالاً خاصًا يعتبر إيذانًا ببدء موسم الجهاد والاستعداد، فكان إذا حل فصل الربيع خرج سكان المدينة فى يوم خاص يسمى "يوم خميس العدس" إلى المنارة، يقيمون فيها أو حولها، يلهون ويلعبون ويأكلون الأطعمة المختلفة – ومن بينها العدس – فإذا انتهى عادوا إلى المدينة، وبدأ الجنود المرابطون يحترسون من ذلك اليوم على البحر والمدينة من هجوم العدو.

ومن معالم المدينة فى هذا العصر الدور الحكومية المختلفة وتشير المراجع التاريخية إلى وجودها، غير أنها للأسف لا تحدد مواضعها، فمنها:

– **دارة الإمارة**، حيث كان ينزل الوالى.

- **دار الصناعة** – أى صناعة السفن – وكانت من أوائل ما أقيم من منشآت فى المدينة، فقد أنشئت فى عهد الوالى العربى الثانى عبد الله بن سعد بن أبى السرح لبناء السفن التى اشتركت فى موقعة ذات الصوارى، أول موقعة بحرية انتصر فيها العرب على الروم، ولعلها أقيمت حيث كانت توجد دار الصناعة الرومانية القديمة فى الميناء الشرقية، وإن كان النويرى يذكر أن الإسكندرية كان بها فى القرن الثامن الهجرى داران للصناعة، إحداهما فى الميناء الشرقية والثانية فى الميناء الغربية.

- **دار الطراز**، وهى الدار الملكية لصناعة المنسوجات، وأغلب الظن أن الإسكندرية الرومانية كانت تعرف هذا النوع من المصانع، وأن دار الطراز العربية ما هى إلا استمرار لهذا المصنع الرومانى القديم بعد إدخال التعديلات المناسبة على نظامه.

- عرف خلفاء العصر الأول للإسكندرية هذه المكانة الممتازة – حربيًا وعمرانيًا واقتصاديًا – ولهذا أوشك بعضهم أن يعتبروها إمارة خاصة، فكانوا يولون عليها من قبلهم أمراء يكادون يستقلون عن ولاة مصر، كما حدث حين ولى أحمد بن طولون – أول مرة على مصر كلها دون الإسكندرية، فلما توفى باكباك، وعُين أماجور – حمو أحمد بن طولون – خلفًا له ضم الإسكندرية كذلك.

وقد شاركت الإسكندرية – بحكم مركزها هذا – مشاركة فعالة – فى معظم الأحداث السياسية التى شهدتها مصر فى العصر العباسى الأول، وخاصة فى حوادث النزاع بين أمراء مصر الذين حكموها فى العصر العباسى الثانى، كما بدأت منذ ذلك العصر تتصل بحوادث المغرب والأندلس – بحكم موقعها الجغرافى – وخير مثال لذلك استضافتها للأندلس الذين طردهم من الأندلس الحَكَم الرَّبضى بعد ثورات الرض المشهورة.

الإسكندرية في العصر الفاطمي

بدأت الإسكندرية تتصل بالمغرب اتصالاً وثيقًا منذ أوئل القرن الرابع الهجرى، حين نجحت الدولة الفاطمية فى إقامة ملك جديد لها على أنقاض ملك الأغالبة فى إفريقيا (تونس)، فقد كانت الإسكندرية الهدف الأول لحملات الفاطميين الأولى على مصر – براً وبحراً – وبها نزلت جنود هذه الحملات الأولى الفاشية وأساطيلها، وبها نزلت أول ما نزلت جنود وأساطيل الحملة الفاطمية الرابعة التى نجحت فى فتح مصر وامتلاكها.

ومنذ ذلك الحين أخذت الإسكندرية – شأنها فى ذلك شأن مصر جميعًا – تزدهر ازدهاراً عظيمًا ، فقد أصبحت مصر مقر الخلافة الفاطمية، كما أصبحت الإسكندرية مقر أسطول هذه الخلافة – وللفاطميين عناية كبيرة بالأسطول منذ قامت دولتهم فى إفريقيا – وهى بعد هذا كله الطريق إلى منشأ ملكهم فى المغرب الذى أصبح ولاية تابعة لمصر، فلا عجب إذن أن عنى الفاطميون بالإسكندرية عناية خاصة، فأقاموا بها المنشآت الكثيرة، ولبعض هذه المنشآت أهمية خاصة لأنها تساعد على تحديد معالم المدينة وطبوغرافيتها، وأهم هذه المنشآت مما ذكره المؤرخون:

١ – جامع العطارين :

يخطئ بعض المؤرخين فيذكر أن الذى بناه هو بدر الجمالى وزير المستنصر ولكن الصحيح أنه كان يقوم مكانه مسجد أنشئ على أنقاض كنيسة القديس أثناسيوس، فلما زار الجمالى الإسكندرية فى سنة ٤٧٧ وجد هذا المسجد مهدمًا فأمر بتجديده وإعادة بنائه. والصرف عليه "من أموال أخذها من أهل البلد"، ويؤكد ذلك النص الذى تحمله اللوحة الرخامية التذكارية التى ثبتها بدر فى الجامع لتأريخ هذا الحادث، والتى لا تزال موجودة فى الجامع إلى اليوم، ونصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾، مما أمر بإنشائه السيد الأجل أمير جيوش سيف الإسلام، ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادى دعاة المؤمنين، أبو النجم بدر المستنصر عند حلول ركابه بثغر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خرابًا، فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفى إلى الله تعالى، وذلك فى ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربعمائة".

٢ – المسجد الذى بناه الفقيه أبو بكر محمد بن الفهرى الطرطوشى خارج باب البحر سنة ٥١١٠ هـ فى خلافة الآمر ووزارة المأمون البطائحى، انفرد بذكر هذا المسجد المقريزى فى النسخة المخطوطة الكاملة الوحيدة فى كتابه" اتعاظ الحنفا "التى عثر عليها أخيراً فى مكتبة "طوب قبوسراى" بإستانبول، فقد ذكر بها أن الطرطوشى انتقل من الإسكندرية إلى القاهرة فى سنة ٥١٠ هـ لزيارة الوزير المأمون البطائحى، وليقدم له كتابه الذى ألفه باسمه وهو كتاب "سراج الملوك"، فأكرمه المأمون وخلع عليه، وفى ذى الحجة من هذه السنة "حضر الفقيه أبو بكر لوداع الوزير، وعرَّفه ما عزم عليه من إنشاء مسجد بظاهر الثغر على البحر، فكتب إلى ابن حديد بموافقة الفقيه على موضع يتخيره، وأن يبالغ فى إتقانه وسرعة إنجازه، وتكون النفقة عليه من مال ديوانه دون مال الدولة، وتوجه فبنى المسجد المذكور على باب البحر". وهذا المسجد من المساجد التى زالت.

تجديد سور الإسكندرية :

وقد جدد هذا السور فى آخر عهد الخليفة الآمر فى سنة ٥١٧هـ ، فقد قال المقريزى عند ذكر حوادث هذه السنة: "وفيها جددت عمارة سور الإسكندرية" وإن كان لم يُفصِّل أخبار هذا التجديد.

وقد ذكر المقريزى فى حوادث سنة ٥٧٧، فقال: "وفيها شاد الأمير أبو الأشبال ضرغام بن سوار البرج عند باب البحر بالإسكندرية، فعرف ببرج ضرغام".

وليس أدل على عمران المدينة وما كانت تزدان به فى العصر الفاطمى من دور وقصور فخمة من الوصف الذى حفظه المقريزى فى كتابه "المخطط" لدار أحد القضاة بها وهو "ابن حديد"، فقد ذكر فى وصفه لهذه الدار أنه كان بها بستان جميل به نافورة كبيرة تتكون من قطعة واحدة من الرخام البديع، ينحدر فيها الماء فتكون كالبركة فى اتساعها، وذكر المقريزى أن صاحبها كان يباهى بها أهل العصر إلى أن علمت بها البدوية حبيبة الخليفة الآمر الفاطمى فطلبتها، وأجيبت إلى طلبها، وحملت النافورة إلى القاهرة، وركبت فى بستان "الهودج" وهو القصر الجميل الذى بناه الآمر لمحبوبته فى جزيرة الروضة، وتألم ابن حديد لفقده هذه النافورة ألمًا بالغًا. وما زال يتقرب للبدوية بالهدايا إلى أن أمرت برد النافورة إليه.

ولمكانة الإسكندرية ولازدياد عدد المغاربة بها فى هذا العصر الفاطمى، ولقربها من المغرب - موطن الدولة الفاطمية الأول - ظلت تشارك فى الأحداث السياسية الهامة التى حدثت فى عصر هذه الدولة، فعند موت الخليفة المستنصر وتولية المستعلى - سعى الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى - فردَّ الأمير نزار المطالب بالخلافة إلى الإسكندرية، واستعصم بها وبأهلها، كانت فتنة خطيرة لم تخمد إلا بعد جهود حربية مضنية بذلها الأفضل وجيشه.

وفى عهد الخليفة الظافر زحف على بن السلار - والى الإسكندرية والبحيرة - بجيوش المدينة إلى القاهرة، واستطاع أن يعزل الوزير ابن مصال، وأن يلى الوزارة بعده، وكان لهذه الحوادث جميعًا - دون شك - أثر فى تخريب المدينة.

الإسكندرية فى العصر الأيوبى

وكما اتصل تاريخ المدينة بتاريخ الفاطميين منذ قدومهم إلى مصر، فقد اتصل مرة أخرى بتاريخ بنى أيوب منذ الحوادث التى أدت إلى قيام دولتهم فى مصر، ففى الحملة الثانية من حملات أسد الدين شيركوه على مصر استعصم صلاح الدين يوسف بن أيوب بمدينة الإسكندرية، واحتمى بأسوارها، وظل محاصراً بها أربعة أشهر طوال، قاسى فى خلالها الأمرين، ولكنه صمد للحصار بمعونة واليها وناظرها وقاضيها، وبمساعدة أهليها، فقد كان معظمهم سنيى المذهب لا يدينون بالمذهب الشيعى – مذهب الدولة الفاطمية الرسمى.

وفى سنة ٥٦٧ هـ – وهى أول سنة استقل فيها صلاح الدين بأمور مصر – دبرت مؤامرة لعزله وإعادة الدولة المنتهية، وكان قوامها أنصار الدولة الفاطمية وفرنج صقلية، وقد وفد هؤلاء الفرنج إلى الإسكندرية فى أسطول ضخم فى سنة ٥٦٩، واستطاعوا النزول إلى بر الإسكندرية، وعسكروا خارج أسوارها، وهاجموا هذه الأسوار بمجانيقهم، غير أن حامية المدينة استطاعت الصمود لهم، وردتهم عنها مدحورين منهزمين.

فلا عجب إذن أن رأينا صلاح الدين يعنى بالإسكندرية عناية خاصة، فيصدر أوامره بإصلاح أسوارها وترميم حصونها وأبراجها وقلاعها، وعندما فرغ من الصعوبات التى اعترضته جميعًا سافر إليها فى رمضان سنة ٥٧٢ هـ ليشرف بنفسه على هذه الإصلاحات والتحصينات، وانتهز فرصة وجوده بها وزار أسطولها فوجده

خربا قد نالت منه السنون والأحداث، فأمر بتعميره وإنشاء سفن جديدة لتقويته، وأفرد له ديوانًا خاصًا سماه (ديوان الأسطول).

ويبدو أن صلاح الدين لم يعن بإنشاء دار الصناعة وتعمير الأسطول فقط، وإنما اتخذ وسائل أخرى لتحصين الثغر حماية له من غارات الأعداء، فقد ذكر المقريزى فى خططه عند كلامه عن "عامود السوارى" أنه "كان حوله نحو أربعمائة عمود، كسرها (قراجا) والى الإسكندرية فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ورماها بشاطئ البحر، ليصعب على العدو مساره إذا اقتحموا".

وكان فى المدينة نشاط علمى ملحوظ يقوم به العلماء من أهليها ومن الوافدين عليها من الشرق والغرب، وقد نالت هذه الحركة العلمية الشىء الكثير من تشجيع صلاح الدين، فكان يحرص فى زياراته المتعددة للمدينة على زيارة كبيرى علمائها: الحافظ السلفى، والحافظ بن عوف والاستماع إلى دروسهما وفى صحبته أولاده وكبار رجال دولته.

وفى زيارته الأخيرة للمدينة فى سنة ٥٧٧ (١٨٨٢) أنشأ صلاح الدين مدرسة جامعة – ولسنا نعرف للأسف شيئًا عن موقعها أو تاريخها. كان يدرس بها مختلف العلوم والفنون، وألحق بها مساكن للطلبة وحمامات يستحمون بها، ومارستانًا لعلاج من يمرض منهم، وقد وصف هذه المدرسة الجامعة الرحالة المعروف ابن جبير عند زيارته للإسكندرية بعد ذلك بقليل.

واتباعًا لسياسته فى القضاء على المذهب الشيعى، وعلى آثار الدولة الشيعية المنتهية أمر ببناء مسجد جديد فى الإسكندرية، ونقل الخطبة عليه، بعد أن كانت تقام فى العصر الفاطمى فى أكبر مساجد المدينة فى ذلك العصر مسجد العطارين (أو مسجد الجيوشى)، ولم يتم التعرف على مكان هذا المسجد الهام، لأن المراجع التى ذكرته لم تشر إلى موقعه.

وكـان لهـذه العـناية الملحـوظة التى أسـبـغـهـا صـلاح الدين على ثغـر الإسكندرية أثرها البالغ فى تقـدم المديـنة ورفاهية أهلها وازدياد عـمرانها ونشاط تجارتها الداخلية.

وهذه الإشارة إلى المساجد تعطينا صورة واضحة كذلك لما كانت عليه المدينة من عمران فى العصر الفاطمى السابق، لأن هذه الآلاف من المساجد لم تبن قطعًا فى أوائل عـهد صـلاح الدين، وإنما بنيت فى العصـور السـابقة، وبخاصـة فى العصـر الفاطمى.

كـمـا أن هـذه الإشـارة إلى المبـانى الفـوقـيـة - وهى الدول والمنازل - والمبـانى التحتية المعتنى بها - وهى الآبار والصهاريج - يؤكد صحتها ما يتردد من أقوال مشابهة فى كتب الرحالة والجغرافيين العرب الآخرين عند وصفهم لمدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى.

وقد زار الإسكندرية الرحالة اليهودى "بنيامين التطيلى" فى السنوات الأولى من حكم صلاح الدين - أى قبل زيارة ابن جـبـير لهـا بنحو ١٧سنة - ووصف المدينة وشوارعها ومبانيها وصفًا ممتعًا لا يختلف كثيراً عن وصف ابن جبير لها، وإن كان هذا الوصف يؤكد أن المدينة كانت لا تزال تحافظ على تخطيطها العام الذى عرفت به من أقدم العصور، فقد قال: "ومدينة الإسكندرية مشيدة على طبقات، معقود تحتها الكهوف والمغاور، وشوارعها مستقيمة لا يحد البصر آخرها لطولها. فالشارع الممتد من باب رشيد إلى باب البحر ينوف على الميل طولاً، وفى مرساها رصيف يمتد فى البحر إلى مسافة ميل أيضًا.

ثم عنى عناية خاصة بوصف منار الإسكندرية، وأتى على طرف من تاريخه ختمه بقوله: "ولا يزال منار الإسكندرية يهدى السفن الغادية والرائحة، ويشاهد عن بعد مائة ميل نهاراً، وفى الليل ينبعث منه نور يهتدى به الملاحون".

وأهم ما فى وصف بنيامين وصف دقيق مفصل أحصى فيه الممالك والأقطار الأجنبية التى كانت تتبادل التجارة مع الإسكندرية فى ذلك الوقت، ومن هذا الوصف نعرف أن أنواع التجارة وألوانها المختلفة كانت تتدفق إلى الإسكندرية من كل بلدان أوروبا المسيحية، ومن كل بلدان الشرق الإسلامية والخارجية، فقد زارها الرحالة ابن جبير آواخر سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢م) ووصفها بقوله: "إنا ما شهدنا بلداً أوسع مسالك منه، ولا أعلى مبنى، ولا أعتق ولا أحفل منه. وأسواقه فى نهاية من الاحتفال أيضًا، ومن العجب فى وضعه أن بناءه تحت الأرض كبنائه فوقها وأعتق وأمتن، لأن الماء من النيل يخترق ديارها وأزقتها تحت الأرض، فتتصل الآبار بعضها ببعض، ويمد بعضها بعضًا... وهو من أكثر بلاد الله مساجد، حتى إن تقدير الناس لها يختلف، فمنهم المكثر والمقل، فالمكثر ينتهى فى تقديره إلى اثنى عشر ألف مسجد، والمقل ما دون ذلك، ولا ينضبط، فمنهم من يقول ثمانية آلاف، ومنهم من يقول غير ذلك، وبالجملة فهى كثيرة جداً، تكون منها الأربعة والخمسة فى موضع، وربما كانت مركّبة. وكلها بأئمة مرتبين من قبل السلطان، فمنهم من له خمسة دنانير مصرية فى الشهر... ومنهم من له فوق ذلك، ومنهم من له دونه، وهذه منقبة كبيرة من مناقب السلطان (يقصد صلاح الدين) إلى غير ذلك مما يطول ذكره فى المآثر... ".

هذا وصف هام للمدينة وعمرانها فى أوائل عصر صلاح الدين، وإن كان يعيبه شيء من المبالغة والإجمال، فهو لا يعين بالاسم أهم هذه المساجد والمنشآت أو يحدد مواضعها، إلا أنه وصف صادق تؤيده الرسومات التى رسمت للمدينة فى العصور الوسطى، فهناك رسمان تم رسمهما فى القرنين ١٥ و١٦ يبدو فيهما واضحًا فروع الخليج التى تخترق شوارع المدينة لتمد منازلها وآبارها وصهاريجها بالمياه العذبة، كما تبدو فيهما بوضوح أيضًا هذه المآذن الكثيرة التى - كما يقول ابن جبير - بين ثمانية آلاف فى رأى المقل، واثنى عشر ألفًا فى رأى المكثر.

والجدير فى وصفه إشارة إلى نوع جديد من المنشآت عرفته الإسكندرية والثغور المصرية فى العصور الوسطى، وهو الفنادق التى كان يأوى إليها تجار المماليك والدول الأوروبية المختلفة، ويسكنون فى أعاليها، فيشتريها تجار ويعرضون بضاعتهم فى أسفلها، قال بنيامين: "وتأتيها من الهند التوابل والعطور بأنواعها، فيشتريها تجار النصارى، ولتجار كل أمة فندقهم الخاص بهم، وهم فى ضجة وجلبة يبيعون ويشترون"، وهو إن لم يشر وصفه إلى مكان هذه الفنادق أو يصفها فإننا نستطيع أن نرجح أنها كانت تقوم داخل المدينة بالقرب من باب البحر الذى كان يطل على الميناء الشرقية مباشرة – مرسى سفنهم – أى حيث يقوم حى المنشية وشارع الميدان الحاليان.

وإن كانت رحلة بنيامين تعطينا صورة واضحة عن تجار الإسكندرية الخارجية فى عصر صلاح الدين فإن كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى به إشارات كثيرة إلى نشاط التجارة الداخلية للإسكندرية فى هذا العصر.

وعلى نهج صلاح الدين فى العناية بالإسكندرية سار معظم من أتى بعده من ملوك بنى أيوب، فإن المراجع تذكر أن ابنه العزيز عثمان زار المدينة مرتين – على الرغم من قصر مدة حكمه – للإشراف على شئونها، وأن أخاه العادل أبا بكر زارها ثلاث مرات "لكشف أحوالها" ولكننا مع هذا لا نعرف أن أحداً منهم قد أقام بها منشآت جديدة.

الإسكندرية فى العصر المملوكى

وفى عصر المماليك ارتفعت مكانة الإسكندرية حتى أصبحت ميناء مصر الأولى، وثانى مدينة بعد القاهرة، وذلك لسببين: أحدهما اقتصادى، والثانى حربى.

أما السبب الاقتصادى فمرجعه أن تجارة مصر الخارجية مع الشرق والغرب قد ازدهرت فى هذا العصر ازدهاراً عظيماً، حتى لقد أصبحت الرسوم على التجارة الخارجية تكون جزءاً كبيرا من دخل الدولة، واذا كانت الإسكندرية هى ميناء المرور لهذه التجارة الشرقية والغربية، فإنه من السهل أن نتصور مبلغ ما نعمت به المدينة وأهلها من رخاء وثروة، ومبلغ ما كان لهذه الثروة من أثر فى عمرانها ونموها وازدهارها.

وأما السبب الحربى فمرجعه إلى تحول أنظار الصليبيين، أو بعبارة أدق – بقاياهم فى جزر البحر المتوسط وأوروبا – إلى الإسكندرية بعد أن منيت الحركة الصليبية بالفشل الذريع فى حملتيها على دمياط فى عهدى الملك الكامل محمد والملك الصالح نجم الدين أيوب.

وقد رأت الدولة المملوكية بعد فشل الحملة الأخيرة الصواب فى هدم مدينة دمياط حتى لا يفكر الصليبيون فى تجديد الإغارة عليها، ومنذ ذلك الحين، ومنذ أحس سلاطين المماليك تحول الأنظار إلى الإسكندرية بدأت عنايتهم بهذه المدينة، واستجاب الأهالى لهذه الرغبة، فأخذوا يعملون من جانبهم على المشاركة فى تحصين المدينة والدفاع عنها.

أما تخطيط المدينة العام فلم يتغير فى هذا العصر، وإنما بقى هو هو كما عهدناه فى العصور السالفة، وإنما خضعت المدينة فى هذا العصر لشىء من التغيير تبدو مظاهره فى زوال بعض المنشآت القديمة المعروفة، وإقامة منشآت جديدة كثيرة هى صدى للرخاء الاقتصادى الذى نعمت به المدينة فى هذا العصر، وللعناية البالغة التى أسبغها سلاطين المماليك على المدينة.

أما المنشآت الجديدة فكانت فى معظمها من وحى الروح التى سادت العصر، وهى روح الجهاد الدينى: الجهاد بالسلاح والجهاد بالعلم، لهذا امتدت الحركة التى امتاز بها العصران الأيوبى والمملوكى، وهى حركة إنشاء المدارس والخوانق والربط والزوايا حتى شملت الإسكندرية، فأنشئ فى الإسكندرية فى العصر المملوكى عدد كبير من هذه المؤسسات العلمية التى تقوم فى معظمها على أساس من التصوف وما يستتبعه من شعر صوفى ودراسات وابتهالات صوفية، وفى أقلها التفقه فى العلوم المختلفة.

مسجد أبى العباس المرسى:

توفى هذا الصوفى المغربى العظيم فى ذى القعدة سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٧) فدفن فى قبره المعروف بالجبانة القديمة إزاء رباط الشاطبى خارج باب البحر من ظاهر الإسكندرية قريبًا من قبة المغاورى، وظل قبره قائمًا وحده دون بناء يحيط به، ويقصده الزوار للتبرك به إلى أن كانت سنة ٧٠٦ (١٣٠٧) حيث زاره كبير تجار الإسكندرية وقتذاك الشيخ زين الدين بن القطن، وبعد هذه الزيارة بنى على القبر ضريحًا وقبة، وأنشأ له مسجداً حسنًا ذا منارة مربعة الشكل، وحبس على الجميع بعض أملاكه.

أما عناية السلاطين فكانت أهدافها المنشآت الحربية والدينية والعمرانية القديمة فى المدينة، يوالونها بالإصلاح والترميم والتحصين والتقوية، وقد يقيمون إلى جانبها منشآت جديدة من نفس النوع، وأهم ما عنى به سلاطين المماليك من هذه المنشآت:

المنارة، والأسوار، وما يتصل بها من قلاع وأبراج وحصون، والخليج، والدور الحكومية المختلفة: كدار الصناعة، ودار الطراز، ودار الضرب، ودار النيابة، وخزائن السلاح، إلخ، وأخيراً المساجد والمدارس، وما يتصل بها.

كان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى أول من توفر على العناية بالإسكندرية من سلاطين المماليك، فقد ذكرت المراجع أنه زار المدينة أربع مرات، وأنه كان يترك بها في كل زيارة من هذه الزيارات أثراً يدل على مبلغ اهتمامه بها.

أما الزيارة الأولى فقد وصفها المؤرخ جمال الدين بن واصل فى كتابه "مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب" لوصفه أهمية خاصة فقد كان شاهد عيان لها، لأنه كان فى معية السلطان، وقد ذكر فى هذا الوصف أن السلطان دخل من باب رشيد، وأنه أمضى نهاره كله فى الإشراف على مهمات الثغر وأمور المدينة، ثم أمر بكسوة الجامع وعمل قناديله وعمارته من ماله الخاص، واتجه بعد ذلك لزيارة الشيخ القبارى – وكان يقيم فى بستانه بأطراف المدينة، فلما أتاه وتحدث إليه لم يكن الشيخ من حاجة يزجيها إلى السلطان إلا نصحه إياه أن يعنى بعمارة الثغر وتحصينه، فقدر بيبرس نصحه وخرج من عنده فقصد مباشرة إلى أسوار المدينة فطاف بها وأمر بترميمها والعناية بها، ثم اتجه بعد ذلك لزيارة شيخ الإسكندرية ومتصوفها الثانى الشيخ الشاطبى.

وفى زيارته الثانية سنة٦٦٤هـ (١٢٦٥) لاحظ بيبرس أن خليج الإسكندرية قد طمرته الرمال فى بعض أطرافه، فاهتم بحفره، وباشر الحفر بنفسه، وعمل فيه الأمراء وسائر الناس حتى زالت الرمال التى كانت على الساحل.

وفى سنة ٦٧١ (١٢٧٢) علم بيبرس – وهو مقيم بالقاهرة – بتأهب الفرنج للحركة نحو ثغور مصر، فاهتم بأمر الشوانى "ونصب على أسوار الإسكندرية نحو مائة منجنيق" لإحكام الدفاع عنها.

وفى زيارته الرابعة سنة ٦٧٣ (١٢٧٤) لاحظ بيبرس أن منارة الإسكندرية قد تهدمت وتشعث بناؤها، فأمر ببناء ما تهدم منها، وأنشأ فى أعلاها مسجداً مكان قبة كان قد أقامها هناك أحمد بن طولون، ثم أسقطتها الرياح فى سنوات سالفة.

وكان الناصر محمد بن قلاوون ثانى من اهتم بثغر الإسكندرية من سلاطين المماليك، ففى سنة ٧٠٢ (١٣٠٢) وفى عهد سلطنته الثانية، حدث بالشرق الأدنى زلزال، وأصاب هذا الزلزال فيما أصاب مدينة الإسكندرية ومنارها وسورها وحصونها، وقد روى المقريزى أن ما هدم من السور كان ستًا وأربعين بدنة وسبعة عشر برجًا، وأن السلطان قد كتب إلى والى الإسكندرية بعمارتها فعمرها، أما المنار - وكان قد سقط من أعلاه نحو أربعين شرفة - فقد عمره الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٣ هـ.

ويبدو أن العناية بترميم ما هدم من المنار لم تكن كبيرة، فقد زاره ابن بطوطة فى رحلته الأولى إلى مصر سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥) أى بعد حوادث الزلزال بثلاث وعشرين سنة - وقرر أنه رأى أحد جوانبه مهدمًا، ولعل السر فى هذا أن الناصر محمد كان قد اعتزم إقامة منار جديد بإزاء المنار القديم، لهذا أهمل المنار القديم طول عهده حتى نالت منه يد البلى والخراب، ولم يعد صالحًا للاستعمال البتة، فلما زاره ابن بطوطة فى رحلته الثانية فى سنة٧٥٠ (١٣٤٩ - ١٣٥٠) وصفه بقوله: "وقصدت المنار عند عودتى إلى بلاد المغرب عام خمسين وسبعمائة، فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ولا الصعود إلى بابه، وكان الملك الناصر قد شرع فى بناء منار مثله بإزائه فعاقه الموت عن إتمامه".

ولهذا الوصف أهمية خاصة، فهو يشير إلى معلم جديد من معالم المدينة، وهو المنار الجديد الذى أنشئ بإزاء المنار القديم - أى فى نهاية رأس لوكياس أو رأس السلسلة - وأن هذا المنار بدئ فى بنائه فى عهد الناصر محمد بن قلاوون، وأنه تم فى عهود من أتى بعده من السلاطين، ويؤكد أقوال ابن بطوطة أننا نرى هذا المنار الجديد

مثبتًا واضحًا فى الرسومات التى رسمت للمدينة بعد ذلك بقليل فى القرن الخامس عشر الميلادى وما بعده.

أما أكبر هدية قدمها الناصر للإسكندرية فهى الخليج الناصرى، فقد بلغه فى سنة ٧١٠ – وفى عهد سلطنته الثالثة – أن خليج الإسكندرية القديم قد طمرته الرمال فلم تعد مياه النيل تصل إلى المدينة، وأصبح سكانها يشربون من المياه المخزونة فى الصهاريج، وأن السفن لم تعد تصل بالتجارة وبالبضائع إلى الإسكندرية، وسافر متولى الإسكندرية إلى القاهرة وقابل السلطان الناصر، وبين له المنافع التى تعود على المدينة بخاصة، وعلى الدولة بعامة لو أعيد حفر الخليج.

وأعجب السلطان بالفكرة، وندب الأمراء للإشراف على تنفيذ المشروع، وكان يشترك فى حفر الخليج أربعون ألف رجل، وأفرد لأهل كل ناحية قطعة يحفرونها حتى كمل، وتنفيذ هذا المشروع يعد من أهم الأعمال العمرانية التى تمت فى عهد الناصر محمد – إن لم يكن أهمها – فقد انتقل بمخرج الخليج من الضهرية (أو الظاهرية وهى شمال كفر الزيات بقليل) إلى العطف حيث تخرج ترعة المحمودية الحالية، ثم أنشأ الجزء الواصل من العطف إلى كفر الحماية إلى الإسكندرية، وعظمت المنفعة بتنفيذ هذا المشروع، فإن السفن جرت فيه طول السنة، واستغنى أهل الإسكندرية عن شرب ماء الصهاريج، وبادر الناس للعمارة على جانبى الخليج، فلم يمض غير قليل حتى استجد – كما يقول المقريزى – ما يزيد على مائة ألف فدان زرعت بعد ما كانت سباخًا، وما ينيف على ستمائة ساقية برسم القلقاس والنيلة والسمسم، وفوق الأربعين ضيعة، وأزيد من ألف غيط بالإسكندرية، وعمرت منه عدة بلاد كثيرة، وتحول عالم عظيم إلى سكنى ما استجد فيه.

يعنينا من هذا الوصف ما يشير إليه المقريزى من آثار حفر هذا الخليج على المدينة تجاريًا وعمرانيًا، وإمكان زراعة ألف غيط جديد داخل مدينة الإسكندرية، وهذه حقيقة تؤكدها رسومات المدينة، فالأجزاء الجنوبية من المدينة تغطيها فى هذه الرسومات الحقول والبساتين.

وظل هذا الخليج الذى سمى بالناصرى منذ ذلك الحين يجلب هذه المنافع إلى الإسكندرية ومديرية البحيرة ستين سنة كاملة، أى إلى سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨) حيث قلت العناية بتطهيره، فطمرته الرمال، وصار الماء لا يدخل إليه إلا فى أيام الفيضان، ثم يجف زمن التحاريق، فتلف من أجل هذا أكثر بساتين الإسكندرية وخربت، وتلاشى كثير من القرى التى قامت على ضفتى هذا الخليج، وظل الخليج على هذه الحال السيئة ستًا وخمسين سنة أخرى إلى أن تداركه السلطان الملك الأشرف برسباى بعنايته، فأعاد حفره فى سنة ٨٢٦ (١٤٢٣).

وتوفى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وخلفه على عرش مصر عدد كبير من أولاده وأحفاده لم تكن لهم شخصيته الفذة ولا همته العالية، بل كان معظمهم أطفالاً صغار السن، فاستبد بشئون الملك دونهم كبار الأمراء من المماليك، وكثرت المنافسات بين هؤلاء الأمراء حتى شغلهم النزاع فى سبيل الاستئثار بالسلطان عن العناية بشئون مصر عامة، والثغور خاصة.

واتجهت أنظار بقايا الصليبيين فى قبرص إلى الإسكندرية، ووصلت أساطيلهم بقيادة "بطرس لوسيان PiERRE I de Lusignan ملك قبرص إليها فى سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥) أى فى عهد السلطان الطفل الأشرف شعبان حفيد الناصر محمد.

واستطاع جنود هذه الحملة أن ينزلوا إلى البر، وأن يقتحموا أبواب المدينة ويدخلوها بعد مقاومة ضئيلة، ولم يستطع جنغرا - والى المدينة - أن يصمد لمقاومة القبارصة، ففر إلى دمنهور، وفر معه من استطاع النجاة بنفسه من الجند والأهالى، وعاث الصليبيون فى المدينة فسادًا، فقتلوا معظم من بقى بها، وأسروا الباقين، وخربوا المدينة تخريبًا تامًا، وهدموا دورها وقصورها، ونهبوا فنادقها ومتاجرها، ونقلوا هذا كله إلى سفنهم، ولم ينقذ المدينة إلا اختلاف دب بين رجال الحملة، فقرروا مغادرة الإسكندرية والعودة إلى جزيرتهم بعد أن قضوا بها أربعة أيام لم يتوانوا خلالها عن التخريب والتدمير والنهب والسلب، ووصلت نجدة السلطان بعد أن غادر جنود الأعداء المدينة، وبعد أن "أخذوا من الأموال ذهبًا وحريرًا وبهارًا وغير ذلك ما لا يحد ولا يوصف".

وقد شعر السلطان الملك الأشرف شعبان منذ تلك الواقعة أن الإسكندرية قد غدت محط أنظار الفرنج، فزادت عنايته بها، ورفع مكانتها، وزاد في قدر حاكمها، فبعد أن كانت ولاية يليها وال من أمراء الطبلخاناه جعلها الأشرف شعبان - في نفس السنة التي غزاها فيها القبارصة - نيابة يحكمها نائب من الأمراء المقدمين، له ما للسلطان في القاهرة، فله دار النيابة - وهي مقر حكمه - وجعل في دار النيابة هذه كرسيًا للسلطنة، كما رسم بأن يكون للنائب مواكب رسمية خاصة تسير في طريق محدد - شأن المواكب السلطانية بالقاهرة - فكان موكب نائب الإسكندرية يبدأ من دار النيابة، فيخرج من باب البحر ويسير خارج المدينة قدر ساعة، ثم يعود من نفس الطريق إلى دار النيابة، فإذا كان الموكب من المواكب التي يتلوها السماط وضع كرسيًا السلطنة في صدر الإيوان مغشى بالأطلس الأصفر، ووضع عليه سيف بمنجاة سلطانية، ومد السماط تحته، وجلس النائب في ناحية من الإيوان بجوار شباك يطل على الميناء، وجلس رجال الدولة بترتيب خاص، شأنهم في ذلك شأن رجال الدولة في مجلس السلطان بالقلعة.

وهذا الوصف للموكب، وإن كان لا يحدد موقع دار النيابة تحديدًا دقيقًا، فإنه يمكن تحديد هذا الموقع تحديدًا تقريبيًا، لأنه ينص على أن شباكها الذي كان يجلس النائب إلى جانبه كان يطل على الميناء، والمقصود هنا الميناء الشرقية، لأن الوصف نص مرة ثانية على أن الموكب كان يبدأ من دار النيابة، ثم يخرج من باب البحر، وباب البحر هو المؤدي إلى الميناء الشرقية، فدار النيابة إذن كانت في مكان ما بميدان محمد علي الحالي بحيث تطل على الميناء الشرقية.

ولهذا الوصف أهمية أخرى عند التعرف على طبوغرافية المدينة في هذا العصر المملوكي، فهو ينص على أن الموكب كان يسير بعد خروجه من باب البحر خارج المدينة قدر ساعة، أي أن هذه الرقبة التي تصل المدينة بجزيرة فاروس كانت حتى أواخر القرن الثامن الهجري لا تزال تعتبر من أرباض المدينة، وأنها لم تكن قد سكنت بعد، وستفيدنا هذه الحقيقة عند تتبع طبوغرافية المدينة وما طرأ عليها في العصر العثماني،

فإن العمران سيتحول فى هذا العصر عن المدينة، ويمتد إلى هذه الرقبة ويستقر بها حيث تصبح هى وحدها المدينة كل المدينة.

وفى سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ - ١٣٦٩) كان السلطان الملك الأشرف شعبان قد شارف البلوغ وقارب السادسة عشرة من عمره، واستطاع أن يدبر شئون الحكم بنفسه، فرأى أن يذهب إلى الإسكندرية ليشرف على حصونها ومنشآتها وأسوارها ووسائل الدفاع عنها، وقد شاهد هذه الزيارة المؤرخ السكندرى محمد بن القاسم بن محمد النويرى، ووصفها وصفًا مسهبًا، ولهذا الوصف قيمة خاصة لأنه يتضمن بيانات نادرة عن تاريخ المدينة وطبوغرافيتها فى ذلك الوقت، وبمراجعته نستطيع أن نرسم تصورًا تفصيليًا للمدينة وأسوارها وأبوابها والكثير من أحيائها ومعالمها وشوارعها فى ذلك العصر، فهو يذكر أن السلطان دخل المدينة من باب رشيد، ثم يعدد الأحياء التى مر بها إلى أن وصل إلى باب البحر المقابل للميناء الشرقية، فيقول إنه سار بعد دخوله من باب رشيد - فيما كان يسمى وقتذاك بالمحجة العظمى - وهو ما نرجح أن يكون شارع فؤاد الأول الحالى أو الطريق الكانوبى القديم - ومنها إلى جفار القصارين، إلى الصادر، إلى أن خرج من باب البحر، فنثر عليه مقابل دار العدل ودار الطراز دنانير كثيرة التقطها الناس.

هذه أحياء ومعالم قد زالت ولم يعد لها أثر فى الإسكندرية الحديثة، وإنما بقيت لها دلالاتها الهامة عند كتابة تاريخ المدينة العمرانى والاقتصادى، فالنويرى يذكر أن الطريق إلى باب البحر كان فى نهايته - وبالقرب من هذا الباب - جفار القصارين، وهو ساحة يباشر فيها القصارون تقصير الثياب، أى دقها وضربها، وهى مرحلة صناعة النسيج فى تلك العصور، وبالقرب من ذلك الجفار معلمان اقتصاديان هامان، أحدهما له أهمية تجارية. وهو الصادر، أى مخازن التجارة الصادرة إلى الخارج تحملها سفن الفرنجة التى كانت تفد إلى الميناء الشرقية فحسب، ولا تجرؤ على الدخول فى الميناء الغربية الخاصة بسفن المسلمين، وثانيهما له أهمية صناعية وهو دار الطراز، ودار الطراز مصطلح كان يطلق فى تلك العصور على مصنع النسيج، وهى

على نوعين: دار الطراز الخاصة وبها تنسج ملابس السلطان وخاصته وحريمه، والخلع على رجال الدولة فى المناسبات الخاصة، ودار الطراز العامة، وبها تنسج الأقمشة الشعبية.

ويفهم من وصف النويرى أيضًا أن الإسكندرية فى أواخر القرن الثامن الهجرى كان يحيط بها أسوار ثلاثة، أحدها داخلى مما يلى البلد، وثانيها خارجى يشرف على ما يحيط بها، والثالث بينهما، فهو يقول وهو يصف موكب السلطان عند دخوله المدينة: "... إلى أن خرج من باب البحر الذى يلى البلد، ثم سار وخرج من باب البحر الثانى، ثم الثالث، فشاهد البحر المالح، والميناء بها مراكب الفرنج".

وكان هناك بين كل سور والآخر فاصل يفصل بينهما، كما كان للسور الخارجى المطل على البحر أبراج وقلاع ضخمة مشحونة بالعدد والأسلحة والأتراس وتخفق عليها الأعلام.

وكان للسور الخارجى أبواب عدة، أهمها: باب رشيد فى شرق المدينة، وباب البحر فى شمالها، الباب الأخضر وباب القرافة فى غربها، وباب سدرة أو باب العمود أو باب البهار فى جنوبها.

وذكر النويرى أيضًا أن الأشرف شعبان لما خرج من باب البحر الخارجى شاهد الخندق الجديد الذى أنشأه نائب المدينة الأمير صلاح الدين بن عرام بعد واقعة القبارصة "ولم يكن قبل ذلك فى المكان خندق"، كما ذكر أنه كان هناك خندق آخر يحيط بالسور من ناحيته الغربية عند الباب الأخضر.

وفى وصف النويرى تحديد لبعض معالم المدينة الهامة الأخرى، فهو يذكر أن دار صناعة السفن كانت تقوم بالقرب من دار الطراز، وأنه كان بالمدينة داران للصناعة إحداهما بالميناء الشرقية، والثانية بالميناء الغربية، كما كان قصر السلاح بالقرب من الباب الأخضر، وهو قصر ذو قاعات كثيرة مملوءة بالأسلحة والعدة والعتاد، أنشأ كلاً منها سلطان من سلاطين المماليك وسماها باسمه، وقد رسم السلطان الأشرف شعبان

– فى زيارته هذه – أن تُنشَأ بالقصر قاعة جديدة تحمل اسمه، وكان لهذا القصر مسجد ملحق به، وبالقرب من الباب الأخضر أيضًا يقوم ضريح الشيخ أبى بكر الطرطوشى، وعلى مسافة منه الجامع الغربى أكبر جوامع المدينة فى ذلك العصر.

هذه هى الإسكندرية حتى أواخر القرن الثامن الهجرى (١٤م)، غير أننا نلاحظ أن غزوة القبارصة كانت بالغة الأثر فى تاريخ المدينة وعمرانها، فقد قضت على الكثيرين من سكانها قتلاً وأسرًا، كما خربت الكثير من معالمها، أما أهلها الذين فروا منها فى أثناء الواقعة، فإنهم لم يعودوا إليها جميعًا، فقل سكانها، واتضعت أحوالها، يقرر هذه الحقيقة المقريزى بقوله: "... فكانت هذه الواقعة من أشنع ما مر بالإسكندرية من الحوادث، ومنها اختلت أحوالها واتضع أهلها، وقلت أموالهم، وزالت نعمهم".

فإذا كان القرن التاسع الهجرى سارت الإسكندرية نحو التأخر والخراب خطوات حثيثة، ولم يلتفت إليها من سلاطين هذا القرن إلا اثنان: الأشرف برسباى الذى أمر فى سنة ٨٢٦ بإعادة حفر خليجها، وكانت قد طمرته الرمال وتعطلت السفن عن السير فيه، والأشرف قايتباى الذى زار المدينة فى سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧)، وأمر ببناء برجه الجديد حيث كانت تقوم المنارة القديمة التى كانت قد تهدمت تمامًا فى ذلك الوقت، وقد تم بناء هذا البرج بعد سنتين – أى فى سنة ٨٨٤ (١٤٧٩)، وهو ما عرف ببرج قايتباى ثم طابية قايتباى، التى لا تزال قائمة فى مكانها حتى اليوم، والتى أصبحت منذ ذلك الوقت من أهم المعالم المميزة للمدينة، وإن كان قد نالها شىء من التغيير، وخصوصًا زوال مسجدها الذى كان يبدو واضحًا بمئذنته العالية فى الرسومات التى رسمت للمدينة فى القرون ١٦، ١٧، ١٨، .

ونضيف إلى ما سبق أن بعض نواب المدينة كانوا يبذلون بعض الجهد لإصلاح أحوال المدينة، وقد أقام نفر منهم بعض المنشآت فيها، ومن هؤلاء:

الأمير قجماس الإسحاقى الظاهرى الذى ولى نيابة المدينة من سنة ٨٧٥ إلى سنة ٨٨٠ ، فإن المراجع تذكر أنه بنى بها مسجدًا خارج باب رشيد، وأنشأ إلى جانبه تربة

له وخانًا يأوى إليه المسافرون لينالوا شيئًا من الراحة قبل دخولهم المدينة، كما أنه أنشا رباطًا خارج باب البحر، وجدد جامع الصوارى خارج باب سدرة، وقد زالت مبانيه هذه جميعًا ولم يبق لها أثر.

وفى السنوات الأولى من القرن العاشر الهجرى (١٦ م)، كانت الدولة المملوكية قد نال منها الإعياء، وأوشكت أن تحتضر، وكانت الإسكندرية كلها قد انحدرت إلى حال من السوء شديدة يصورها ابن إياس تصويراً واضحًا وهو يصف زيارة السلطان الغورى لها، فيقول: "فلما شق (أى الغورى) المدينة زينت له زينة قشروية، وكان ثغر الإسكندرية يومئذ فى غاية الترحل والخراب" ثم يقول: "ولم يكن بثغر الإسكندرية يومئذ أحد من أعيان التجار- لا من المسلمين ولا من الفرنجة، وكانت المدينة فى غاية الخراب بسبب ظلم النائب وجور القباض، فإنهم يأخذون من التجار العُشر عشرة أمثال، فامتنع تجار الفرنج والمغاربة من الدخول إلى الثغر، فتلاشى أمر المدينة، وآل أمرها إلى الخراب حتى قيل: طلب الخبز بها فلم يوجد، ولا الأكل، ووجد بها بعض دكاكين مفتحة، والبقية خراب لم تفتح، وكانت الإسكندرية من أجمل مدائن الدنيا".

الإسكندرية فى العصر العثمانى

هذه الصورة الشوهاء التى رسمها ابن إياس لمدينة الإسكندرية فى السنوات الأولى من القرن السادس عشر- أى قبيل الفتح العثمانى لمصر مباشرة - تدل على مبلغ ما وصلت إليه المدينة من تأخر واضمحلال، فلما فقدت مصر استقلالها، وأصبحت ولاية تابعة للدولة العثمانية أصاب الإسكندرية ما أصاب مصر جميعها من إهمال، فانكمشت عن ذى قبل، ونعق بوم الخراب فى نواحيها، وأقفرت شوارعها، وخربت دورها، وأصبح العمران مقصوراً فيها على هذه الرقبة الممتدة بين الشاطئ وجزيرة فاروس والمطلة على المينائين، فقد كان رصيف الهيباستاديوم عندما تحطم فى العصر العربى قد تراكمت عليه الرواسب شيئًا فشيئًا إلى أن اتسعت رقعته، فأقيمت عليه المبانى.

هذه الرقعة كانت تعتبر حتى أواخر القرن الثامن الهجرى من أرباض المدينة، ولكنها فى العصر العثمانى أصبحت من المدينة ذاتها، ولهذا تسميها الرسومات التى رسمت للمدينة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بالمدينة التركية، فى حين تسمى المدينة الأصلية المحاطة بالأسوار المدينة العربية، وهذه المدينة الأصلية أصبحت فى العصر العثمانى مهجورة ذات أطلال وخرائب، وتنتشر فى نواحيها بعض الحقول والبساتين، أما الأسوار وأبراجها فقد نالت منها يد البلى، وأصبحت غير ذات غناء.

وعملت عوامل أخرى على تأخر المدينة واضمحلالها، فقد صحب الفتح العثمانى كشف طريق رأس الرجاء الصالح وتحول التجارة العالمية إليه، ففقدت المدينة بذلك أهميتها التجارية، وانقطعت الصلة بينها وبين أوروبا والعالم الخارجى، وبخاصة بعد أن اضمحل شأن معظم الدول التى كانت تتجر مع مصر وأهمها جمهورية البندقية والجمهوريات الإيطالية الأخرى، وضعفت كذلك صلة الإسكندرية بموانى الشام والدولة العثمانية، فقد حلت مكانها دمياط ورشيد لأنهما أقرب منها إلى هذه الموانئ.

موقف القبط واليهود

من الفتح العربى للإسكندرية

لسنا من دراستنا لأحوال القبط واليهود السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية قبيل الفتح العربى، أن الظروف كانت مهيأة لقدوم العرب الفاتحين. وفى الحقيقة كان الفتح العربى لمصر هو حلقة من حلقات سلسلة الفتوحات العربية الإسلامية، من أجل تحقق عالمية الدين الإسلامى. ويرتبط موقف الأهالى فى مصر من الفتح العربى بموقف الدولة الرومانية من الدعوة الإسلامية ومن الدولة العربية الإسلامية التى قامت فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، بعد الهجرة، فى المدينة، وما لبثت أن اتسعت فى أواخر عهد الرسول فشملت كل أرجاء الجزيرة العربية.

بعد البعثة النبوية دعا محمد صلى الله عليه وسلم، إلى الإسلام فى شبه الجزيرة العربية سراً ثم جهرا، وانتقلت الدعوة من مكة إلى المدينة بعد الهجرة إليها. وبعد عقد الرسول لصلح الحديبية، وتوقيع هدنة مع قريش، رأى الرسول أن يبدأ الخطوة الأولى نحو تحقيق عالمية الدعوة الإسلامية فيدعو ملوك وأمراء الدول المعاصرة. فبعث الرسول إليهم كتبًا يدعوهم فيها إلى الإسلام، ومن هؤلاء الملوك والأمراء، هرقل إمبراطور الدولة الرومانية، والمقوقس حاكم مصر والإسكندرية.

بعث الرسول إلى الإمبراطور هرقل، دحية بن خليفة الكلبى فى سنة ٦ هـ. وقد أوصاه بأن يعطى الكتاب لعظيم بصرى، ليسلمه إلى هرقل الذى كان حينئذ بمدينة حمص بالشام. وجاء فى خطاب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى هرقل:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ...".

وتعـددت روايات المؤرخين عن مـوقف هرقل من كـتـاب الرسـول صلى الله عليـه وسلم، فيقول ابن سعد: إن هـرقل لما قرأ الكتاب، جمع كبار الرومـان فى دسكرة[٥] له بحـمص، ودعـاهم إلى الإيمان بالنبى العـربى، واعـتناق الإسـلام. إلا أنهـم اعـتـرضـوا وغـضـبـوا ، فلمـا رأى هرقل ذلك "يئس من إسـلامـهم، وخـاف منهم على نفسـه وملكه" فسكن من روعـهم قائلاً: أنه أراد أن يختبر إيمانهم بالمسيح، وأنـه سر منهم لتمسكهم بعقيدتهم، ورفضهم الدين الإسلامى الجديد.

وتحدث أحد الأسـاقفة النصـارى – فى عـهد الخليفة عبد الملك بن مروان – إلى بعض العلماء، عما كـان من مـوقف هرقل من كتاب رسول الله. فقال إنه بعد أن تسلم هرقل الكتاب، كتب إلى بعض أصحابه ممن يقرأ العبرانية بشأن النبى المنتظر ونصحه بأن يتبعه ويصدق دعوته.

فلما علم هرقل بذلك جمع عظماء الرومان فى دسكرة، وأخبرهم بكتاب النبى الذى يدعوه إلى الإسلام، وذكر لهم أن هذا النبى هو الذى نجد الإشارة إليه فى كتبهم، فمن الخير أن يصدقوا بما جاء به، حتى يأمنوا جانب قومه العرب.

غـضب الرومـان من حـديث الإمـبراطور هرقل، وأسـرعوا بـالخروج من الدسكرة ولكنها كانت مغلقة عليهم، فأعـادهـم هرقل، وقال لهم: "يا معشـر الروم، إنى قد قلت لكم المقالة التى قلت لأنظر كيف صـلابتكم على دينكم لهذا الأمر الذى قد حدث، وقد رأيت منكم الذى أسر به".

وتشـير رواية ثالثة إلى تـرحيب هرقل برسـول النبى صـلى الله عليه وسلم، وتذكر أن هرقل رحب بدحية، وأخبره أنه يعلم تمامًا أن النبى العربى، هو النبى المنتظر، وهو يجـد اسـمـه فى كـتـبـهم ، ثم قـال هرقل: "ولكنى أخـاف الروم على نفسـى، ولولا ذلك لاتبعتـه" وطلب من دحية أن يذهب إلى الأسـقف "ضـغـاطر" ويخبره بأمر النبى وذهب دحـيـة إلى هـذا الأسـقف وأعلمـه بمـا دار بينه وبين هـرقل حـول النبى صلى الله وعليـه وسلم. وأبدى الأسـقـف "ضـغـاطر" سـروره، وخلع ثـيـابه السـوداء، وارتـدى رداء أبيض

اللون وأمسك عصاه بيده، وخرج إلى الكنيسة، وقال لمن كان بها من الرومان: "يا معشر الروم، إنه قد جاء كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله عز وجل، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أحمد عبده ورسوله" ورفض الرومان هذه الدعوة وقتلوا الأسقف.

نستخلص من الروايات التاريخية السابقة أن هرقل كان يميل إلى اعتناق الإسلام وأنه دعا الرومان إلى اعتناقه، ولكنهم رفضوا الدعوة فنزل هرقل عند رغبتهم خوفًا منهم على نفسه وعلى ملكه، وزعم أنه كان يريد اختبار مدى تمسكهم بعقيدتهم، خوفًا منهم وأنه اطمأن لما لمسه فيهم من الصلابة والتمسك بدينهم . كان العرب المسلمون قد أصبحوا وحدة سياسية واجتماعية قوية فضلاً عن كونهم وحدة دينية. وكان هرقل يدرك أن الدولة العربية الإسلامية التى قامت فى المدينة آخذة فى القوة والاتساع، مما يهدد المصالح الرومانية، كما رأى هرقل تجنب الصدام العسكرى مع هذه الدولة الإسلامية الجديدة، فى وقت أنهك الجيش الرومانى قواه فى حروبه مع الدولة الفارسية.

ويروى الطبرى أن هرقل جمع بعد ذلك كبار الشخصيات الرومانية وعرض عليهم الإيمان بالنبى الجديد، ولكنهم رفضوا دعوته فى شدة وقالوا مستنكرين حديثه: "نحن نكون تحت العرب، ونحن أعظم الناس ملكًا وأكثرهم رجالاً وأفضلهم بلدًا".

ويروى الطبرى أيضًا أن هرقل عرض على هؤلاء الرومان – بعد رفضهم اعتناق الإسلام – أن يدفع سنويًا الجزية للعرب ونبيهم، حتى يأمن جانبهم. فرفض الرومان دفع الجزية أيضًا وقالوا: إنهم أكثر عددًا من العرب، وأعظم ملكًا منهم، وأوسع أرضًا. فعرض عليهم هرقل أن يتنازل للعرب عن سوريا، فرفض الرومان ذلك أيضًا.

ورواية الطبرى هذه تبين أن الإمبراطور هرقل لم يكن راغبًا فى الإسلام عن إيمان وعقيدة وإنما كان يهدف من وراء ذلك إلى غرض سياسى وهو المحافظة على عرشه. لذلك عرض على قومه الرومان كسب جانب العرب ونبيهم بأية وسيلة ممكنة،

ولكن الرومان رفضوا الرضوخ لرغبته، فآثر هرقل الاحتفاظ بدينه المسيحى. ويتضح موقف هرقل فى غضبه على المقوقس – حاكم مصر – حينما عقد معاهدة الصلح مع عمرو بن العاص – كما سنرى فى هذا الفصل وعليه نرى أنه من العسير علينا أن نؤيد جميع ما جاء فى الرواية العربية، ولا سيما أن هرقل فى ذلك العصر، كانت تحيط به الأخطار الخارجية، وبخاصة الخطر الفارسى.

وإذا كان هذا هو موقف الإمبراطور هرقل وقومه الرومان من النبى صلى الله عليه وسلم ومن الدعوة الإسلامية، فماذا كان موقف المقوقس حاكم مصر؟ وكيف استقبل رسول الله (ﷺ) .

بعث النبى عليه الصلاة والسلام، حاطب بن أبى بلتعة اللخمى، إلى المقوقس حاكم مصر وكان يقيم فى الإسكندرية. فسلمه حاطب كتاب النبى، وقد جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى. فأما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون.

وحفظت الروايات التاريخية العربية ما دار من حديث بين المقوقس وحاطب بن أبى بلتعة. وهى تشير إلى أن المقوقس لما قرأ كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم، سأل حاطب : ما منعه أن يدعو علىَّ إذا كان نبيًا ؟ فأجاب حاطب قائلا : "إنه كان من قبل رجل زعم أنه الرب الأعلى، فانتقم الله به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك.. وإن لك دينًا لن تدعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام، والكافى الله به، فقد ما سواه. وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إلى القرآن إلا كدعاء أهل التوراة إلى الإنجيل، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به".

ويجمع المؤرخون على حسن استقبال المقوقس حاكم مصر والإسكندرية لحاطب بن أبى بلتعة، رسول النبى عليه الصلاة والسلام، وإكرامه له. ويشير ابن أبى عبد الحكم إلى ما دار بينهما من حديث بشأن النبى وصفاته. ونستنتج من هذا الحديث مدى إلمام المقوقس بصفات النبى، وإنه يعلم مسبقًا بظهور نبى جديد، ولكنه كان ينتظر ظهور دعوته فى بلاد الشام لا فى شبه الجزيرة العربية. وأعلن المقوقس لحاطب ترحيبه باعتناق الإسلام، إلا أنه كان يخشى معارضة القبط لهذه الدعوة، ثم طلب منه أن لا يخبر أحداً من أهل مصر بما دار بينهما من حديث وألا يشير إلى رغبة المقوقس فى الإسلام.

وهكذا تذكر الروايات العربية أن كلا من الإمبراطور هرقل والمقوقس، قد رغبا فى اعتناق الإسلام، ليس عن إيمان حقيقى وإنما كان الدافع لهما هو مصالحهما السياسية فكلاهما يخاف على عرشه أو حكمه. وانتهى الأمر بأن رضخ كلاهما لمعارضة قومه لهذه الدعوة الجديدة. ويبدو هذا واضحًا فى قول النبى عليه الصلاة والسلام، عندما تسلم كتاب المقوقس. فقد قال "ضمن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه".

بعث المقوقس كتابًا إلى النبى رداً على كتابه إليه جاء فيه "لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام، أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبينا قد بقى، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام. وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم. وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام".

وكان من أثر حسن استقبال المقوقس لحاطب بن أبى بلتعة، والهدايا التى بعث بها إلى رسول الله، والتى كان من بينها مارية القبطية التى أنجبت للرسول ابنه إبراهيم،، أن أثنى النبى على أهل مصر والقبط، وأوصى بهم خيراً. ونذكر فى هذا المجال أيضًا أن هاجر أم إسماعيل، وزوج إبراهيم عليه السلام، كانت مصرية.

بشر الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين بفتح مصر وأوصاهم بقبط مصر خيراً، وهناك أحاديث كثيرة ذكرها كتاب الحديث والمؤرخون. ومنها أن النبى قال : « إنكم ستفتحون أرضًا ، يذكر فيها القيراط . فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا" وقال أيضًا: "إنكم ستكونون أجنادًا، وإن خير أجنادكم، أهل المغرب منكم، فاتقوا الله فى القبط، لا تأكلوهم أكل الخضر"(٢١) وقال الرسول عليه الصلاة والسلام أيضًا :"الله، الله، فى أهل الذمة أهل المدرة السوداء، السحم الجعاد، فإن لهم نسبًا وصهرًا".

بعد أن أشرنا إلى موقف كل من هرقل والمقوقس من الدعوة الإسلامية، نعرض لأهم أحداث الفتح العربى لمصر، وموقف القبط واليهود من الفتح.

بعث الخليفة عمر بن الخطاب، عمرو بن العاص على رأس الجيش العربى الإسلامى لفتح مصر، بعد أن انتهى من فتوحات الشام فى سنة ١٨هـ. وتعددت الروايات التاريخية حول خروج الجيش الإسلامى بقيادة عمرو بن العاص إلى مصر، فمنها ما يشير إلى أن عمرو بن العاص استأذن الخليفة عمر بن الخطاب فى فتح مصر وأغراه بسهولة الفتح وكثرة خيرات مصر، وتذكر بعض الروايات أن الخليفة هو الذى أمر عمرو بن العاص بالسير على رأس الجند لفتح مصر. وتذهب روايات أخرى إلى أن عمرو بن العاص خرج لفتح مصر على رأس الجيش دون استئذان الخليفة. بلغ المقوقس حاكم مصر، خبر عمرو بن العاص على رأس الجيش الإسلامى لفتح مصر، فأسرع بالتوجه إلى نابليون وأخذ يعد العدة، ويجهز الجيوش لمواجهة عمرو بن العاص وجنده وكان حاكم حصن بابليون من الرومان ويسمى الأعيرج. وأراد المقوقس ألا تبلغ المصريين أخبار انتصار العرب فى الشام وتخاذل الرومان أمام الفاتحين فبعث رسلاً إلى الحدود المصرية لمنع دخول القادمين من بلاد الشام سواء من الرومان أو من غيرهم، حتى لا ينقلوا أخبار انتصارات الرومان إلى سكان مصر فيثيروا مخاوفهم.

يشير المؤرخون إلى أن أولى المناطق التى فيها القتال بين العرب الفاتحين وبين المصريين، كانت مدينة الفرما. وقد استمر القتال بين الفريقين شهراً تقريباً، وانتهى

بانتصار المسلمين، وهزيمة الجيش الرومانى، وتم بذلك للمسلمين الاستيلاء على المدينة.

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى مساعدة قبط الفرما لعمرو بن العاص. وتذكر أنه كان بالإسكندرية أسقف للقبط يسمى أبو ميامين، ولما بلغته أخبار قدوم عمرو بن العاص على رأس الجند المسلمين إلى مصر، كتب إلى القبط يبشرهم بقرب زوال دولة الرومان ، وانتهاء حكمهم فى مصر، وطلب من القبط مساعدة العرب وقائدهم عمرو بن العاص. الواقع أن أبو ميامين هذا، هو الأب بنيامين بطرك القبط اليعاقبة فى مصر، حاكمًا بادر بالخروج من الإسكندرية عند قدوم المقوقس إليها حاكمًا لمصر وبطركًا للملكانيين فيها، وقد لجأ هذا البطرك - كما ذكرنا فى التمهيد - إلى بعض أديرة الصعيد.

ونستخلص من كتابات المؤرخين عن أول مواقع الفتح العربى أن المقوقس لم يبادر بإرسال نجدة لأهل الفرما، عندما علم بحصار العرب لها، بل تركهم يلاقون مصيرهم. ويصور بعض الكتاب المحدثين موقف المقوقس بأنه أول خيانة ارتكبها فى حق دولته ويذهب إلى أنه كان يرمى إلى فصل الإسكندرية عن القسطنطينية بالاتفاق مع العرب المسلمين، ومساعدتهم ضد دولة الرومان، وسنرى أنه أيضًا لم يسرع بإرسال نجدة إلى ابنته أرمانوسة فى بلبيس، لتشد من أزرها أمام العرب، بل تخاذل عنها حتى تم للعرب فتح بلبيس.

تقدم عمرو بن العاص وجنده فى الأراضى المصرية دون أية مقاومة حتى وصل إلى بلبيس، حيث دار القتال لمدة شهر تقريبًا، ونجح المسلمون فى الاستيلاء عليها. وينفرد الواقدى بالإشارة إلى تقدم يوقنا صاحب حلب على رأس بعض الجند، جيش عمرو بن العاص، حتى وصل بلبيس، حيث أرمانوسة ابنة المقوقس التى ما لبث أن أدركت حقيقة أمره، وأعدت العدة لقتاله. وفى الوقت نفسه بعثت بكتاب إلى أبيها المقوقس تعلمه بما حدث، وتخبره بتقدم جند العرب فى الأراضى المصرية، وسألته الاستعداد للقائهم. وإرسال قوة لنصرتها عليهم.

فجمع المقوقس كبار رجال دولته، وسألهم المشورة، فاقترحوا عليه إرسال جيش إلى أرمانوسة لمساعدتها ضد العرب، إلى جانب الاستنجاد بجيرانه لنصرته عليهم، وجمع الجيوش من جميع البلاد المصرية استعداداً لمواجهة هؤلاء القوم المسلمين. ولكن المقوقس أبى ذلك، وعلم الحاضرين بأنه مهما استعد، فلن يقوى على هؤلاء العرب، وأنه من الحكمة أن يرسل إلى ابنته كتاباً يطلب فيه منها التلطف فى معاملة يوحنا ومن معه من الجند العرب، ومنحهم الأمان وإرسالهم إليه لتطييب خاطرهم.

فلما علمت بذلك أرمانوسة أرسلت إلى يوحنا تخبره بما كتب أبوها إليها. وفى الوقت نفسه وصله رسول من قبل عمرو بن العاص ليخبره باقتراب عمرو منه، فبعث إليه يعلمه بما حدث ويستعجله فى الوصول إليه فى بلبيس. عند ذلك أسرع عمرو باللحاق بيوقنا ودار القتال بين الجيش الإسلامى وجيش أرمانوسة، وانتهى الأمر بهزيمة أرمانوسة وأسر المسلمين لها. وأحسن عمرو ابن العاص إليها، ثم أرسلها مكرمة إلى أبيها المقوقس فى صحبة قيس بن سعد، الذى قال للمقوقس فى حديث طويل له معه:

"أيها الملك لا بد لنا منكم، ولا ينجيكم منا إلا الإسلام أو الجزية أو القتال" فوعده المقوقس بعرض هذه الأمور على قومه، مع الإشارة أنه واثق من عدم استجابتهم لأى أمر من هذه الأمور على قومه، مع الإشارة أنه واثق من عدم استجابتهم لأى أمر من هذه الأمور الثلاثة، لأنهم قوم عناد، ولأن "قلوبهم قاسية من أكل الحرام".

ثم مضى عمرو بن العاص على رأس جنده، دون مقاومة تذكر حتى وصل إلى قرية أم دنين، حيث اشتد القتال، وواجه عمرو مقاومة عنيفة، مما اضطره إلى طلب المدد من الخليفة عمر بن الخطاب، الذى أسرع بنجدته. وتدل هذه المقاومة على أن الرومان - خاصة - أدركوا خطورة الموقف، وأعدوا العدة، لمواجهة المسلمين مهما كلفهم ذلك من جهد.

ومما يدل على حرج الموقف فى أم دنين، أن عمرو بن العاص قسم جنده إلى

مجموعتين: ترك إحداهما فى حصار أم دنين وقاد الأخرى بنفسه إلى مدينة أون وكتب يطلب المدد من الخليفة عمر بن الخطاب الذى بادر بإرسال أربعة آلاف بقيادة الزبير ابن العوام . فقسم عمرو حينئذ جنده إلى ثلاث فرق، حاصرت إحداهما أم دنين واتجهت الأخرى إلى شمال حصن بابليون، واحتفظ عمرو بالفرقة الثالثة فى مدينة أون.

وفى الحقيقة كان عمرو سياسيًا قديرًا، ومحاربًا محنكًا، حين قسم جنده إلى ثلاث فرق، حتى يوهم عدوه بكثرة جنده، حتى إنه جعلها تحارب فى ميادين ثلاثة وحمى الوطيس فى أم دنين، وهزم عمرو الرومان ومن معهم من القبط شر هزيمة. وتمكن بعض الرومان وقوادهم من الفرار إلى حصن بابليون، فى حين هلك كثير منهم. وعليه نجح عمرو بن العاص فى الاستيلاء على أم دنين.

أما الرومان وقوادهم الذين لجئوا إلى حصن بابليون، فما لبثوا أن تركوه، لاجئين إلى مدينة نقيوس، فرارًا من مذبحة قد تحل بهم.

وتذكر بعض الروايات التاريخية القبطية، أن فتح الفيوم، كان بعد حصار أم دنين وقبل فتح حصن بابليون، كما تشير إلى أن عمرو بن العاص قد قام بمحاولة لفتح إقليم الفيوم قبل إتمام فتح أم دنين، ولكنه لم يحالفه التوفيق، حتى وصله المدد من الخليفة فتمكن من الاستيلاء على أم دنين، ثم وجه جهوده لإتمام الاستيلاء على إقليم الفيوم. وتولى الدفاع عن الفيوم، قائد الحامية ويدعى (يوحنا)، كما أقام الرومان أيضًا حامية فى مدينة اللاهون ، ولتتابع تحركات القوات العربية، وتنقل أخبارها إلى يوحنا وجنده المقيمين بالقرب من شاطئ النهر. وأرسل الرومان سرية من الرماة والفرسان لتحول بين المسلمين الفاتحين وبين تقدمهم نحو الفيوم.

وهكذا بذلت القوات الرومانية كل الجهود العسكرية لمواجهة الفتح العربى واضطر المسلمون أمام هذه الاستحكامات الرومانية إلى الزحف فى الصحراء، وواصلوا تقدمهم حتى وصلوا إلى البهنسا، وقضوا على حمايتها الرومانية.

ثم اتجهوا لقتال حامية يوحنا التى لجأت إلى مدينة أبويط. ولكن القوات العربية حاصرتها وقضت عليها. وعلم تيودوسيوس - حاكم إقليم الفيوم - وأنستاس حاكم مدينة الإسكندرية - بانتصار العرب، فسارعا بالفرار إلى حصن بابليون، حيث لحق بهما بعض القواد من أبويط، وأخبراهم ومن معهم من القوات المحتشدة بخطورة الموقف.

وبعد نجاح عمرو بن العاص، وجنده المسلمين فى الاستيلاء على أم دنين وإلحاق الهزيمة بالرومان، أعد العدة لإتمام فتح إقليم الفيوم. وكان حاكم مدينة الفيوم - ويسمى دومنتيانوس - قد أصابه الذعر، عندما علم بانتصارات العرب الساحقة على الرومان فأسرع بالفرار إلى مدينة نقيوس دون أن يعلم بقراره أحد، تاركًا مدينة الفيوم وشأنها فعلم بذلك عمرو بن العاص، واشتد ساعده، وأرسل فرقة من جنده نجحت فى الاستيلاء على مدينة الفيوم ومدينة أبويط. وهكذا تم للمسلمين فتح إقليم الفيوم وباءت جهود الرومان بالفشل.

هذه هى الروايات القبطية التى تتحدث عن فتح العرب لإقليم الفيوم. ولكن المؤرخين المسلمين يجمعون على أن فتح الفيوم كان بعد فتح حصن بابليون، وليس قبله كما يذهب المؤرخ القبطى حنا النقيوسى، كما أن الروايات الإسلامية تذكر أن الذى قام بفتح إقليم الفيوم أحد قواد عمرو. وتشير بعض هذه المصادر العربية إلى أن العرب الفاتحين ظلوا يجهلون مكان إقليم الفيوم، بعد فتح الحصن بعام كامل، حتى دلهم عليه بعض الأشخاص، فأرسل عمرو بن العاص، أحد قواده لفتح الفيوم.

ويبدو أن أهل مصر، من القبط بصفة خاصة، بدءوا يقدمون المساعدات الفعالة للعرب، ويتعاونون معهم، بعد استيلائهم على إقليم الفيوم فقد طلب عمرو، من أباكيرى حاكم دلاص، أن يبعث إلى القوات العربية فى الفيوم بعض السفن لينتقلوا بها من الجانب الغربى للنيل إلى الجانب الشرقى، للسيطرة على ضفتى النيل. كما طلب عمرو أيضًا من جورج حاكم إقليم مصر أن يبنى "كوبرى " على قناة مدينة قليوب

حتى يتمكن من فتح المدن المصرية. ونجح عمرو فى فتح مدينة أتريب ومنوف بمساعدة القبط له.

وعاون القبط أيضًا العرب فى إقامة كوبرى ضخم عند بابليون، لمنع السفن من الذهاب إلى نقيوس والإسكندرية ومصر العليا من جهة، ولتيسير عبور الفرسان العرب النيل من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية من جهة أخرى. وأصبح القبط فى الحقيقة أعوانا للمسلمين، يقدمون لهم العون والمساعدة.

ويحاول المؤرخ القبطى حنا النقيوسى، الإساءة إلى عمرو، فيذكر أنه أمر بإحضار الحكام الرومان، مقيدين بالأغلال فى أقفاص من الخشب. كما أخذ من الأهالى كثيراً من الأموال، وضاعف الجزية عليهم، وأرغمهم على حمل الكلأ والعليق لخيول المسلمين. ولكننا نرى أنها مبالغات واضحة بغرض النيل من العرب - فقد اشتهر عمرو بالتسامح مع المصريين، وخصوصًا أنه كان فى حاجة إلى استمالتهم حتى لا يقفوا إلى جانب الرومان. وقد رأينا كيف قدم المصريون ألوانًا مختلفة من المساعدة للعرب على حين كان من البديهى أن يقف عمرو من الحكام الرومان موقفًا حاسمًا، فقد أصروا على مقاومة الفتح العربى.

كان الحكام الرومان، قد تركوا مدينة نقيوس إلى حصن بابليون، حتى إذا علموا بانتصارات المسلمين فى إقليم مصر، ومساعدة بعض المصريين لهم، بادروا بالخروج إلى الإسكندرية، وتركوا فى نقيوس حامية صغيرة بقيادة دومنتيانوس، للدفاع عن المدينة كما بعثوا إلى حاكم سمنود (دارس) يحثونه على الدفاع عن الأراضى الواقعة بين فرعى النيل. فى حين ترك بعض القبط دينهم، واعتنقوا الإسلام، واستولوا على أملاك المسيحيين الذين هربوا من وجه المسلمين، مؤثرين التمسك بدينهم.

وبعد أن انتهى القواد المسلمون من فتح إقليم الفيوم. شدد عمرو بن العاص الحصار على حصن بابليون. وقد تعددت الروايات التاريخية، حول حصار الحصن وموقف القبط والرومان منه.

ويجدر بنا الإشارة إلى هذه الروايات ومناقشتها، حتى يتضح لنا موقف أهل مصر من الفاتحين العرب.

شدد عمرو وجنده الحصار على الحصن حتى طلب الرومان والقبط المعتصمون بالحصن، التفاوض من أجل الصلح، ومنح الأمان للمصريين. فأجابهم عمرو إلى طلبهم على أن يؤدى كل واحد منهم للمسلمين "دينارًا وجبة وبرنسا وعمامة وخفين".

استضاف الرومان والقبط – عقب هذا الصلح – جند عمرو ابن العاص، فقدموا عليهم وقد ارتدوا البرود. ثم استضاف عمرو الرومان ومن معهم من القبط، وصنع لهم الثريد والعراق، وأمر أصحابه بلبس الأكسية، واشتمال الصماء، والقعود على الركب وجلس العرب إلى جانب الرومان، مما يدل دلالة واضحة على تسامح العرب، وميلهم إلى السلام الذى هو من أسس الإسلام. وتشيد بعض المصادر التاريخية بجهود الرومان التى بذلوها للدفاع عن الحصن ومقاومة الفتح العربى. فقد أقاموا حول الحصن الخنادق، والتحصينات المنيعة، ولكن المسلمين استمروا فى الحصار رغم قلة عددهم. ووضع عمرو خطة حربية ناجحة، فقد وزع جنده المسلمين حول أسوار الحصن، حتى يتوهم العدو أنهم أكثر عددًا. إلا أن الرومان أدركوا حقيقة الأمر، وعلموا قلة عدد جند عمرو بالنسبة إلى عددهم. ولكن هذا لم يضعف من عزيمة عمرو وجنده المسلمين.

واستمر حصار عمرو لحصن بابليون سبعة أشهر انتهت بتسلق جماعة من المسلمين بقيادة الزبير بن العوام أسوار الحصن، ونجحوا فى اقتحامه، وفتحوا الأبواب لسائر الجند المسلمين وحينئذ اضطر المقوقس إلى طلب الصلح من عمرو مقابل دفع الجزية للمسلمين. فوافق عمرو على طلبه.

هذا فى حين تذهب بعض الروايات التاريخية الأخرى إلى أنه بعد حصار عمرو لحصن بابليون بشهر تقريبًا، أسرع المقوقس وعدد من كبار الرومان والقبط بالخروج من الحصن إلى جزيرة الروضة. وأمر بقطع الجسر الذى يصل بين شاطئ النيل، وقد لحق به الأعيرج حاكم الحصن عندما لمس شدة الموقف.

وهذه الروايات تثبت وجود المقوقس داخل الحصن عند حصار المسلمين به وتوضح تخاذله إذ غادر الحصن سراً فى أثناء الحصار إلى جزيرة الروضة حيث يأمن قتال المسلمين. كما توضح أن بعض القبط اشتركوا مع الرومان فى الدفاع عن الحصن، إذ أن هذه الرواية تشير إلى خروج كبار القبط من الحصن مع المقوقس.

وتذكر بعض المصادر أيضًا أن المقوقس قال لمن معه من الرومان والقبط: "إن العرب قد جاءهم نجدة، وليس لنا بهم طاقة ولا نأمن أن يفتحوا القصر فيقتلونا ولكن نسد أبواب الحصن، ونصير عليها مقاتلة، ونخرج من القصر إلى الجزيرة ونتحصن بالبحر". ومما لا شك فيه أن هذه الرواية تؤكد خيانة المقوقس للدولة الرومانية ورغبته الأكيدة فى مصالحة العرب والتوقف عن قتالهم.

وبدأ المقوقس – من جزيرة الروضة – المفاوضات مع عمرو من أجل الصلح وعقد العهد والأمان. فأرسل إلى عمرو بن العاص يقول: إن عدد الجند المسلمين قليل، ينقصه العدة والآلات على حين أن عدد الجند الرومان، ومن معهم من القبط، عظيم وهم مزودون بالسلاح والعدة، وقال له أيضًا: "وإنما أنتم أسارى فى أيدينا، فابعثوا إلينا رجالاً منكم، نسمع من كلامهم، فلعل أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب ، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال، قبل أن تغشاكم جموع الروم ، فلا ينفعنا الكلام ، ولا نقدر عليه . ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفًا لطلبكم ورجائكم . فابعثوا إلينا رجالاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شىء".

وهكذا أراد المقوقس أن يوقع الرعب فى نفوس المسلمين المحاصرين لهم حتى يدفعهم إلى قبول المفاوضة من أجل الصلح. وإن كانت الحقيقة هى أن المقوقس وقومه هم الذين سيطر عليهم الفزع والخوف ، فأرادوا وضع حد لهذا الحصار ومصالحة المسلمين المحاصرين.

احتجز عمرو بن العاص رسل المقوقس يومين، وقال لهم:

ليس أمامكم إلا اختيار أمر من أمور ثلاثة. الإسلام أو الجزية أو القتال. فلما عاد رسل المقوقس أشادوا بصفات العرب، وما يتميزون به من القوة والتفانى فى الجهاد فى سبيل الله إلى جانب التواضع والخشونة والعبادة.

وأدرك المقوقس ما عليه المسلمون من القوة والعزم على الجهاد، وأقنع قومه بضرورة الاتفاق معهم على رأى يرضى به الطرفان ، فأرسل يطلب من عمرو مندوبين عنه للتفاوض معهم فأرسل عمرو إليه عشرة من المسلمين، من بينهم عبادة بن الصامت وأمره أن يكون هو المتحدث باسمهم، وأن يخيِّر المقوقس بين الإسلام أو الجزية أو القتال.

وأخبر عبادة المقوقس بأن المسلمين لا يبغون من الدنيا إلا رضا ربهم، والجهاد فى سبيله والفوز بنعيم الآخرة ولا يطمعون فى حياتهم إلا فيما يسد رمقهم ويستر عورتهم.

وحاول المقوقس أن يثير مخاوف عبادة بن الصامت وصحبه فأخبرهم بقدوم جموع غفيرة من الرومان لمحاربتهم ، وأن المسلمين لن يقووا على مواجهتهم ، وذكرهم بما لا قوة من ضيق شديد طوال حصار الحصن الذى استمر سبعة أشهر ، وتظاهر بأنه يشفق عليهم ويرأف بحالهم. ثم عرض عليه الصلح ، وأن يؤدى أربعة دنانير لكل مسلم ، ويدفع مائة دينار للأمير ، وألف دينار للخليفة ، مقابل جلاء العرب من البلاد . وهكذا لم يفطن المقوقس إلى الأهداف الدينية السامية التى قدم العرب المسلمون من أجلها ، وهى نشر دعوة الحق ، وظن أنما قدموا من أجل عرض الدنيا الزائل، ولم يفطن إلى أن العرب المسلمين هم قوم الموت أحب إليهم من الحياة ، وهدفهم الجهاد فى سبيل الله. فقال عبادة للمقوقس ، إنهم لا يهابون أية قوة مهما كانت، وإنهم لا يبغون إلا الغلبة عليهم، فتعظم بذلك غنيمة الدنيا لهم. أو الاستشهاد فيحسن لهم جزاء الآخرة. واستشهد فى ذلك بقوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً

كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ . وعرض عليه أموراً ثلاثة، ليختار المقوقس وقومه الإسلام أو الجزية أو القتال.

رفض الرومان والقبط اعتناق الإسلام أو دفع الجزية، وأصروا على القتال ، وحاول المقوقس جاهداً ، إقناعهم بقبول دفع الجزية للمسلمين ، إلا أنهم أصروا على موقفهم وأمروا بقطع الجسر بين الحصن وجزيرة الروضة. واشتد القتال بين الفريقين ، وتحقق النصر للمسلمين وعند ذلك لم يجد الرومان والقبط بداً من قبول دفع الجزية وعقد الصلح مع المسلمين.

وكتب المقوقس إلى عمرو بن العاص بأنه ما زال حريصاً على إجابته إلى واحد من الأمور الثلاثة التى عرضها عليه ، وأن قومه اقتنعوا برأيه واستجابوا لرغبته. ومن ثم عادت المفاوضات بين الطرفين. وتم عقد الصلح بين عمرو والمقوقس بالشروط التالية:

١- يُفرَض على جميع من بمصر، أعلاها وأسفلها، من القبط ديناران، يتساوى فى ذلك الرفيع والوضيع، ومن بلغ الحلم منهم دون النساء والأطفال والشيوخ.

٢ - ضيافة القبط للمسلمين النازلين عليهم ثلاثة أيام.

٣ - للقبط أرضهم ، وأموالهم، لا يتعرض لهم فى شىء منها.

واشترط المقوقس على عمرو أن يترك للرومان حرية الموافقة على هذه الشروط ومن رفضها منهم، فله الحرية فى الخروج من مصر إلى الدولة الرومانية. وأرسل المقوقس شروط هذا الصلح إلى الإمبراطور هرقل. وهذه الرواية التاريخية التى ذكرناها تشير إلى أن هذا الصلح كان ينطبق على جميع أهالى مصر. فى حين نجد بعض المؤرخين يذهب إلى أنه كان هناك صلحان ، أحدهما يختص بحصن بابليون ، والثانى يختص بجميع الأراضى المصرية الأخرى.

فيذكر البلاذرى أنه بعد أن اقتحم الزبير بن العوام والمسلمون الحصن طلب صاحب الحصن من عمرو بن العاص أن يعاملهم كما عامل أهل الشام عند فتح بلادهم. فقد رضوا الجزية على الرءوس ، والخراج على الأراضى مع بقائها فى أيدى أصحابها . ويتضح من هذه الرواية أن الذى طلب عقد الصلح مع المسلمين هو صاحب الحصن وليس المقوقس حاكم مصر ، وقد عقد عمرو الصلح مع صاحب الحصن ويتضمن الشروط الآتية:

١ – يُفرَض على كل بالغ ديناران مع إعفاء الفقراء من ذلك.

٢ – يدفع كل واحد من ملاك الأراضى ، إلى جانب الدينارين ، ثلاثة أرادب حنطة ، وقسطى زيت ، وقسطى عسل، وقسطى خل رزقا للمسلمين، تجمع فى دار الرزق وتقسم بينهم.

٣ – يتم إحصاء جميع المسلمين ، ويجب على أهالى مصر أن يقدموا لكل مسلم جبة صوف وبرنسا أو عمامة وسراويل، وخفين فى كل عام ، أو عدل الجبة الصوف ، ثوبًا قبطيًا.

٤ – إذا نفَّذ المصريون الشروط السابقة ، لا يسبى العرب النساء والذرارى، ويسمح العرب للمصريين بالاحتفاظ بأموالهم ومتاعهم. ويروى البلاذرى أيضًا ، أن عمرو بن العاص طبق شروط هذا الصلح – الذى عقد مع حامية بابليون، على جميع أهالى مصر ، وهكذا كانت هناك مرحلتان لعقد الصلح.

وهكذا نجح عمرو والمسلمون فى فتح حصن بابليون . ويجدر بنا الإشارة إلى نص كتاب الأمان الذى منحه عمرو بن العاص للمصرين ، فهو يرسم الأبعاد التى حددها العرب المسلمون لمعاملة أهالى مصر ، وقد جاء فى هذا الأمان:

"بسم الله الرحمن الرحيم" هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم، وأموالهم ، وكنائسهم ، وصلبهم، وبرهم، وبحرهم، لا يدخل عليهم شىء من ذلك ، ولا ينتقض ، ولا تساكنهم النوبة. وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية، إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف ، وعليهم

ما جنى لصوتهم، فإن أبى أحد منهم أن يجيب ، رفع عنهم الجزية بقدرهم ، وذمتنا ممن أبى بريئة. وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى ، رفع عنهم بقدر ذلك . ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى منهم واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثًا ، فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم، على ما فى هذا الكتاب ، عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين ، وذمم المؤمنين. وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسًا، وكذا وكذا فرسًا على ألا يغزوا ولا يمنحوا من تجارة صادرة ولا واردة" ودخل فى ذلك أهالى مصر كلهم وقبلوا الصلح".

ونستخلص من هذا النص أن الصلح الذى عقده ابن العاص منع المقوقس عقب الاستيلاء على الحصن:

١ - كان خاصًا بأهالى مصر جميعًا فى الوجهين البحرى والقبلى. ويؤكد ذلك ما ذكر فى هذا العهد من مبلغ الجزية وهو مبلغ كبير ، ولكنه يفيدنا فى أن هذا الصلح كان خاصًا بجميع البلاد المصرية.

٢ - يمنح العرب القبط الأمان على أرواحهم وعقائدهم وأموالهم وكنائسهم.

٣ - يفرض العرب الجزية على المصريين، ويزداد قدرها أو ينتقص تبعًا لأحوال الفيضان فى كل عام . وكانت تدفع على ثلاثة أقساط فى السنة . وترتب على هذا الصلح أن أصبح المصريون أهل ذمة.

٤ - يطبق العرب شروط هذا الصلح على الرومان والنوبيين إذا شاءوا ذلك ، وإذا رفضوها فلهم حرية مغادرة البلاد إلى حيث يريدون. ويقصد بالنوبيين المقيمين هنا النوبيين فى الأراضى المصرية وليس بلاد النوبة.

وبعد عقد الصلح - (فى سنة ٢٠هـ - ٦٤١م) - أمر عمرو بن العاص الجند الرومان بمغادرة الحصن ، على أن يحملوا معهم بعض أموالهم ، وأعطى لهم مهلة

ثلاثة أيام يغادرون بعدها الأراضى المصرية. ورفض عمرو بن العاص تسليم السبايا حتى يستشير الخليفة عمر بن الخطاب . وقد أمر الخليفة برد السبايا.

ومن العسير أن نقبل الرأى القائل بأن عقد الصلح اشترط فيه إقرار الإمبراطور هرقل له حتى يسرى تنفيذه وتعهد المقوقس أن يرسل شروط الصلح إلى الإمبراطور كما اتفق على أن تظل الأوضاع كما هى ، وأن يبقى الحصن بيد الرومان حتى يقر الإمبراطور الصلح . ونستند فى هذا الرأى على الرواية التى تشير إلى أن اشتراط إقرار الإمبراطور للصلح كان خاصًا بنفاذه على الرومان دون القبط الذين رحبوا به جميعًا ، وأن الحصن تسلمه العرب عقب الفتح مباشرة حين تم الصلح – كما ذكر حنا النقيوسى أقدم المؤرخين المصريين، والذى عاش فى القرن الأول الهجرى (الموافق القرن السابع الميلادى)، وأن تجلو الجنود الرومان من الحصن فى خلال ثلاثة أيام من يوم الفتح كما ذكرنا آنفًا.

غضب هرقل عندما بلغه عقد مع العرب الفاتحين، وكتب إلى المقوقس يوبخه على ذلك، ويقول له إن الجند العرب أقلية بالنسبة لعدد القبط . وأنه إذا كان قبط مصر قد رحبوا بالعرب ، وقبلوا أداء الجزية، فإن عدد الرومان بمصر يزيد على مائة ومعهم السلاح والعدة . وطلب من المقوقس أن ينهض مع الرومان لقتال العرب . وكتب هرقل أيضًا رسالة مشابهة إلى الرومان بمصر.

أما المقوقس فكان مقتنعًا بالموقف الذى اتخذه من عمرو بن العاص والمسلمين ومتمسكًا بعقد الصلح ، وحاول إقناع الرومان بقبوله فقال لهم: "واعلموا معشر الرومان ، والله إنى لا أخرج مما دخلت فيه ، ولا مما صالحت العرب عليه، وإنّى لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى قولى ورأيى ، وتتمنون أن لو كنتم أطعتمونى.

وذلك أنى قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ، ولم يره ، ولم يعرفه ويحكم ، أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة".

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أخبر المقوقس عمرو بن العاص، برفض الإمبراطور للصلح وأنه كتب إليه وإلى جماعة الرومان بمصر ينقض الصلح ومواصلة القتال. وأكد المقوقس لعمرو أنه هو والقبط متمسكون بالصلح وبتنفيذ شروطه، ثم طلب من عمرو الموافقة على أمور ثلاثة: أولها احترام عهوده للقبط واعتباره واحداً منهم، وثانيها ألا يقدم عمرو على مصالحة الرومان حتى يصبحوا أرقاء وفيئا للمسلمين، وثالثها أن يأمر عمرو عند وفاة المقوقس بدفن جثمانه فى كنيسة أبى يحنس بالإسكندرية.

ووافق عمرو على ما طلبه المقوقس، فى مقابل مساعدة القبط له ضد الرومان، خلال زحفه إلى الإسكندرية، فيضمنون له سلامة الجسور على النيل، ويقدمون المأوى والضيافة للجند المسلمين، وقدم القبط كل المساعدات الممكنة للجيش الإسلامى.

وبعد هذه الانتصارات الرائعة التى حازها الجيش العربى، وبعد نجاحه فى فتح بابليون لنا أن نتساءل: هل تلقى العرب مساعدة من القبط أو الرومان فى أثناء الحصار؟

ساعد بعض القبط عمرو بن العاص فى أثناء حصاره للحصن، فقد تقدم إليه فريقان – على التوالى – أحدهما بقيادة شخص يدعى ميناس، والآخر بقيادة كزماس بن صمويل. وقد قدموا على عمرو من الشاطئ الغربى للنيل، وكان هدفهم الكيد للرومان، وهم من أهالى إقليم الفيوم، ويتصفون بالجسارة والإقدام. وكانت المعاونات التى يقدمها القبط للجيش العربى تدعم جهوده، وتضعف من مقاومة الرومان، وتحرج موقفهم، وتقلل من هيبتهم.

واتخذت المساعدات التى قدمها القبط المصريون للجيش العربى صوراً عديدة نذكر بعضها، ففى أثناء حصار حصن بابليون، جمع القائد الرومانى تيودور جيشه بين فرعى النيل، فلما علم عمرو بذلك، أسرع بالزحف بكتيبة من الجند محاذياً الفرع الشرقى للنيل. وفى الوقت نفسه بعث تيودور قائدين من قواده إلى سمنود لمناهضة العرب، وطلب من الجند المقيمين بها مساعدتهما ضد العرب، إلا أنهم أبوا قتال

العرب . ومما لا شك فيه أن معظم هؤلاء الجند كانوا من القبط الذين كرهوا الحكم الروماني، ورأوا في العرب مخلصاً مما هم فيه.

ويشير أحد المؤرخين القبط إلى مساعدة بعض قواد الرومان عمرو بن العاص والمسلمين، ولكننا نرى أنها لم تكن مساعدات نابعة عن اقتناع، بل كان الغرض منها المنفعة الشخصية بدليل أنهم عادوا ثانية إلى عدائهم القديم للعرب، وانضموا إلى القوات الرومانية حينما أدركوا أن تأييدهم للعرب لم يحقق لهم مصالحهم الذاتية. ومن هؤلاء القواد الرومان نذكر القائد كلادجي Kaladji والقائد سبندس Sebendis.

ويرى بعض المؤرخين أن استيلاء المسلمين على الحصن كان خير انتقام للقبط من الرومان الذين لم يراعوا حرمة عيد الفصح، فأخرجوا في هذا اليوم القبط الأرثوذكس الذين كانوا في سجن الحصن - لرفضهم اتباع مذهب الإمبراطور الديني - وأساءوا معاملتهم، فانهالوا عليهم ضرباً بالسياط، وقطعوا أيديهم وفي الحقيقة كان هذا الاضطهاد هو حلقة في سلسلة طويلة عاني القبط المصريون منها طويلاً عبر الحكم البيزنطي. ولا شك أن هذه الاضطهادات المتكررة كانت من العوامل التي دفعت بهؤلاء القبط إلى كراهية الحكم البيزنطي وتقدم المعاونات للفاتحين العرب.

بعد استيلاء عمرو بن العاص على حصن بابليون فكر في فتح مدينة الإسكندرية فقد رفض الإمبراطور هرقل الصلح الذي عقده المقوقس مع عمرو، وبعث قوات رومانية كبيرة أغلقت أبواب الإسكندرية، وتأهبوا للقتال. وخلال زحف عمرو بن العاص إلى الإسكندرية لقي كثيراً من المساعدات والمعاونات التي قدمها القبط المصريون، فقد أصلحوا الطرق، وأقاموا الجسور والأسواق. ولم يلق عمرو أية مقاومة على طول الطريق من حصن بابليون إلى الإسكندرية حتى بلغ ترنوط حيث التقى بالرومان ودار القتال بين الفريقين، وتحقق النصر لعمرو ثم تم فتح مدن نقيوس

وصا وسلطيس، والكريون فى طريقهم إلى الإسكندرية وأسـرعت الحاميات الرومـانية فى هذه المدن المصرية، بالفرار إلى الإسكندرية معتصمة بها.

كانت الإسكندرية، مدينة منيعة، ذات حصون عظيمة، وقد عسكر الجند المسلمون بالقرب منها، وكان يصحبهم رؤساء القبط الذين كانوا يقدمون الطعام للجند المسلمين، والعلف لخيولهم.

كما كانوا يدلونهم إلى الطرق والمسالك المؤدية إلى المدينة. والحقيقة أن أهل المدن المصرية المجاورة للإسكندرية انقسموا إلى فريقين: فريق مع القائد العام الرومانى تيودور، والآخر يؤيد الجيش العربى. وسادت البلاد حرب أهلية، فكان أتباع كل فريق ينقض على أتباع الفريق الآخر. وفى الوقت نفسه تمكن سكان الإسكندرية من منع الجند المسلمين من اقتحام أسوار مدينتهم.

وفى الإسكندرية كان هناك بعض الحكام والقواد الرومان، الذين لاذوا بالفرار إلى العاصمة البيزنطية، إلى جانب بعض أهالى الدلتا من القبط والرومان الذين تركوا ديارهم ولجئوا إلى الإسكندرية. وحينما كان عمرو بن العاص والمسلمون يغزون مدن الدلتا كان يسود الإسكندرية جو من الاضطراب والفتنة. وقد تنازع الرؤساء والحكام والقواد كما انقسم سكان الإسكندرية والمهاجرون إليها، إلى فريقين متخاصمين، ونشب القتال بينهما، وراحت ضحيته أعداد هائلة. ويتضح لنا من هذه الرواية التاريخية أن ذلك النزاع قد نتج عن عداء شخصى وتنافس سياسى إلى جانب الخلافات الدينية سواء أكان ذلك الخلاف بين الملكانيين وبين اليعاقبة، أم بين المسيحيين بصفة عامة وبين اليهود. وإن كان يبدو من الروايات التاريخية السابقة أن اليهود كانوا مسالمين طوال سنوات الفتح، إذ لم يرد لهم أى ذكر فى المصادر التاريخية.

تعددت الروايات التاريخية حول إتمام فتح الإسكندرية. وتجمع هذه الروايات على حصار المسلمين لهذه المدينة، وإن اختلفت فى مدة هذا الحصار. وقد تحصن الرومان بالإسكندرية، وكانت تصلهم الإمدادات من الإمبراطور هرقل الذى كان حريصًا أشد الحرص على الاحتفاظ بالإسكندرية ويقول: "لئن غلبوا على الإسكندرية فقد هلكت

الرومان، وانقطع ملكهم". وأخذ يعد العدة للخروج بنفسه للدفاع عنها، إلا أن الموت وافاه فى سنة ١٩هـ. (أو سنة ٢٠هـ) كسر الله بموته شوكة الرومان.

اشتد ساعد العرب، وازداد حماسهم فى القتال على أثر وفاة هرقل "واستأسدت العرب عند ذلك، وألحت بالقتال على أهل الإسكندرية، فقاتلوهم قتالاً شديداً".

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن المقوقس طلب من عمرو بن العاص، فى أثناء حصار الإسكندرية، الصلح والمهادنة لمدة معينة، فرفض عمرو. ثم تقول هذه المصادر: "ألا أن القبط فى ذلك يحبون الموادعة" وقد دلت هذه العبارة على أن المقوقس والقبط المعتصمين بالإسكندرية، أرادوا الصلح والمهادنة، فى حين أصر الرومان على مواصلة القتال. ولا نستطيع تأييد هذه الروايات التى تذهب إلى وجود المقوقس فى مدينة الإسكندرية، فقد حدثتنا الروايات الموثوق فيها عن وجود المقوقس فى حصن بابليون فى أثناء حصار العرب للحصن، وأنه عقد الصلح مع عمرو بن العاص، بل انحاز إلى جانب القبط فى موقفهم من المسلمين ضد الرومان، مما يجعلنا نشك فى وجوده بالإسكندرية خلال حصارها. والحقيقة إننا عانينا الكثير نتيجة اضطراب وتناقض الروايات التاريخية حول الفتح العربى لمصر، وأخذنا بالروايات الأكثر تواردا والموثوق فيها.

نجح العرب فى فتح الإسكندرية وسارع الرومان إلى الفرار، برا وبحراً، وترك عمرو بن العاص فرقته من جنده لحراسة المدينة، وأسرع بقواته لتتبع الفارين براً. ولكن الرومان الذين هربوا عن طريق البحر، رأوا أن الفرصة مواتية، لاستعادة الإسكندرية فعادوا إليها وقتلوا من بها من المسلمين. وعلم عمرو بذلك فعاد إلى الإسكندرية وقاتل هؤلاء الرومان وأجلاهم.

هذا فى حين يذكر الطبرى أن فتح الإسكندرية قد تم صلحًا ليس عنوة فعندما وصل المسلمون إلى بلهيب، كتب إليهم صاحب الإسكندرية – ولم يذكر الطبرى اسمه – يطلب الأمان من عمرو مقابل دفع الجزية ورد سباياهم. وكتب عمرو إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستشيره فأمر عمر قائده بأن يخير السبايا بين اعتناق الإسلام، أو دفع

الجزية إذا أرادوا الاحتفاظ بعقائدهم، كما أوضح تعذر رد السبايا التى تم توزيعها كغنائم فى مكة والمدينة واليمن.

هذا ويزودنا المؤرخ القبطى حنا النقيوسى بتفاصيل قيمة عن صلح الإسكندرية وما تتضمنه من شروط. ويبدو أن المقوقس حاكم مصر، وبطرك الملكانيين بها، كان قد استدعاه الإمبراطور هرقل إلى القسطنطينية عندما علم بعقده الصلح مع المسلمين عند فتحهم حصن بابليون فلما تولى هرقل الثانى منصب الإمبراطور رأى إعادة المقوقس إلى مصر، لتحقيق السلام مع المسلمين، وعقد الصلح معهم.

والواقع أنه لم يكن المقوقس الشخص الوحيد الذى رغب فى السلام مع المسلمين بل شاركه فى ذلك الشعب والحكام والقواد. ومن أجل ذلك اجتمع المقوقس مع الحكام الرومان فى مصر – الذين كانوا قد لاذوا بالإسكندرية – من أجل الاتفاق على عقد الصلح مع المسلمين، ثم رحل المقوقس إلى بابليون لمقابلة عمرو بن العاص والقادة المسلمين، وعرض عليهم الصلح مقابل دفع الجزية.

وقد أحسن عمرو استقباله، ورحب به. وقال المقوقس له: "إن الله قد أعطاكم هذه الأرض، فلا تدخلوا بعد اليوم فى حرب مع الرومان". وانتهى هذا الاجتماع بعقد صلح الإسكندرية الذى تضمن الشروط التالية:

١ – يدفع الجزية كل من دخل فى العقد.

٢– يبقى المسلمون فى أماكنهم دون تدخل فى أى عمل أو تعديل أى وضع حتى يجلو الجند الرومان.

٣ – يجلو الجند الرومان عن الإسكندرية خلال أحد عشر شهراً ويحملون معهم ممتلكاتهم ومتاعهم. ومن أراد منهم الرحيل عن طريق البر، يدفع جزية شهرية، حتى يتم رحيله من أرض مصر.

٤ – يأخذ المسلمون رهائن مائة وخمسين من العسكريين، وخمسين من المدنيين.

٥ – لا تعود القوات الرومانية ثانية إلى الإسكندرية.

٦ – يسود السلام ويوقف القتال بين المسلمين والرومان.

٧ – يتعهد المسلمون بحماية كنائس المسيحيين ويمنحهم الحرية الدينية.

٨ – يسمح لليهود بالإقامة فى الإسكندرية[١٢٠].

انفرد المؤرخ حنا النقيوسى بذكر شروط هذا الصلح، دون غيره من المؤرخين القدماء. ومما لا شك فيه أن سماح عمرو بن العاص لليهود، بالإقامة فى الإسكندرية – أهم مراكز نشاطهم – كان مكافأة لهم، لعدم تدخلهم فى قتال المسلمين، والتزامهم الحياد طوال أحداث الفتح، كما رأينا، وقد ذكر عمرو فى كتابه للخليفة عمر بن الخطاب أن عدد اليهود بالإسكندرية حوالى أربعين ألفًا، وهم يؤدون الجزية.

وتذكر بعض المصادر أنه قد رحل حوالى سبعين ألف يهودى من الإسكندرية عند دخول عمرو بن العاص فيها. ولم يشر هذا المصدر إلى سبب رحيلهم من الإسكندرية. ولا إلى أى جهة ذهبوا. وقد يكون بعضهم قد ترك الإسكندرية إلى غيرها من المدن المصرية، وقد يكونون قد غادروا الأراضى المصرية. ونحن نرجح أنهم انتشروا من الإسكندرية إلى غيرها من المدن المصرية ، ذلك لأن موقفهم من الفتح كان موقف حياد، وأنهم لم يقوموا بأية مقاومة أو عمل عدائى ضد العرب الفاتحين حتى يخشوا بطشهم، بل وعلى العكس من ذلك كانوا يكرهون الحكم الرومانى. وعليه فقد فضل هؤلاء اليهود الإقامة فى غير الإسكندرية من المدن المصرية حتى تتسع دائرة نشاطهم فى ظل الحكم العربى الجديد.

وإذا ناقشنا شروط صلح الإسكندرية نجد أن الشرط الأول قد جعل أهالى الإسكندرية أهل ذمة، يؤيدون الجزية فى مقابل الدفاع عنهم، وتأمينهم على أنفسهم، وعلى مصالحهم، وممتلكاتهم. وكان هذا الشرط أيضًا أحد شروط صلح بابليون. ومن الشروط المشتركة بين الصلحين حماية المسلمين لكنائس القبط وغيرهم من المسيحيين ، وعدم التدخل فى شئونهم الدينية. أما فيما عدا ذلك فهى شروط خاصة بمدينة الإسكندرية وشعبها ، مما يميز هذا الصلح عن صلح بابليون.

بعد عقد هذا عاد المقوقس إلى الإسكندرية، وأخبر الحكام والقواد وكبار رجال المدينة من الرومان ، بما تم بينه وبين عمرو بن العاص، وبما تضمنه الصلح مع المسلمين فى حين لم يعلم سائر أهالى الإسكندرية شيئًا عن هذا الصلح: فلما قدم بعض المسلمين إلى الإسكندرية لحمل الجزية المقررة فى الصلح ، أراد بعض سكان المدينة مقاومتهم، إلا أن الجيش الرومانى حال دون ذلك ، فثار الشعب ، وانتشرت الفوضى فى جميع أرجاء المدينة ، بل أرادوا قتل المقوقس ورجمه بالحجارة، تعبيراً عن سخطهم عليه لعقده الصلح مع المسلمين. وخرج المقوقس إلى الثائرين لتهدئة روعهم وتوضيح حقيقة الموقف، فذكر أنه أقدم على هذه التسوية من أجل خدمتهم، وإنقاذهم وإنقاذ أطفالهم، وتوسل إليهم قبول الصلح . وسلم سكان الإسكندرية بقبول الصلح وحصلوا كثيراً من الأموال إلى المقوقس ليدفع الجزية المقررة عليهم للمسلمين.

وما تجدر الإشارة إليه أن المقوقس حمل الجزية بنفسه إلى عمرو بن العاص.

كان من الطبيعى أن يقضى فتح الإسكندرية على أى أمل فى عودة الحكم الرومانى إلى مصر ، وفترت الحماسة للقتال . ومن ثم تم فتح كثير من مدن الدلتا صلحًا ، بعهد بين حاكمها وبين المسلمين ، ومن هذه المدن إخنا ورشيد والبرلس . وفرض العرب عليهم فى الصلح "دينارين على كل إنسان جزية، وأرزاق المسلمين إلى جانب شروط ستة لا يخرجون من ديارهم ، ولا تنتزع نساؤهم ولا كنوزهم ولا أراضيهم ، ولا يزاد عليهم".

وتشير بعض الروايات إلى أن الجزية المفروضة على هذه المناطق ، لم تكن محددة بدليل أن طلما صاحب إخنا، قدم إلى عمرو بن العاص ، وسأله عما عليهم من جزية فأجابه عمرو وهو يشير إلى ركن كنيسة : "لو أعطيتنى من الأرض إلى السقف، ما أخبرتك بما عليك ، إنما أنتم خزانة لنا. إن كثر علينا كثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم" وحاول طلما حشد بعض الجند الرومان، ولكن العرب هزموه وأسروه.

نجح العرب فى فتح دمياط، وتنيس ، وتونسة ودميرة وشطا ودقهلية وبنا وبوصير، فتم لهم إخضاعها جميعًا بصلح يشبه صلح بابليون.

وهكذا تم للعرب المسلمين فتح البلاد المصرية، واستقرت الأمور لهم فيها . إلا أن الإسكندرية ما لبثت أن نقضت الصلح (سنة ٢٣ وقيل ٢٥ هـ) . ولا شك أن الرومان هم الذين نقضوه، وليس القبط المصريون. ذلك أن عمرو بن العاص، كان ولى عبد الله بن حذافة بن قيس حكم الإسكندرية وعاد عمرو إلى الفسطاط، فانتهز الرومان هذه الفرصة، وكتبوا إلى الإمبراطور البيزنطى قسطنطين بن هرقل، يخبرونه برحيل عمرو عن الإسكندرية، وقلة عدد جند الحامية العربية بالإسكندرية. كما شكوا له اضطرارهم إلى أداء الجزية للمسلمين. فرأى الإمبراطور أن الفرصة سانحة لاستعادة الإسكندرية من أيدى المسلمين ، فأرسل ثلاثمائة سفينة تحمل قوات رومانية بقيادة مانويل الخصى.

قدم مانويل إلى الإسكندرية وقتل بعض الجند المسلمين ، ونجا البعض الآخر بأرواحهم وانحاز الرومان بالإسكندرية إلى جانب مانويل، فى حين لزم المقوقس والقبط الحياد، واحتفظوا لعهدهم مع المسلمين . ورفض عمرو بن العاص الذهاب إلى الإسكندرية لمواجهة مانويل وصحبه وقال: "لا ولكن أدعهم حتى يسيروا إلى، فإنهم يصيبون من مروا به فيخزى الله بعضهم ببعض" فقد كان عمرو يتوقع أن ينزل الجند الرومان سخطهم على أهالى المدن والقرى التى يمرون بها فى زحفهم لقتال الجيش الإسلامى، وتحقق ظن عمرو، فقد كان الجند الرومان يقتحمون القرى ، ويشربون خمورها، ويأكلون أطعمتها ، ويسلبون وينهبون حتى بلغوا مدينة نقيوس حيث تصدى لهم عمرو، واضطرهم إلى التقهقر نحو الإسكندرية وتتبعهم حتى تم له وللمسلمين استعادة الإسكندرية والقضاء على الثورة ، وقتل كثيرًا من الرومان ، كما سبى أعدادًا كبيرة منهم.

ومما لا شك فيه أن عمرًا بن العاص كان يلقى المساعدات والعون – فى طريقه – من القرى التى نزل بها ، ومما لا شك فيه أيضًا أن موقف القبط وبطركهم بنيامين كان

موقف تأييد للعرب ، إذ كانوا يشدون أزرهم ويقدمون لهم كل عون ممكن، ويظهرون لهم الود ويحافظون على عهدهم الذى تعاهدوا به فى صلح الإسكندرية . ذلك أنه لم يكن من العقل والحكمة أن يساعد القبط الرومان فى هذه المرة ، لأنهم لم يكونوا يأملون خيراً فى عودة حكمهم للبلاد، إذ أن ذكريات المقوقس وعسفه بهم كانت ما تزال منقوشة فى قلوبهم ، وإنهم شعروا بالطمأنينة على دينهم ودنياهم فى ظل حكم العرب لهم. والواقع أن ذلك لم يكن يتحقق لهم إذا عاد إليهم حكم الرومان . ولقد صدق بتلر حين قال: "ولو فعلوا غير ذلك لكانوا أحمق الناس وأجهلهم، كأنهم يسعون إلى وضع أيديهم فى أغلال الروم وكشف أجسامهم لجلد سياطهم". ولما تم لعمرو بن العاص القضاء على مانويل وثورته ، شكا إليه المصريون من أهالى القرى المجاورة مما أصابهم من جند مانويل، وما نهبه الرومان من قراهم. فأعاد عمرو إليهم كل ما كان مانويل قد أخذه منهم .

وبعد هذه الدراسة لأحداث الفتح العربى لمصر ، وموقف كل من القبط والرومان واليهود منه، نلمس تعدد الروايات العربية وغير العربية التى أوردها المؤرخون المسلمون وغير المسلمين، وتناقضها أحياناً، واختلافها فى التفصيلات أحياناً أخرى وإن كانت جميعاً تتفق فى أن المصريين قد صاروا أهل ذمة. ويروى بعض المؤرخين أن مصر فتحت عنوة ويرى آخرون أنها فتحت صلحا، وهناك من يذهب إلى أن بعض المناطق قد فتحت عنوة والبعض الآخر قد فتح صلحاً . ويمكن القول إن روايات هؤلاء المؤرخين يكمل بعضهما البعض ، ولا بد من الاعتماد عليها جميعاً حتى يمكننا تكوين صورة متكاملة لأحداث الفتح العربى لمصر.

وإذا تركنا هذه الروايات العربية التى حفلت بها المصادر التاريخية القديمة ، يجدر بنا الإشارة إلى آراء المؤرخين المحدثين حول موقف قبط مصر من العرب الفاتحين، ومدى ترحيبهم بهم، ومدى تقديم المساعدات لهم. وكان من الطبيعى أن ينقسم هؤلاء المؤرخون المحدثون إلى فريقين، أحدهما يبرز ترحيب القبط بالفتح العربى، وفريق آخر ينفى هذا الرأى.

ينسب توماس أرنولد النجاح السريع الذى أحرزه الفاتحون العرب إلى ما وجدوه من ترحيب المصريين بهم، الذين كرهوا الحكم البيزنطى الظالم، ولما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت. فإن اليعاقبة – وهم يكونون السواد الأعظم من المصريين – قد عملوا عوملوا مجحفة من أتباع المذهب الملكانى التابعين للإمبراطور. ومما لا شك فيه أن بعض القبط وقفوا موقف الحياد لأن ترحيبهم بالعرب معناه انتقالهم من تبعية إلى أخرى ، وهم بذلك لن يتمكنوا من إجلاء العرب والبيزنطيين معا فى وقت واحد، كما أن فريقًا من القبط حارب إلى جانب الرومان البيزنطيين ، إذ كانوا يتوقعون انتصار الرومان على العرب.

فى حين يرى أحد المؤرخين المحدثين أنه لما قدم العرب إلى مصر فاتحين ، احتاجوا إلى ما يشد أزرهم ، فوجدوا فى القبط خير معين، وإن كان ليس هناك ما يدل دلالة واضحة على مساعدة القبط للعرب فى تقدمهم من العريش حتى فتح حصن بابليون، إلا أنه من الثابت أنهم لم يساعدوا الرومان ضد العرب ، بل أمدوا العرب بالعلوفة والمؤن وغيرها.

ويرى هاردى **Hardy** أن القبط نظروا إلى الفاتحين العرب على أنهم منقذون ومحررون لهم مما كانوا يلاقونه ويعانونه، فقد كانوا يبغضون الرومان بغضًا شديداً ، لما قاسوه على يد المقوقس. وقد أدرك المسلمون حقيقة مشاعر القبط ، مما جعلهم أكثر جرأة وجسارة فى القتال.

والحقيقة أن المصريين رحبوا بالفتح العربى الذى يقضى على الأوضاع القائمة الظالمة ، والدليل على ذلك تمرد بعض القواد وعصيان بعض الحاميات ورفضها قتال المسلمين. ويذكر سيلفستر شولير - **Sylvestre Chuleur** أن القبط لم يرتكبوا خيانة فى حق الدولة الرومانية . فقد كانوا من قبل ساخطين على فساد الإدارة وسياسة الإمبراطور الدينية، ولذا كان من الطبيعى أن يخضع القبط ، ويسلموا للعرب الفاتحين تخليصًا من طغيان الرومان واستبدادهم. ويؤكد المؤرخ رأيه برواية تذكر أن الرهبان قد تركوا أديرتهم، وانضموا إلى الجند المسلمين ضد الرومان . كما أنه عندما حاول

البيزنطيون غزو مصر ثانية ، كان موقف القبط أكثر وضوحًا ، وقد انحازوا إلى جانب المسلمين وقدموا إليهم كل مساعدة ممكنة.

ويذهب مؤرخون محدثون آخرون ، مذهبًا مخالفًا ، فينفون الآراء التى تذهب إلى أن القبط رحبوا بالفاتحين العرب ، وقدموا لهم العون والمساعدة . وهؤلاء المؤرخون يستندون فى آرائهم على أن المسلمين أخفقوا فى فتح بعض المناطق ، ووجدوا كثيراً من الصعوبات والعقبات فى فتحها.

ويقف بعض المؤرخين المحدثين موقفًا وسطًا ، فيذكرون أن القبط قد انقسموا إلى فريقين متميزين فى موقفهم، فقد انحاز فريق منهم إلى الرومان ، فى حين أبدى فريق آخر ترحيبه بالعرب.

وبعد هذا العرض لآراء المؤرخين المحدثين حول موقف القبط من الفاتحين العرب ، يمكننا أن نقول ، إنه مما لا شك فيه أن كثير من القبط قد ساعدوا العرب فى تقدمهم فى الأراضى المصرية ، وقدموا لهم كل مساعدة، وكل تأييد ممكن . وكان ذلك نتيجة طبيعية لما قاسوه من الاضطهاد والعسف لمدة عشر سنوات، ونستند فى ذلك على أقوال المؤرخين القدماء.

فقد كتب أسقف القبط بالإسكندرية (أبو ميامين) عند قدوم الجيش العربى لمصر ، إلى القبط ، يشير عليهم بالترحيب بالعرب. فلن تكون للرومان دولة . كما قدم قبط الفرما كثيراً من المساعدات للجيش العربى، مما فتح الطريق أمام العرب. وكتاب هرقل إلى المقوقس يوضح حقيقة موقف القبط، وكراهيتهم للقتال ، واستعدادهم لدفع الجزية، وقد جاء فى هذا الكتاب: "... إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفًا ، وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا ، فإن عندك من بمصر من الرومان وبالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف" . ومن الروايات القديمة التى تثبت ترحيب القبط بالعرب ، وتقديم المعاونات لهم ، هذه الرواية: "إن عمراً بن العاص ، قد خرج بالمسلمين حين أمكنهم

الخروج من حصن بابليون ومعه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق ، وأقاموا لهم الجسور والأسواق ، وصار لهم القبط أعوانًا على ما أرادوا من قتال الرومان"، وأشار بعض المؤرخين القدماء صراحة إلى أن مساعدة القبط للعرب الفاتحين ظهرت بوضوح بعد فتح العرب لإقليم الفيوم.

والحقيقة أن العامل الرئيسى لنجاح الفتح العربى لمصر ، ولنهاية الحكم الرومانى، هو السياسة التى انتهجها الإمبراطور هرقل ، والمعاملة التى عامل المقوقس بها القبط الأرثوذكس ، وما لقيه هؤلاء القبط من بطرك الملكانيين . وقد رأى بعض المصريين أنهم لا يخسرون شيئًا إذا تقبلوا الحكم العربى بدلاً من الحكم الرومانى ، فكل من الحكمين بالنسبة إليهم حكم أجنبى ، وقد خبروا حكم الرومان سنوات طويلة ، وعانوا من فساده ومظالمه، وتوقعوا أن يكون الحكم العربى أخف وطأة، أو أكثر تسامحًا ، وبخاصة أن العرب يدينون بعقيدة تخالف عقيدة المصريين المسيحية ، فتنتهى بذلك الخلافات الطائفية التى سادت دهرًا ، وأدت إلى اضطهاد القبط . كما كان كثير من القبط قد سمعوا بسياسة التسامح التى اتبعها العرب الفاتحون نحو المسيحيين فى بلاد الشام.

كما أن الجزية التى فرضها العرب وقبلها القبط ، كانت تتضاءل كثيرًا إذا قارنوها بالضرائب الباهظة التى كان يؤديها المصريون للدولة الرومانية، وقد أثقلت كواهلهم وأدت إلى كثير من المساوئ الاقتصادية . ولمس قبط مصر تواضع العرب وبساطتهم، مما شجعهم على الخلاص من سياسة التفرقة العنصرية التى اتبعها الرومان فى حكم مصر.

أما يهود الإسكندرية فقد كانوا قد استقروا دهرًا طويلاً فى هذه العاصمة وامتزجوا بأهلها من القبط المصريين، وشاركوهم ظاهريًا ، مشاعرهم وكراهيتهم للحكم الرومانى وهؤلاء اليهود وإن كانوا فى الحقيقة يبغضون الطائفتين المسيحيتين، على السواء لاختلافهم معهم فى العقيدة، فإنهم آثروا إخفاء بغضهم، حرصًا منهم على مصالحهم المادية ونشاطهم الاقتصادى. وكان الفتح العربى مفاجأة ليهود الإسكندرية،

وقد جعل موقفهم حرجًا ، فقد كانوا فى الحقيقة لا يريدون إقحام أنفسهم فى معارك حربية أو خلاف سياسى، أو نزاع طائفى ، ويريدون التفرغ التام لنشاطهم الاقتصادى الواسع النطاق الذى يمارسونه منذ سنوات طويلة فى الإسكندرية ، وجعلهم يسيطرون على كثير من المرافق الاقتصادية . وقد خشوا نتائج مساعدتهم السلطات الرومانية الحاكمة ، فقد يتحقق النصر للعرب ، كما تحرجوا من تأييد الفتح العربى، فقد يكون النصر للرومان ، مما يعرضهم لسخطهم واضطهادهم. كما كان هؤلاء اليهود يدركون حقيقة مشاعر القبط العدائية نحو الرومان.

ولهذه الأسباب كلها آثر اليهود انتهاج سياسة الحياد التام، والوقوف موقفا سلبيا تجاه الأحداث الدائرة فى داخل الإسكندرية وخارجها . وفى الحقيقة لم يكن العرب الفاتحون فى حاجة إلى معاونة هؤلاء اليهود، فعددهم قليل إذا قارناهم بعدد القبط الذين يمثلون غالبية سكان مصر، كما أن اليهود لم يكونوا قوة عسكرية بل اتجه كل اهتمامهم إلى الشئون الاقتصادية ، وقد قدر العرب لهؤلاء اليهود موقفهم، فسمحوا لهم بالبقاء فى الإسكندرية .

وفى رأينا أن العرب الفاتحين كانوا على جانب كبير من الفطنة والذكاء، حينما اتخذوا هذا الموقف من اليهود . فقد كان هؤلاء اليهود فى الإسكندرية هم عصب النشاط الاقتصادى وكان جلاؤهم من المدينة بوقف هذا النشاط فى وقت يريد العرب الفاتحون تحقيق الاستقرار . ولا شك أن الاقتصاد هو أساس الاستقرار . ولا شك أن الاقتصاد هو أساس الاستقرار السياسى والإدارى والاجتماعى، كما أن العرب يخشون من محاولة الرومان استعادة الإسكندرية ، ولذا رأوا أن يضمنوا حياد اليهود مرة أخرى .

وفضلا عن ذلك إن هذه السياسة التى انتهجها العرب المسلمون نحو اليهود هى جزء من سياسة التسامح الإسلامى نحو أهل الذمة - أهل الكتاب - فى كل مكان .

أضواء على الفتح العربى

للإسكندرية

تاريخ الإسكندرية الإسلامية جزء من تاريخ مصر العربية، فالإسكندرية كان لها مركز خاص فى تاريخ العالم القديم وفى تاريخ مصر العربية، وما زالت لها أهميتها الخاصة حتى أيامنا هذه، ففى العصر البطلمى لم تكن الإسكندرية عاصمة مصر السياسية فقط ، بل كانت العاصمة الثقافية والحضارية للعالم الهلنستى فكانت مركز الإشعاع العلمى والفلسفى حيث جذبت جامعتها ومعاهدها طلاب المعرفة والبحث عن الحقيقة من كل مكان كما كانت تجذب "منارتها" السفن من وسط البحر وتهديها إلى بر الأمان.

وظلت الإسكندرية تتمتع بمركزها الممتاز كعاصمة لمصر ومدرسة للحضارة والمدينة وسوقا من أعظم أسواق العالم رغم ما مر بمصر من المحن بعد أن أصبحت ولاية رومانية.

ودخلت مصر فى رحاب الإسلام عام ٦٤٠ ميلادية وتم فتح مصر كلها فى نحو سنتين وأربعة أشهر ودخل عمرو بن العاص الإسكندرية يوم ٢٨ سبتمبر ٦٤٢ ميلادية أواخر سنة ٢١ هجرية، ورغم أن الإسكندرية لم تعد عاصمة للبلاد فقد ظلت محتفظة بمركزها ووضعها الممتاز، إذ بدخول الإسكندرية فى حوزة العرب أصبح لهم قدم ثابتة فى إفريقيا مكنت لهم فيما بعد السيطرة على الحوض الشرقى للبحر الأبيض المتوسط، وواصلوا الفتح حتى استولوا على المغرب كله والأندلس وسيطروا بذلك على الحوض الغربى وأصبح شبه بحيرة عربية وامتدت حدود الإسلام حتى وصلت إلى المحيط الأطلسى بل إلى جبال البرانس، فلم يكن الفتح العربى للإسكندرية مجرد استيلاء على مدينة، بل كان فتحا من أعظم فتوح الإسلام امتدت آثاره وأهميته حتى يومنا هذا ولنا أن نتصور لو أن الإسكندرية ظلت فى أيدى الدولة البيزنطية هل كان قد تم فتح المغرب العربى كله وهل كان العرب قد وصلوا إلى الأندلس ولعبت الإسكندرية – بعد الفتح العربى – دورها التاريخى فى خدمة الإسلام ... فصارت الإسكندرية (ثغراً) أى حداً فاصلاً مع العدو، أو جبهة يمكن أن يطرقها الروم

بأساطيلهم البحرية واحتفظت بأهميتها العسكرية وظلت صفة الثغر لاصقة بالإسكندرية طوال العصور الإسلامية وحتى العصر الحديث، فبعد أن كانت هدفا للروم أصبحت هدفا للصليبيين ثم الصقليين ثم صارت محط أنظار الفرنسيين والإنجليز وغيرهم حتى يومنا هذا. وبقدر ما تصمد الإسكندرية فى وجه الغزاة المعتدين تحمى مصر وديار الإسلام من الهجمات والغزوات المتتالية.

وسنلقى فى الصفحات القادمة بعض الأضواء على الفتح العربى للإسكندرية.

اتصال العرب بمصر قبل الفتح العربى :

كان العرب يفدون إلى مصر منذ أقدم العصور للتجارة وذلك عن طريق البحر الأحمر ووديان الصحراء الشرقية حتى إن المؤرخ والجغرافى اليونانى سترابون المتوفى نحو سنة ٢٥ بعد الميلاد قال عن مدينة قفط (فى صعيد مصر) إنها مدينة نصف عربية، ووفد على مصر للتجارة – زمن الجاهلية – عدد من الشخصيات العربية التى اشتهرت فى الإسلام نذكر منهم الخليفة الثالث عثمان بن عفان والقائد عمرو بن العاص وداهية العرب المغيرة بن شعبة.

وتذكر المصادر التاريخية أن عمرو بن العاص – زار الإسكندرية فى الجاهلية وأعجب بعظمة المدينة وعمادتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الأموال والخير، وتسترسل القصة التاريخية فتقول إنه وافق دخول عمرو الإسكندرية عيدا عظيما يجتمع فيه الملوك والعظماء ويترامون بكرة من الذهب يتلقونها بأكمامهم، وكانوا يعتقدون أنه إذا استقرت الكره فى كم أحد لم يمت حتى يملك مصر ... وتذكر القصة أنه حين جلس عمرو فى ذلك المجلس رمى رجل منهم الكرة فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو فعجب القوم وقالوا إن الكرة لم تكذبهم إلا المرة ... وقالوا: "أترى هذا الأعرابى يملكنا هذا ما لا يكون أبدا".

فتح العرب للإسكندرية:

أرسل الخليفة عمر بن الخطاب قائده عمرو بن العاص لفتح مصر فى سنة ١ هجرية (٦٣٩ ميلادية) ... واستمرت وقائع الفتح المعروفة حتى تم اقتحام حصن بابليون وتم توقيع معاهدة بابليون سنة ١٩هـ (٦٤٠م) بين عمرو بن العاص والمقوقس حاكم مصر، وإذا كان مصير مصر وأهلها قد تحدد بفضل هذه المعاهدة حيث قبل الروم دفع الجزية (على كل رجل دينارين) ... فإن مصير الإسكندرية لم يكن قد تحدد بعد ... ولم يكن العرب قد وصلوا للإسكندرية أو فتحوها.

وقائع الفتح الأول للإسكندرية:

لم يُضع عمرو وقتًا بل اتجه نحو الإسكندرية رأسًا وهنا نجد أن القبط (أهل مصر المسيحيين) إلى جانب العرب صراحة وذلك نتيجة طبيعية لمعاهدة الصلح (معاهدة بابليون) والشروط السمحة للإسلام ولضيقهم وتذمرهم من ظلم الرومان وغيرهم وتعسفهم. ويقول ابن عبد الحكم عن عثمان بن صالح:

"وخرج معه (مع عمر بن العاص) جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطريق وأقاموا لهم الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعوانًا على ما أرادوا من قتال الروم، وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب كبيرة من أرض الروم فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح".

ولم يلق المسلمون فى طرقهم أحدًا من الروم إلا عند ترنوط (حاليا الطرانة مركز كوم حمادة) وكان بها يعبر النيل فى الذهاب إلى الإسكندرية وقد لقى المسلمون بها حامية رومية صغيرة انهزمت أمامهم ... ثم نزل عمرو بنقيوس وكانت بها حامية رومية وبها سفن كثيرة فى النيل فلما رأى قائد الحامية العرب ترك سفنه ومعداته وفر هاربا مع جنوده إلى الإسكندرية فأرسل عمرو وراءه سرية أدركته عند

كوم شريك (مركز كوم حمادة) وكانوا أكثر من المسلمين عدداً فأحاطوا بهم وأرسل عمرو نجدة للمسلمين فتراجع الروم حتى بسلطيس (اليوم بسنطيس على بعد سبعة كيلو مترات جنوبى دمنهور) فالتقوا عندها وانهزم الروم وتقهقروا حتى وقفوا عند الكريون (قرب معمل القزاز مركز كفر الدوار) وكانت مفتاح الطريق للإسكندرية وكان بها حصن منيع شمالى الترعة الذاهبة إلى الإسكندرية... وكان الروم قد تحصنوا بها وجاءتهم النجدات من مواضع مختلفة مثل الخيس (قرية أم حكيم مركز شبراخيت) ومن بسخا (مركز كفر الشيخ واستمر القتال بضعة أيام حتى انهزم الروم وتعقبهم المسلمون حتى بلغوا خط الحصون الذى يحمى الإسكندرية فوقفوا عنده. ونزل المسلمون "ما بين حلوة إلى قصر فارس إلى ما وراء ذلك معهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة فأقاموا شهرين".

وقد استعد الروم فى الإسكندرية استعدادا عظيما للدفاع عنها واهتم هرقل للأمر حتى قيل إنه استعد للذهاب إليها للدفاع عنها بنفسه لولا أن حال الموت دون ذاك.

وقد طال وقوف عمرو أمام الإسكندرية وكان بطبعه رجلا وافر النشاط فشغل بعض جنده فى سرايا أخضعت بعض نواح من شمال غرب الدلتا وإقليم البحيرة... ثم عاد فشدد الهجوم على الإسكندرية حتى طلب المدافعون عنها التسليم مقابل الجزية ولم يستطع عمرو إجابتهم إلى ما طلبوه إلا بإذن من الخليفة عمر بن الخطاب لأن حكم البلد الذى يستولى عليه بعد هذا القتال العنيف هو حكم العنوه فى حين أن المدافعين عن الإسكندرية طلبوا معاملة الصلح، وافق الخليفة على إجابة المطلب ودخل العرب الإسكندرية بعد نحو ثلاثة أشهر من القتال والحصار وأوفد عمرو أحد رجاله لإبلاغ الخليفة بفتح الإسكندرية وأقام عمر الصلاة شكرا لله على هذا الفتح المبين، وكان ذلك فى أواخر عام ٢٠ هجرية أواخر ٦٤١ ميلادية.

وعقدت معاهدة بابليون الثانية (تمييزاً لها عن معاهدة بابليون الأولى). أو معاهدة الإسكندرية بين عمرو بن العاص والمقوقس، ونصت المعاهدة على عقد هدنة بين الروم

والعرب مدتها أحد عشر شهراً تنتهى فى أول شهر بابة (يوافق ٢٨ سبتمبر سنة ٦٤٢م) يكف فى أثنائها الروم والعرب عن القتال، كما يتم خلالها جلاء حامية الروم عن الإسكندرية حاملين أمتعتهم وأموالهم، واشترط فى هذه المعاهدة ألا يعود جيش رومى ثانية إلى الإسكندرية، وألا يستولى العرب على كنائس المسيحيين فى الإسكندرية، وألا يتدخلوا فى أمورهم وأن يباح لليهود الإقامة فى الإسكندرية وألا يتدخلوا فى أمورهم، ولكى يضمن العرب تنفيذ شروط المعاهدة نصت على أن يحتفظ العرب بمائة وخمسين من الجند وخمسين من غير الجند كرهائن.

وبعد سقوط الإسكندرية امتد نفوذ العرب تدريجيا إلى سائر الأقاليم فى مصر وأصبح العرب يسيطرون على وادى النيل كله واتجهوا إلى تأمين حدود مصر الغربية والجنوبية.

نقض الروم المعاهدة والفتح العربى الثانى للإسكندرية:

يبدو أن معاهدة الإسكندرية كانت من وجهة نظر الروم حلا مؤقتا لجأ إليه الروم ريثما تحل مشاكل العرش البيزنطى، ولم يكن من السهل على الروم التخلى عن الإسكندرية درة الإمبراطورية البيزنطية إذ سرعان ما نقض الروم المعاهدة وأرسل إمبراطورية قنسطانز الثانى - حفيد هرقل - أسطولاً كبيراً إلى الإسكندرية عام ٦٥٤م (بعد حوالى ثلاث سنوات من دخول العرب الإسكندرية) هدفه إجلاء العرب عن مصر إجلاءً تاماً مبتدئاً بالإسكندرية، وتم استيلاء الجيش البيزنطى على الإسكندرية وزحف من بعدها إلى ما يليها من بلاد الوجه البحرى، وتحرج مركز العرب فى مصر... وكان واليها حينذاك هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان... وبعث أهل مصر إلى الخليفة يسألونه أن يرسل عمرو بن العاص مرة ثانية لمحاربة الروم لأن له معرفة وخبرة بحربهم.. وجاء عمرو بن العاص... وقاتل الروم وهزمهم خارج المدينة ثم تتبعهم إلى أسوارها ويقال إنه عندما رأى الأسوار تقوم سداً

مانعا بينه وبين المدينة ندم على أنه لم يقدم على هدمها عند دخوله المدينة فى المرة الأولى... وحلف لئن أظفره الله بالمدينة ليهدمن أسوارها... ثم هاجم عمرو المدينة بشدة وقوة من ناحيتها الشرقية ودخلها هذه المرة عنوة وقتل قائد جيش الروم وبرّ بقسمه وهدم الأسوار الشرقية حتى سواها بالأرض. ويستطرد الباحث عبد الرحمن صالح فى دراسته قائلا:

صفة الإسكندرية كما رآها العرب:

دخل العرب المدينة التى لم يشهدوا لها مثيلا من قبل بفضل قصورها الفخمة ومعابدها الكبيرة وشوارعها الواسعة ذات الأقواس المرفوعة على العمد الجميلة والمليئة بالأعمدة الهائلة والتماثيل العجيبة فكان لها وقع غريب فى نفوسهم أثار خصب خيالهم فوصفوها وصفًا رائعًا، واكتفى هنا بنقل قطعة من الكتاب الذى يقال إن عمرو بن العاص أرسله إلى الخليفة عمر يصف له فيه الإسكندرية:

"أما بعد فإنى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف مينة بأربعة آلاف حمام، وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية، وأربعمائة ملهى للملوك" ... وفى رواية أخرى أن عمرًا لما فتح الإسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر. ويقال إن عدة من كان الإسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال ... ويقال أن عدد من كافى عليهم الجزية بالإسكندرية ٦٠٠ ألف عدا النساء والصبيان ويقول ابن عبد الحكم:

"أن الإسكندرية كانت ثلاث مدن بعضها إلى جنب بعض : منة وهى موضع المنارة وما والاها، والإسكندرية وهى موضع قصبة الإسكندرية اليوم ونقيطة ... وكان على كل واحدة منهن سور وسور من خلف ذلك على المدن الثلاث يحيط بهن جميعا".

والمقصود بالمدن الثلاث أحياء الإسكندرية المشهورة عند دخول العرب وهى حى المصريين الوطن، وحى الروم، وحى اليهود... ويقول ابن عبد الحكم... "وكان على الإسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق" والمقصود هو سلسلة من الأسوار والخنادق تحيط بالمدينة وبين الواحد والآخر منها حصن وأبراج.

وتقول رواية إن الإسكندرية مبنية على آزاج وطبقات قد عمل لها مخاريق ومتنفسات للضوء يسير الفارس وبيده رمح طويل فلا يضيق به طريق من تلك الآزاج حتى يدور جميع الإسكندرية... وكانت أسواقها مقنطرة فلا يصيب أهلها المطر... ووصف الرواية ينطبق على وصف الصهاريج المبنية لخزن المياه، وكانت طبقات فوق بعض وبها العدد العظيم من الحجرات والأعمدة ... وهذا أصل الرواية التاريخية التى تقول إن الإسكندرية مبنية مدينة فوق المدينة نظرا لاتساع هذه الصهاريج إلى درجة أنها شملت مساحة المدينة الكبيرة وهذه الصهاريج كانت تملأ من الترعة العذبة فى أوقات الفيضان... أما الأسواق المقنطرة فالمعروف أن كثيراً من شوارع الإسكندرية كان يكتنفها من الجانبين سقائف عجيبة فى عمارتها ومبانيها وشوارعها رغم ما مر بها من محن وأحداث.

هكذا كانت الإسكندرية عندما دخلها العرب ... مدينة مزدهرة (بوائك) مبنية على عقود وأتواس تحملها الأعمدة الجميلة.

دراسات قصيرة
حول أثر مدرسة الإسكندرية
عبر العصور

الأثر السكندرى فى الحضارة العربية الإسلامية

لا توجد مدينة أثرت فى الحضارة العربية الإسلامية كما فعلت مدينة الإسكندرية، فقد امتازت الإسكندرية بمكان جغرافى ومكانة تاريخية لم تتميز بهما أية مدينة أخرى، ومن موقعها الجغرافى والتاريخى كان لها ذلك الأثر البالغ فى التكوين الحضارى للعرب والمسلمين على امتداد عدة قرون، فمن حيث الجغرافيا وقعت الإسكندرية على الطرف الشمالى من مصر وعلى الحدود الجنوبية من إمبراطورية روما، فكان للموضع أثره فى التقاء العلمين : المصرى القديم والرومانى الوليد، وبينهما يمتد العالم الإغريقى الحافل بالفلسفة والعلم، وهكذا اتصل التاريخ بالجغرافيا، فاحتشدت هنا – فى الإسكندرية – خبرات الأمم وتجارب الدول حتى جاء الوقت الذى لم يكن ممكنًا فيه فصل الموروث الفرعونى عن التأثير الإغريقى فى الإسكندرية ناهيك عن امتزاج العناصر الشرقية والرومانية واليهودية والمسيحية، وغير ذلك من المزيج السكندرى القديم.

ومن ينبوع ذلك (المزيج السكندرى) تدفقت روافد كثيرة لتصب فى نهر الحضارة العربية الإسلامية... فكان التدفق العارم، المؤثر، الذى نستعرض فيما يلى بعض روافده ويقول الدكتور يوسف زيدان فى دراسته:

(أ) الطب:

فى ابتداء اشتغال العرب المسلمين بالطب يمكن الحديث عن بعض الأصول الهندية القديمة التى ابتدأ بها البحث العلمى العربى فى مجال الطب، فهناك بعض الكتابات الهندية التى ترجمت للعربية مبكرًا مثل كتاب شاناق فى السموم وبعض رسائل الأطباء من أمثال كنكه وشراكا ومنكه – لكن الأصول اليونانية كانت أعمق أثرًا فى الطب العربى الإسلامى ، وهى الأصول الأعمق تمثلت فى (المجموعة الأبقراطية)

و(جوامع جالينوس) وكلاهما إنتاج سكندرى، فقد عمد أطباء الإسكندرية إلى مجموعة أعمال جالينوس فانتخبوا منها بستة عشر كتاباً ترجمها حنين بن إسحق – وغيره – وعرفت لدى المسلمين باسم (الجوامع) أو (منتخبات الإسكندرانيين) وقد كانت هذه المجموعة بالإضافة إلى كتب أبقراط المكونة من اثنى عشر كتاباً هى المقرر الدراسى اللازم لطلاب الطب على امتداد القرون الممتدة من القرن الثالث حتى القرن الثامن الهجرى، ولم يكن الطبيب العربى يتأهل لممارسة الطب إلا بعد اجتيازه هذا المقرر الدراسى الذى صيغ فى الإسكندرية، هذا عن الكتب، أما المجالس العلمية التى كانت تلك الكتب مقررة فيها فقد ابتدأت من الإسكندرية وتعاظم أثرها فى أرجاء العالم الإسلامى على نحو ما عرض مايرهوف فى مقالته الشهيرة : من الإسكندرية إلى بغداد.

(ب) الفلك :

ومن الإسكندرية إلى بغداد – أيضاً – انتقلت الدراسات الفلكية متمثلة فى أعظم كتاب فلكى عند العرب (المجسطى) لبطليموس، وهو الكتاب الذى ترجمه العرب، مبكراً، عدة مرات أولها ترجمة يحيى بن خالد بن برمك كما تمثل الأثر السكندرى فى الأزياج الفلكية التى ترجمها العرب من أعمال فلكيى الإسكندرية، فترجموا أزياج بطليموس وأمونيوس وثاون ومنلاوس، وإبسقلاوس، ولا شك فى أن الهنود والفرس كان لهم فضل السبق الفلكى والأثر العلمى فى الفلك العربى، لكن التراث الهندى لم يكن كافياً.. يقول نالينو: أما كتب الهند والفرس فكانت قاصرة عن مقتضيات العلم السامى بسواء من حيث النظريات أم جهة الرصاد وقد احتاج العرب وقت نهضتهم العلمية إلى ما يهديهم إلى طرق البحث المتقصى فى المسائل الفلكية ويوضح لهم كيف تثبت أصولها بالقياس والبراهين: فلحسن حظهم أنهم حصلوا على كتب إقليدس التى علمتهم الطريقة المحدثة فى وضع البراهين الهندسية والمجسطى لبطليموس الذى عرفهم بتطبيق تلك البراهين

على بيان الحركات السماوية ووضح كيفية الأرصاد ووجوب المداومة عليها (علم الفلك ص ٢١٥) . والجدير بالذكر هنا تلك الإشارة التى وردت فى مقدمة كتاب بنى موسى بن شاكر (الدرجات المعروفة) وهو كتاب مخطوط جاء فى أوله: "إن اليونانيين تسلموا مبادئ علومهم التجريبية من الهند!" ومع ذلك فإن الأثر اليونانى فى الفلك العربى، متمثلاً فى أعمال الإسكندرانيين، وكما هو الأثر الأبلغ عند العرب والمسلمين... وقريب من الفلك: الرياضيات.

(جـ) الرياضيات :

لم يكن من الممكن أن تتطور البحوث الفلكية العربية لتصل إلى ذلك المستوى العلمى الرفيع الذى نجده عند البتانى والصرفى والطوسى، لولا اقتران الرياضيات بالفلك فى الحضارة العربية الإسلامية، ولقد أسهمت الإسكندرية فى تشكيل الرياضيات العربية من خلال مجموعة أعمال حظيت بمكانة كبيرة عند العرب، وهى أعمال رياضيى الإسكندرية وعلى رأسهم إقليدس وأبولونيوس... فمن الإسكندرية إلى بغداد والعواصم الإسلامية الأخرى، انتقل كتاب (الأصول) لإقليدس وكتابات أبولونيوس فى الأشكال المخروطية – وبعض أعمال الفيثاغوريين الإسكندريين – ليبدع العرب بعد ذلك فيظهر الجبر مكتملاً على يد الخوارزمى وتتطور الهندسة على يد ابن الهيثم والطوسى، فترتقى – بالتالى – العمارة على يد موسى بن داود وأحمد بن كثير الفرغانى... وغير هؤلاء كثيرون.

(د) الفلسفة :

لا يمكن لمؤرخ الفلسفة الإسلامية أن يُسقط من حسابه ذلك الأثر السكندرى الهائل فى فلاسفة الإسلام، فقد لعبت الإسكندرية الدور الأكبر فى تقديم الفلسفة

اليونانية إلى العالم الإسلامى وإن شئنا الدقة: فقد عرف العرب والمسلمون الفلسفة اليونانية من خلال الصياغة السكندرية، تلك الصياغة التى امتزجت فيها أفكار أفلاطون وأرسطو بالعديد من التيارات الدينية والصوفية لتنتج فى النهاية (الأفلاطونية المحدثة) التى صاغها - فى الإسكندرية - فلاسفة كبار من أمثال فيلون وأمونيوس ساكاس وتلميذه الشهير أفلوطين، ودون التعرف على هذا الأثر السكندرى، لا يمكن فهم البواكير الأولى للفلسفة الإسلامية كما قدمها الكندى والفارابى وابن سينا، ولا يمكن تعليل سطوة نظرية (العقول العشرة) التى هام فيها فلاسفة الإسلام المتقدمون وانتقدها المتأخرون..، وهى النظرية التى امتد أثرها خارج نطاق الفلسفة الخالصة فوصل إلى الموروث الشعبى الممتد حتى اليوم، فلا يزال الناس فى مصر والإسكندرية أعنى الناس البسطاء يمدون أصابعهم ويقسمون بالعشرة!

ولا تزال هناك الكثير من الآثار السكندرية فى الحضارة العربية الإسلامية، آثار عميقة تجلت فى الميكانيكا (علم الحيل) والصيدلة والبيطرة والتصوف ، إلخ، ولا ننسى ونحن نحقق التراث اليوم فنقابل بين النسخ الخطية لاستخراج نص سليم، أن أول عملية مقابلة بين الأصول الخطية تمت فى الإسكندرية القديمة على يد أمين مكتبتها (يامبليخوس) الذى قابل بين المخطوطات الأقدم لاستخراج النص الأصح للملحمتى: (الإلياذة والأوديسا):

ازدهار الحياة العلمية فى الإسكندرية
فى عصر دولة المماليك الأولى

ارتبط الازدهار الاقتصادى الذى شهدته الإسكندرية فى عصر دولة المماليك نتيجة لاهتمام سلاطين هذه الدولة برعاية من نزلها من تجار الكارم ما كان له أثره الكبير فى انتعاش الحياة الاقتصادية. ارتبط هذا الازدهار ارتباطًا وثيقًا بتقدم الحركة العلمية، فقد أسهم تجار الكارم الذين جنوا أرباحًا طائلة من تجارتهم الكارمية فى تأسيس المدارس العلمية ودور الحديث والرباطات ومن أشهر الأسرات الكارمية التى كان لها نصيب وافر فى النهضة العلمية أسرة الكويك وأسرة الدماميني، فقد أقام أحد رؤساء الأسرة الأولى وهو عبد اللطيف بن أحمد بن الكويك التكريتى التاجر الكارمى مدرسة الإسكندرية أنفق عليها جملة من متحصل فائدة يوم واحد فقط من تجارته، كما أسس عتيق بن محمد بن سليمان الدماميني من رؤساء الأسرة الثانية مدرسة بشارع المرجانيين بالثغر فى حى العطارين، وإلى جانب هاتين المدرستين أقيمت بالإسكندرية فى عصر دولة المماليك الأولى من المدارس: المدرسة الخلاصية والمدرسة النابلسية ومدرسة الفخر التى أقيمت على مقربة من الباب الشرقى ومدرسة البلبيسى الواقعة فى شارع رماة القرافة بغرب الإسكندرية ومدرسة ابن حباشة، ودار الحديث التكريتية، ومدرسة الخضر التى أقيمت على مقربة من مسجد تربانة، بالإضافة إلى مدرستين كانتا مقامتين منذ العصر الفاطمى هنا: المدرسة العوفية أو الحافظية والمدرسة السفلية أو العادلية، ومن الرباطات التى كان ينزل بها المنقطعون للعبادة من الصالحين أقيمت فى العصر موضوع الدراسة رباطات الواسطى (وكان يقع شرقى مسجد أبى العباس

المرسى) ورباط سوار الذى كان يقع ما بين الميناءين، ورباط الهكارى الذى كان مقامًا خارج باب البحر، ولقد اجتذبت هذه المؤسسات عددًا كبيرًا من طلاب العلم من المشرق والمغرب، وانتجعها علماء أندلسيون قدموا إلى الإسكندرية التماسًا للسماع على شيوخ الإسكندرية أمثال عبد الواحد بن شرف الدين بن المنير (ت ٧٣٦ هـ) والحافظ أبو المظفر منصور بن سليمان الهمدانى الإسكندرانى (ت ٦٧٣ هـ) ومنصور بن سندى الدباغ الإسكندرانى (ت ٦٤٦ هـ) وعبد الله بن منصور الإسكندرانى المعروف بالمكن الأسمر شيخ قراء الإسكندرية (ت ٦٩٢) ويحيى بن أحمد بن الصواف الجذامى الإسكندرانى (ت ٧٥٠ هـ)، وبرز من شيوخ الإسكندرية فى التصوف الشيخ الزاهد أبو القاسم محمد بن منصور يحيى الإسكندرانى المعروف بالقبارى (ت ٦٦٢ هـ) والشيخ الزاهد أبو عبد الله بن محمد بن سليمان المعافرى الشاطبى (ت ٦٧٢) والشيخ الأكبر العارف بالله أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد الأنصارى المرسى الأندلسى قطب الإسكندرية ورأس أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى خليفة الشيخ الأكبر أبى الحسن الشاذلى. وهذا ملخص لدراسة د. السيد عبد العزيز سالم ويقول:

وبفضل هؤلاء الشيوخ الكبار انتعشت الحياة العلمية بالثغر السكندرى فى عصر دولة المماليك الأولى، وأصبحت الإسكندرية فى هذا العصر مركزًا من أعظم مراكز العلوم الإسلامية.

الملامح الحضارية لمدرسة الإسكندرية

إذا كان الفكر الإنسانى هو إحدى نتائج التفاعل الدائم بين القدرات الذهنية للأفراد من جهة وبين المجتمع من جهة أخرى، فإن الملامح التى تكتسبها المدارس الفكرية هى نتاج البيئة الحضارية التى ظهرت فيها هذه المدارس سواء من حيث المكان أو من حيث الزمان، وفى هذا الصدد فإن مدرسة الإسكندرية هى نتاج مباشر للعصر المتأغرق (أو العصر الهللنستى) الذى تفاعلت فيه الحضارة اليونانية الصاعدة مع التراث الحضارى الشرقى فى عمومه، والتراث الحضارى المصرى على وجه التخصيص. ويذكر الدكتور لطفى عبد الوهاب هذه الملامح:

ونحن نستطيع أن نلمس هذا بشكل واضح فى ملامح ثلاثة: وأول هذه الملامح هو الصفة العامة التى اتخذتها هذه المدرسة بوصفها منشأة تبنتها الدولة وقامت على رعايتها من جميع الجوانب وهى فى هذا تختلف عن الاتجاه الذى كان سائداً فى بلاد اليونان الذى قامت فيه المنشآت العلمية على أساس فردى بقدر ما تقترب من الاتجاه الذى كان سائداً فى مصر منذ أوائل عصر الفراعنة والذى مثلته المراكز العلمية أو مراكز البحوث – وهى منشآت عامة كانت ترعاها الدولة أو يرعاها الكهنة القائمون على أمور المعابد.

والملمح الثانى هو فكرة التخصص الذى بلغ ذروته فى مدرسة الإسكندرية، بحيث أصبح يشكل الاتجاه الأساسى، وفى بعض الحالات الاتجاه الوحيد عند علماء ومفكرى هذه المدرسة، وهذه الفكرة تمثل نقطة انطلاق مكثفة من حيث انتهى الاتجاه اليونانى الذى كان قد تدرج من الأسلوب الموسوعى فى محاورات أفلاطون (المتضمنة لمحاورات سقراط) إلى الاتجاه شبه التخصصى الذى ظهر عند أرسطو وعلماء معهد اللوقيون.

أما الملمح الثالث فهو المزج فيما يخص الفكر الدينى فى مدرسة الإسكندرية بين أسلوب الفكر الفلسفى عند اليونان القائم على الأساس العقلانى وبين الأسلوب الفكرى الدينى الشرقى، والمصرى خصوصًا - وهو الذى يعتمد أسلوب التأمل الروحى وقد ظهرت هذه المزاوجة فى اتجاهين: الأول هو محاولة الربط بين العقائد الدينية كما فى حالة كليمنس وأويجين، والثانى هو محاولة التوصل إلى المضمون الفلسفى بأسلوب التأمل والإلهام والوحى، كما هو الحال فى الفكر الدينى عند أفلوطين.

أما الظرف التاريخى الذى كانت نتيجته هذه الملامح الثلاثة فهو يتمثل فى ظرفين أساسيين: الظرف الأول هو المنافسة الشرسة التى قامت بين دول العالم المتأغرق على كل الأصعدة (العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية) وهى منافسة كانت تستوجب الاعتماد على سلاح العلم والفكر بشكل أساسى فى تطوير إمكانات هذه الدول فكريًا وماديًا، ومن هنا جاءت فكرة وضع مدرسة الإسكندرية تحت رعاية الدولة حتى يمكن تزويدها بكل جوانب الرعاية اللازمة ليصل نتاجها الفكرى والعلمى إلى القمة، كما جاء اعتماد فكرة التخصص ليصبح وسيلة الوصول للقمة المنشودة.

أما الظرف الآخر، الخاص بالفكر الدينى فقد جاء نتيجة تطور يتمثل فى سقوط حضارة دولة المدينة ومن ثم آلهة دولة المدينة التى كانت ترعى هذه الحضارة والدويلات اليونانية (دول المدينة) التى كانت مركزًا لها، إن سقوط دول المدينة كان معناه فى نظر اليونان سقوط عقائد وآلهة هذه الدول كجزء من حضارتها، ومن ثم بدأ البحث عن بدائل لهذه الحضارة ولهذه العقائد، وفى هذا الصدد ظهرت المدارس الفلسفية اليونانية المتأخرة (الأبيقورية والرواقية والتشككية) لتبرر أو تملأ الفجوة التى حدثت بين الفرد والمجتمع بعد انهيار الحضارة المذكورة، ثم كانت الخطوة التالية هى محاولة المزاوجة بين الأسلوب العقلانى للفلسفة اليونانية وأسلوب التأمل والوحى عند العقائد الشرقية.

السمات النفسية للشخصية السكندرية
دراسة ميدانية

تسعى هذه الدراسة لتحقيق الاهداف الآتية كما يقول الدكتور عبد الرحمن العيسوى:

١ - التعرف على السمات السائدة فى الشخصية السكندرية، والتعرف على مقدار قوة أو شدة أو وزن هذه السمات الموجودة ووضعها فى ترتيب هرمى.

٢ - التعرف بشكل كمى، على مقدار مسئولية الظروف البيئية والوراثية عن اكتساب الفرد لسماته العقلية والجسمية والنفسية.

٣ - التعرف على الأسباب التى تؤدى إلى اكتساب الفرد السكندرى لملامح شخصيته من واقع الظروف التى يعيشها فى المجتمع السكندرى.

٤ - التعرف على العادات السلوكية المنتشرة فى الشخصية السكندرية.

٥ - السمات التى تميز الشخصية السكندرية عن غيرها من الشخصيات.

٦ - مدى شعور المشارك بالرضا أو عدم الرضا عن سمات الشخصية السكندرية.

٧ - السمات التى يرغب المشاركون فى تغييرها أو تعديلها فى الشخصية السكندرية.

(١) المنهج والإجراءات وأدوات القياس:

اعتمدت هذه الدراسة الميدانية على إجراء عدد من المقابلات الشخصية أجراها الباحث مع عدد من الزملاء المتخصصين فى علم النفس والتربية والاجتماع والفلسفة والتاريخ، بلغ عددهم عشرين من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية وتناولت المقابلات آراءهم وتصوراتهم عن الشخصية السكندرية، ومدى مسئولية العوامل الوراثية والبيئية عن سمات الفرد الشخصية والعقلية، وأيضًا استهدفت المقابلات التعرف على السمات التى يطلب المشارك تغييرها أو تعديلها فى الشخصية السكندرية.

وقد تم جمع قدر كبير من المعلومات، وقام الباحث بترجمة هذه الآراء فى شكل استبيان.

(٢) وصف أداة القياس المستخدمة فى الدراسة:

تكوّن الاستبيان من عشرة أسئلة بالإضافة إلى بيانات شخصية عن المشارك، وجاء عدد من هذه الأسئلة محددة الإجابة "نعم" أو "لا" أو "أرضى" أو"لا أرضى"، وجاء البعض الآخر متعدد الاختيارات، بينما جاء البعض الثالث مفتوح النهاية، وذلك لإتاحة الفرصة أمام المشارك لإبداء الرأى بحرية وانطلاق.

(٣) استخدام المقياس المتدرج:

لقد رؤى عدم الاكتفاء بوجود السمة أو عدم وجودها فى الشخصية السكندرية قياسًا بأبناء الأقاليم الأخرى، بل لا بد من التعرف على مقدار أو كم وجودها أو انعدام وجودها، ولذلك تضمن المقياس خمس نقاط لكل سمة من السمات الـ ٣٤ التى تضمنها السؤال الأول:

١- السمة موجودة بصورة مطلقة وقوية.

٢ - موجودة.

٣ - موجودة إلى حد ما .

٤ - غير موجودة.

٥ - غير موجودة إطلاقًا .

(٤) المعالجات والتحاليل الإحصائية :

اعتمدت هذه الدراسة على إيجاد النسب المئوية لوجود كل سمة من عدمه، ثم نصيبها من المقياس ذى النقاط الخمس وحساب الفروق بين الجنسين فى كل متغيرات الدراسة ودلالته الإحصائية، وتم كذلك حساب المتوسطات الحسابية كما تم استخدام مقاس "كاى" مربع كاى لمعرفة دلالة الفروق وترابط السمات.

من علماء الإسكندرية العباقرة
الشيخ محمد الصادق إبراهيم عرجون
وموسوعته محمد ﷺ منهج ورسالة

في محاضرة قيمة لفضيلة الدكتور على جمعة - مفتى الجمهورية - تحدث فيها عن أستاذية أستاذه العملاق من عمالقة أعلام الأزهر الشريف (الصادق عرجون) الذى لم يأخذ حظه من التكريم والتعريف رغم أن الآلاف من تلاميذه فى الأزهر، والمعاهد الأزهرية، تعلموا على يديه ومنهم الدكتور المفتى على جمعة.. الذى أشار إلى كتابه العظيم "محمد ﷺ .. منهج ورسالة - بحث وتحقيق" فى ثلاثة أجزاء (تم نشره فى دار القلم بدمشق، عام ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م).

ورغم أننى بفضل من الله تمكنت من العثور على خمسمائة كتاب عن الرسول الكريم ﷺ من الشرق والغرب، وقدمت مائة وخمسين كتابا منها فى البرنامج العام، فى برنامجى "المحمديات" وهو رحلة مع الكتاب والمفكرين، والأدباء والباحثين فى أنحاء العالم ورؤى جديدة فى السيرة العطرة منذ عام ١٩٩٥م حتى الآن.. وأذاعته عدة دول عربية، منها السعودية، واشترك فى أدائه كبار الممثلين.

وقد صدر من "المحمديات" بستة أجزاء من هيئة الكتاب، ثم الموسوعة المحمدية أيضا فى ألف حلقة تذاع يوميا من إذاعة الشرق الأوسط فى فترة الفجر، وعندما قرأت كتاب الشيخ الصادق عرجون عن "محمد رسول الله ﷺ" استحوذ على إعجابى وتقديرى لهذا المؤرخ الملتزم، العميق فى الدراسة، والباحث العملاق.

إنه المؤرخ الملتزم محمد الصادق عرجون الذى ولد عام ١٩٠٣م بمدينة "إدفو" من مراكز محافظة أسوان، وتوفى فى مطلع المحرم ١٤٠١هـ، وتعلم فى الأزهر، ونال درجة العالمية عام ١٩٢٩م، ثم درجة التخصيص القديم عام ١٩٣٥م، وعين مدرسًا بالأزهر، فأستاذًا بالكليات، فشيخا لعلماء الإسكندرية ومعاهد الإسكندرية أكثر من عشر سنوات، فمديرًا للتعليم الأزهرى، فعميدًا لكلية أصول الدين بالإسكندرية أيضًا، وهو فى أدوار حياته طالبًا ومدرسًا ورئيسًا ذا شخصية مرموقة، لأنه عشق الأدب صغيرًا، وقد عين مصححًا بجريدة الأهرام، وهو مازال طالبًا، حتى إذا درج فى مرحلة التعليم

العالمى عرفه القراء كاتبًا شاعرًا فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية. وعرفته دار جمعية "الهداية الإسلامية".. محاضرًا بين الكبار من أئمة التوجيه الدينى فى عصره، وكان رئيس الجماعة حينئذ الأستاذ الكبير الشيخ محمد الخضر حسين، الذى اعترف بأستاذيته المثمرة الأستاذ عرجون، واعترف بأستاذية العالم الكبير الشيخ إبراهيم الجبالى، بأسلوبه العلمى كاتبًا ومفسرًا ومحدثًا.

ويقول عنه الدكتور محمد رجب البيومى: "لا تصدق عبارة "الأسلوب هو الرجل" كما تصدق على العالم الأديب المؤرخ محمد صادق إبراهيم عرجون". ففى أسلوبه ما فى شخصيته من فحولة، وشجاعة وقوة، لقد كان الأستاذ ذا حمية مخلصة، وغيرة ملتهبة تلمسها فى حديثه كما تراها فى بريق عينيه، وتوهج ملامحه. فإذا قرأت له موضوعًا جدليا مما خاض فيه مع من يخالفهم الرأى تمثل لك هذه الملامح فيما تقرأ، فتجزم بأنه "الأسلوب هو الرجل".

لقد تخرج الأستاذ محمد الصادق عرجون فى قسم التخصص الخاص بدراسة البلاغة والأدب، فاتجهت همته حينئذ إلى الدراسات الأدبية، وكانت مجلة "الأزهر" منبره الذى أذاع منه آراءه الأدبية فى مسائل مهمة كانت هى الشاغل الأكبر لكثير من أدباء هذا العصر، لأن كتاب "فى الأدب الجاهلى" للدكتور طه حسين قد أثار خواطر كثيرة حول اللغة العربية فى العصر الجاهلى، وقد عارضها الكثيرون ممن نقدوا آراء الدكتور طه حسين فى كتب ذائعة، ولكن صادق عرجون رأى أن يتحدث عن بعض هذه النقاط فى مقالات مركزة بحيث لا تقتصر على ما أثاره صاحب الأدب الجاهلى بل تتعداه إلى ما يتسع له المجال من الموازنة والنقد والتقدير.

وقد تناول محمد الصادق عرجون بدراساته العميقة، بعض قادة الإسلام الذين كان لهم الأثر العميق فى الحياة الإسلامية، مثل عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود، وكان بحثه العميق قد تجلى فى كتابيه الرائعين عن "عثمان بن عفان" و"خالد بن الوليد"، وقد قوبلا بترحاب حار من كبار النقاد.

وهناك كتاب آخر هو "القرآن الكريم. هدايته.. وإعجازه فى أقوال المفسرين"، وكتاب "التصوف فى الإسلام".

إن شخصية المؤرخ الملتزم العملاق محمد الصادق عرجون.. فى أشد الحاجة إلى إلقاء الأضواء على هذه الشخصية الفريدة التى لم تحظ بإلقاء الأضواء عليها، وأنا أدعو تلاميذه العمالقة ومنهم الدكتور على جمعة – مفتى الجمهورية – والشيخ الفاضل محمد عبد المجيد زيدان، وغيرهم كثيرون، وكذلك مجمع البحوث الإسلامية، ولجنة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية برئاسة الدكتور عبد الشافى محمد، ويرأس المجلس وزير الأوقاف الدكتور محمود حمدى زقزوق، أدعوهم لعقد مؤتمر علمى لإلقاء الأضواء على هذا المفكر الإسلامى العملاق، وعلى موسوعته عن سيدنا محمد ﷺ وكتبه الأخرى، وأن يعقد هذا المؤتمر فى جامعة الأزهر برئاسة الدكتور أحمد الطيب – رئيس الجماعة – وذلك بمناسبة مرور أكثر من مائة عام على ميلاده، وأن يقوم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بإعادة طبع كتب الأستاذ محمد الصادق عرجون فى سلاسله المختلفة، وكتبه المتنوعة، ليستنير بها القراء فى مصر والعالم العربى والإسلامى، والمعاهد الإسلامية فى العالم العربى وأوروبا، وأمريكا وأستراليا وأفغانستان وباكستان.

محمد ﷺ منهج ورسالة:

ما هذه الموسوعة التى كتبها محمد الصادق عرجون .. عن سيدنا محمد ﷺ ؟ فهى ليست حشدا لروايات أحداث السيرة النبوية، وجمعها من شتيت مؤلفاتها ودواوينها فى مؤلف واحد، كما صنع كثير من الأعلام فى جميع كتب أمهات الحديث وغيرها من كتب الفنون التى شهرت بالجوامع، ولكنه فكرة دراسية للحقائق والمعانى التى تضمنتها وقائع السيرة.

ويقول محمد الصادق عرجون فى مقدمة موسوعته: "لقد راودتنى فكرة هذا البحث منذ زمن بعيد لا أستطيع تحديده، وإنما هى فكرة لمعت فى ذهنى فكانت أشبه بأشعة الشمس عن الإصباح، ثم لم تزل وتعلو وتشتد فى حياتى التواقة إلى البحث حتى

استوت فى كبدها شمسا وهّاجة بددت من أفق تفكيرى سحائب التسليم المستلم لكل ما أقرأ من كتب الأقدمين من أئمة أعلام الإسلام الذين تخصصوا فى أحداث السيرة النبوية ورواياتها والذين جمعوا فى تفسير القرآن الحكيم روايات سميت تفسيرا بالمأثور.

فرجعت إلى القرآن الكريم واتخذته وحده الصديق الحميم الذى أصغى إليه وأحاول أن أفهم عنه. وللقرآن الكريم منهج فى بنائه الفنى هو رأس إعجازه بهدايته التى أنزل بها أمانة فى عنق الأمة الإسلامية لتطبيقها واقعًا فى حياة مجتمعها أينما حلّ من أرض الله، والإعجاز بالهداية هو معجزة القرآن الخالدة خلود العقل، أما الإعجاز الأسلوبى فى براعة البيان وروعة الأداء فهو إعجاز خاص بمن يفهمه ويزن بميزان ركائزه من البلاغة العربية، وكانت اللبنة الأولى فى هذا البناء الفنى هى الحديث عن شخصية حامل رسالة القرآن ﷺ ، وكان هذا الحديث منوعًا لو جمعت آياته فى إطار التصور الحسى لكانت هى: "محمد رسول الله منهجًا ورسالة".

ويقول محمد الصادق عرجون: لقد تبلور فى صدى هدف الكتاب وهو أن أستخلص نور السيرة النبوية فى ركام سُحُب الظلام الذى نسجت برده الروايات العاطفية، والنقول التقليدية التى لا تقف أمام الحقائق بميزان العقل، وتحقيق البحث، وارتكز البحث على إبراز معالم منهج الرسالة المحمدية الخالدة فى شخص محمد رسول الله ﷺ .

ومن ثم بدأت الكتاب بمقدمات تمهيدية عن "محمد ﷺ من نبعته إلى بعثته"، ثم أقمنا بناء الكتاب على مرحلتين أصيلتين.. المرحلة المكية، والمرحلة المدنية، وكانت فى كل مرحلة منهما تحقيقات لأحداث وأحاديث، ولا سيما المرحلة المكية وما كان فيها من مواقف للنبى ﷺ فى إيمانه برسالة نفسه ودعوته إلى الله، واشتداد الخطوب والكوارث عليه وعلى أصحابه، حتى أمرهم بالهجرة إلى الحبشة ليخرجوا بالدعوة وتبليغ الرسالة إلى مجال يجدون فيه أرضًا يستثبتونها.

وكتب فصلا مسهبا ألقى فيه الأضواء على قصة الزندقة الكبرى أضلولة "الغرانيق". وتناول موقفا غريبا جدا فى ليلة الهجرة، ومؤامرة المشركين على الرسول ﷺ . كما أشار إليها القرآن الكريم، ولم يوجد ذكر قط لبنى عبد مناف عامة أو الهاشميين خاصة إزاء هذا التآمر الدنىء. وتساءل: أين بنو عبد مناف، وأين الهاشميون؟ وهو موقف غريب جداً فى إهمال أهم الأحداث والمواقف. ورأى فى حديث خروج رسول الله ﷺ من بيته ليلة الهجرة فجوات واسعة لم تسدّها الروايات بل اضطربت فيها اضطرابا واسع الأطراف!!

ثم تناول الرحلة إلى المدينة آخذا بركاب رسول الله ﷺ وصاحبه وصديقه أبى بكر رضي الله عنه، ولم يغفل حادثا من حادثات الطريق كانت له أهميته فى معالم منهج الرسالة دون تحقيق روايته وبحث وقائعه. ووصل النبى ﷺ إلى قباء. ثم نزل ﷺ حيث أنزله الله فى أشرف بقعة من بقاع المدينة. وفيها بنى مسجده الشريف. وقد ألقى محمد عرجون الأضواء على معالم منهج الرسالة فى بناء المساجد فى العالم الإسلامى ومقاصدها فى بساطة بنائها وما يجب أن يكون فيها من مرافق إصلاحية.

ثم تناول فى فصل مطول للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبين موقف الأنصار من هذه المؤاخاة التكافلية، ذلك الموقف الذى سجله القرآن الكريم وبلغ به درجة الإيثار. وناقش مزاعم القائلين بالتوارث بين المهاجرين والأنصار، وأبطل ذلك بالأدلة التاريخية والوقائع.

وعرض لقصة "الإفك" عرضا كانت فيه آيات القرآن الكريم شمسًا بددت ظلام النفاق فى هذه المسألة الشائكة، واستبعد اعتماداً على بعض القرائن والشواهد أن يكون أحد ممن ثبتت له صحبة الرسول ﷺ ، قد اشترك فى هذه الموبقة، وتتوالى الأحداث حتى حادث معاهدة الحديبية، فأعطاها حقها من التحقيق والبحث وأعقبها الفتح الأعظم.. فتح مكة الذى بلغت فيه سماحة النبى ﷺ ذروة الفضائل الإنسانية.

ثم تعرض الصادق عرجون لغزوة حُنين وما كان فيها من دروس لتربية المجتمع المسلم ردت إليه كرامته وعزته، وأنزل الله نصره على رسوله ﷺ فى غنائم هذه الغزوة مع المؤلفة قلوبهم ومع ذوى الحاجة من المؤمنين عامة واتصل ذلك بغزوة ثقيف وما كان للنبى ﷺ من سياسة حكيمة أنزلتهم من حصونهم وافدين إلى المدينة ليسلموا ويبايعوا رسول الله ﷺ.

ثم جاءت أعظم الغزوات جيشا وأخطرها قدرا فى مقصدها وأعظمها تضحية، تلك هى غزوة تبوك، وفى روايات أحداثها تحقيق وبحث يرفعان راية الحق والهداية، وقد ذكرت الروايات أموراً مختلفة فى أسباب هذه الغزوة التى حشد لها النبى ﷺ طاقته البشرية، وبذل فيها أثرياء الصحابة وفقراؤهم أقصى ما استطاعوا فى البذل فى سبيل الله، وقد كان أبو بكر ذروة الباذلين فتبرع بجميع ما يملك وقفّاه عمر وعبد الرحمن بن عوف، وكان عثمان بن عفان هو المثل المضروب فى البذل الذى لم يلحقه فيه أحد.

وقد ذكر رواة السيرة فى سبب هذه الغزوة روايات مختلفة متضاربة، فناقشتها مناقشة نقد وتمحيص وبحث وتحقيق. وثبت أن السبب الحقيقى لهذه الغزوة هو التضييق العملى لعموم الرسالة، ووقوف العرب أمام الرومان والفرس فى تحد كبير. وقد كان ذكرهما كفيلاً ببث الرعب فى قلوبهم استعظاما لقوتهما، وقد جعل النبى ﷺ هذا التضييق العملى تفسيرا لقول الله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ ﴾ .

وقد كانت غزوة تبوك آخر غزوات رسول الله ﷺ ثم توالت بعدها وفادات وفود من بقى متربصًا من قبائل العرب، واختار عرجون من كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك والرؤساء داخل الجزيرة العربية وخارجها بعضًا مما رأى فيه من دروس التربية للأمة ما يجعله جديراً بالبحث والتسجيل.

وقد أفرد عرجون لموقف اليهود من الإسلام ونبيه ومجتمعه بابا فى ذلك الكتاب، ليلقى الأضواء على طوائفهم، لأن ما شبوا فيه وشابوا عليه من الغدر وخيانة العهود والنفاق والتآمر والمكر والكيد والحسد ورجس العقيدة كان على سمة واحدة فى جميع طوائفهم، وقد أبرز فى هذا الكتاب الكثير من خلائقهم التى عاشوا ويعيشون بها فى المجتمع الإنسانى. ورد على مزاعم الذين لا تقبل نفوسهم تماثل الجزاء فيما جازاهم به النبى ﷺ على غدرهم به وهو فى دارهم، ونقضهم العهود ليأسه من صلاح حالهم.

ثم تناول الحديث عن الشمائل النبوية والأخلاق الذاتية لرسول الله ﷺ مع الناس والحياة.

إن كتاب "محمد رسول الله ﷺ .. منهج ورسالة.. بحث وتحقيق" للعلامة المحقق الدقيق محمد الصادق إبراهيم عرجون – رحمه الله – يعتبر من الكتب العميقة فى البحث، والدراسة، والمقارنة، والتحليل، ينبغى على كل من يهتم بالسيرة النبوية الشريفة قراءة هذا الكتاب الموسوعى الممتاز، وندعو الله أن يوفقنا فى إلقاء المزيد من الأضواء على بعض هذه الأحداث والمواقف.

لمحة عن حياة الشيخ عرجون

بقلم نجله العالم محمد بهى الدين الصادق عرجون

هذا ملخص لحياة فضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون مؤلف كتاب "محمد رسول الله ﷺ " قصد به بيان علمه وفضله رحمه الله راجين من الله عزّ وجلّ أن ينفع بعلمه المسلمين وأن يجزيه عن علمه النافع خير الجزاء.

ولد مؤلف هذا الكتاب عام ١٩٠٣م، وتخرج فى الأزهر على نظامه القديم قبل إحداث نظام الكليات، ونال شهادة العالمية النظامية فى سنة ١٩٢٩، ثم التحق

بقسم التخصص ونال شهادته فى عام ١٩٣٥، وعين مدرّسًا بمعاهد الأزهر الشريف، ثم نقل إلى كلياته حيث عمل مدرّسًا بكلية اللغة العربية ثم كلية أصول الدين ثم عُيِّن فضيلتة شيخًا لمعهد دسوق الدينى، واهتم هناك بنشر مراكز تحفيظ القرآن الكريم، ثم انتقل شيخًا لمعهد أسيوط الدينى فى عامى ١٩٥٣ و١٩٥٤، ثم شيخًا لعلماء الإسكندرية وعميداً لمعهدها لمدة عشر سنوات.

وفى عهده بالإسكندرية برز نشاط المعهد الدينى فى المحاضرات الثقافية والندوات الدينية، وكان للمعهد دور ريادى فى نشر الفكر الدينى بالاشتراك مع الهيئات المهتمة بالنشاط الإسلامى فى الإسكندرية، مثل جمعية الشبان المسلمين، وكلية الآداب بجامعة الإسكندرية.

وقد اشترك – وهو شيخ لمعهد الإسكندرية – فى مهرجان الغزالى الذى أقيم فى دمشق ببحث عنوانه "مفتاح شخصية الغزالى: هل شك حجة الإسلام؟"، وقد طبع هذا البحث مستقلاً وضمن مجموعة بحوث المهرجان. وقد عرف فضيلته بغَيْرته على القرآن والإسلام، ولجأ إليه الغيورون على القرآن من أساتذة جامعة الإسكندرية للرد على رسالة فى قراءات القرآن، وكانت الرسالة قد أجيزت وحصلت على الماجستير بتقدير جيد جدًا، ثم ألغيت نتيجتها لما بيّنه المؤلف من انحرافها.

ثم تقلّد فضيلته عدداً من المناصب الإدارية بالمعاهد الأزهرية، فعمل مديراً للتعليم الابتدائى، ثم وكيلاً للتعليم الأزهرى، وقد تميز نشاطه فى تلك الفترة بالعمل على نشر مدارس تحفيظ القرآن الكريم فى مصر والعالم الإسلامى، وكان من ثمار تلك الفترة المساهمة فى تطوير التعليم الدينى باليمن على نمط التعليم الأزهرى فى مصر.

وقد انتقل فضيلته بعد ذلك إلى جامعة الأزهر عميداً لكلية أصول الدين، وقد اهتم فيها بدفع النشاط العلمى وأبحاث الدراسات العليا، وكان آخر منصب تولاه فى مصر، فقد تولى بعد ذلك عدة مناصب فى دول إسلامية ساهم بها فى دفع الدعوة الإسلامية.

فقد تولى منصب مدير معهد الدراسات العليا للدعوة الإسلامية بجامعة أم درمان الإسلامية، ثم عمل أستاذًا بالجامعات الإسلامية فى الكويت والمدينة المنورة.

وقبل الدعوة للعمل أستاذًا زائرًا بجامعة بنى غازى، وألقى فى كليات الجامعة عدة محاضرات فى الفقه الإسلامى وسعة أفقه ومرونة أصوله وفى الاجتهاد والتقليد. وكان آخر منصب تولاه هو أستاذ الدراسات العليا للحديث بجامعة الملك عبد العزيز(*) بمكة المكرمة، وقد تقاعد من هذا المنصب وتفرغ بالقاهرة لإتمام كتابه الذى نعرضه، وتوفى رحمه الله فى ٩ نوفمبر (تشرين ثانى) من سنة ١٩٨٠ الميلادية.

وكان رحمه الله من أشدِّ المدافعين عن نظام الأزهر القديم، ومن المعارضين لما عُرف "بتطوير الأزهر"، فقد كان يرى أن أساس فعالية الأزهر هى احتفاظه باستقلاله العلمى وبنظامه العتيد الذى أخرج للعالم الإسلامى على مر التاريخ أجيالاً من حراس القرآن والسنّة ولغتهما العربية من العلماء الأزهريين.

كما كان رحمه الله مهتمًا بقضايا العالم الإسلامى وزار عددًا كبيرًا من دوله، كما اشترك فى عدد من الوفود المهتمة بقضاياه، وحَمَلته زياراته إلى أندونيسيا التى طاف بأنحائها متعرفًا دارسًا محاضرًا باحثًا، واجتمع بكثير من علمائها، كما زار معظم دول العالم العربى.

وله رحمه الله أجيال من التلاميذ المنتشرين فى أنحاء العالم الإسلامى من الذين تربّوا وتعلموا على يديه، وشربوا منه حب الله وحب رسوله وحب العلم، وطريقته المحققة المدققة المستقلة عن طرق المستشرقين غيره من القاصدة لوجه الله ولروح البحث العلمى الدقيق المنضبط. وكانت العلاقة بينه وبين تلاميذه على مثال علاقات علماء السلف الصالح بمشايخهم وتلاميذهم، وكان إلى ذلك معروفًا بشدته على تلاميذه فى جهدهم

(*) اسمها الآن "جامعة أم القرى" .

العلمى، وأنه كان لا يرضى إلاّ بالإتقان والعمل المستوفى لجوانب الجودة، وهو منهاج مشايخ الأزهر وعلمائه من الجيل القديم.

حياته العلمية ومؤلفاته:

بدأ المؤلف حياته العلمية وهو لا يزال طالبًا فى القسم العالى للأزهر، فعمل مصحّحًا ثم محرّرًا فى مجلة الأزهر ثم فى جريدة الأهرام، وله فيهما وغيرهما عديد من المقالات والبحوث المتنوعة.

وقد تتلمذ على كبار أساتذة الأزهر الأجلاء، ولعله تأثر بهم فى ما اشتهر به من اعتداد بالعلم واعتزاز بالنفس، كما تعلَّم منهم أصالة البحث ودقة المنهج، وكان أبرز أساتذته الذين تأثر بهم مباشرة المرحوم الشيخ الخضر حسين والشيخ الجبالى.

وكان يقرض الشعر وله قصائد منشورة، كما كان مشاركًا فى الحياة الأدبية فى مصر فكان له مساجلات أدبية، منها: "بينى وبين الأستاذ محمد فريد وجدى الحياة الأدبية عند العرب قبل الإسلام" وقد طبع فى كتاب فى وقته.

ولكن جهده العلمى وإسهامه الفكرى برزا فى مجال تحقيق التاريخ الإسلامى، فكان له فى ذلك عدة مؤلفات هامة، من أبرزها كتاب عثمان بن عفان الذى قوبل بحفاوة ظاهرة فى المحافل العلمية، وطبع عدة طبعات، ولا يزال يعتبر من المراجع الأساسية الأصلية فى موضوعه كما يشهد بذلك الإشارة إليه والأخذ عنه فى كتب عديدة، نذكر منها تحقيق كتاب العواصم من القواصم للأستاذ محب الدين الخطيب، وكتاب أضواء على التاريخ الإسلامى للأستاذ فتحى عثمان، وكتاب الفتنة الكبرى للأستاذ طه حسين.

ثم كان له كتابه القيم خالد بن الوليد والذى اعتبره الباحثون من أفضل ما كتب عن خالد. وقد علَّق على هذين الكتابين وقيمهما الناقدون المعروفون فى المجلات

والجرائد الثقافية المعروفة فى وقت صدور الكتابين مثل مجلة الرسالة، وكان من أبرز من نقد كتابيه وعلّق عليهما الدكتورة بنت الشاطئ، والمرحوم الأستاذ سيد قطب، وهو الذى كتب له أيضًا مقدمة كتاب خالد بن الوليد.

وفى هذين الكتابين أرسى دعائم منهجه الخاص فى تحقيق التاريخ الإسلامى، والذى يصفه فى كتاب "محمد ﷺ من نبعته إلى بعثته" قائلاً:

"وعمود البحث فى منهجنا هو ما أصلّنا فى كتبنا ومؤلفاتنا ولا سيما التاريخية منها، أنا نقرأ ونقرأ حتى نظن أننا استوعبنا أو قاربنا، ثم نفحص ونمحص ونوازن وننقد، ونعتمد ما تثبت لدينا صحته سندًا ويدخل فى وصيد القبول متنًا وأصلاً، ولم يعارضه منخول العقل والعلم ما يعلو عليه، مع إيماننا بأن للعقل حدًا يقف عنده، ولقضايا العلم موضوعات تنتهى عندها، وهما محجوبان عن عالم الغيب، مقصّران دون إدراك كثير من حقائق عالم الشهادة".

ثم كان للمؤلف بعد ذلك سلسلة من المؤلفات والرسائل نذكر من أهمها كتاب "حجة الإسلام الغزالى: المفكر الثائر"، وكتابى "القرآن العظيم: هدايته وإعجازه فى أقوال المفسرين، و"التصوف فى الإسلام: منابعه وأطواره".

ثم صدر له كتاب ضخم هو "الموسوعة فى سماحة الإسلام"، وقد نشأت فكرته عن بحث طلبته الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر من المؤلف يدور موضوعه حول سماحة الإسلام فى معاملة غير المسلمين. ولكن المؤلف عندما نظر موضوع البحث نظرة أولية وجده واسع المدى، لا تكفى فى الإحاطة بأطرافه رسالة صغيرة، وبعد حوالى اثنى عشر عامًا من بدء الاتصال حول ذلك الموضوع أراد الله لفكرة ذلك البحث الصغير أن تظهر فى كتاب "الموسوعة فى سماحة الإسلام" وهو كتاب كبير الحجم من جزأين طبعته دار سجل العرب.

لكن روح المؤلف كانت تهفو به دائمًا - كما يُستشف من كتبه الأولى بالحب والشوق إلى الكتابة عن سيد الوجود محمد ﷺ ، ولم تتح له فرصة البدء فى هذا

العمل الكبير إلاّ بعد أن ترك العمل الإدارى وتفرغ تمامًا للبحث والكتابة فى هذا الموضوع العظيم، فبدأ بكتاب صغير نسبيًا هو كتاب "محمد ﷺ من نبعته إلى بعثته"، وانتهى منه فى رمضان عام ١٣٩١م هـ. ومنذ ذلك الحين تفرغ تماماً لمدة عشر سنوات حتى وفاته رحمه الله فى أول أيام القرن الخامس عشر الهجرى ليتم هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ. وقد كان معظم العمل فى هذا الكتاب بين مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث كان رحمه الله يعمل أستاذًا بجامعة الملك عبد العزيز، وكان عبء التدريس وطبيعته البحثية مما يتيح له إعطاء الكثير من الوقت لهذا العمل الذى ارتبطت به حياته.

وله رحمه الله كتب أخرى لم تطبع ومن أهمها كتاب "نفحات الإنعام فى تفسير سورة الأنعام".

كما كان له حلقات تليفزيونية لفترة طويلة تناولت تفسير سور: التوبة والروم ولقمان والسجدة.

أما المطبوع من مؤلفاته فقد أوردناه فى القائمة المرفقة.

رحم الله المؤلف وجزاه خيراً عن علمه وعمله فى خدمة الإسلام والمسلمين.

التراث العلمى للشيخ صادق عرجون

أولاً – الكتب

١ . محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (موسوعة ٤ مجلدات).

٢ . محمد رسول الله من نبعته إلى بعثته.

٣ . سماحة الإسلام (مجلدين).

٤ . خالد بن الوليد رضى الله عنه.

٥ . عثمان بن عفان رضى الله عنه (الطبعة الثالثة ١٩٨٣م - ١٤٠٤هـ. الدار السعودية ٢٢٣ صفحة).

٦ . حجة الإسلام الغزالى المفكر الثائر.

٧ . القرآن العظيم: هدايته وإعجازه - فى أقوال المفسرين.

٨ . التصوف فى الإسلام.

٩ . حرية الفكر فى الإسلام.

١٠ . الأدب بين القديم والحديث.

١١ . عظمة محمد صلى الله عليه وسلم فى رسالته.

١٢ . الدين منبع الإصلاح الاجتماعى.

١٣ . سنن الله فى المجتمع من خلال القرآن.

١٤ . الأمة الإسلامية كما يريدها القرآن.

١٥ . نحو منهج فى تفسير القرآن.

١٦ . من رجالات الإسلام.

١٧ . الدستور ونظام الحكم فى الإسلام.

ثانياً - مقالات ومحاضرات :

١ . من رياض القرآن.

٢ . موقف الإسلام من المخترعات الحديثة.

٣ . بينى وبين الأستاذ محمد فريد وجدى.

٤ . الحياة الأدبية عند العرب قبل الإسلام.

٥ . رد مزاعم رسالة فى قراءات القرآن.

٦ . الإسلام دين ودنيا .

٧ . تراثنا الحضارى.

مؤلفات لم تطبع بعد:

* نفحات الإنعام فى تفسير سورة الأنعام.
* النقد الأدبى عند العرب.
* تفسير سور: التوبة – الروم – لقمان – السجدة.
* حلقات تليفزيونية.
* مقالات فى مجلة الأزهر – الوعى الإسلامى.

شخصيات سكندرية

منارات للثقافة

واجبنا

(نحو مدينة الإسكندرية)

د. حسن عون

ويقول الأستاذ الدكتور المرحوم حسن عون معلنا فكرته قائلا:

لقد أطلق القدماء على مدينة الإسكندرية "أثينا الشرق".

ولقد أثبتت هذه المدينة العريقة جدارتها الكاملة بهذه التسمية، إذ أنها حملت مشعل الثقافة منذ نشأتها حتى العصور الوسطى، لا فى الشرق وحده بل وفى الغرب أيضا. وكثير من الغربيين، يونانيين ولاتينيين، مدينون بعلمهم وأدبهم وثقافتهم إلى مدينة الإسكندرية التى تركزت فيها على مر الأيام حركة نشاط عقلى واسعة الآفاق.

وكثيراً ما كانت هذه الحركة العقلية بمثابة المشرع يصيغ القوانين ولا يجد المثقفون محيصا عن اتباعها والسير وراءها، فكم من نظرية أو مذهب أدبى نشأ فى الإسكندرية ثم ذاع وانتشر عند اليونانيين واللاتينيين! وكم من نظرية أو مبدأ فلسفى وضعت اسمه فى الإسكندرية ثم لم يلبث أن وجد له أنصاراً ومشايعين من بين اليونانيين واللاتينيين!.

وإذا كانت العصور الوسطى قد استطاعت أن تقضى فيما تقضى، على هذه المكانة الأدبية لمدينة الإسكندرية، فإن من واجب مصر الآن، وقد بوأها الله مكانة مرموقة بين شعوب البحر الأبيض المتوسط، أن تبذل جانباً من جهدها لاستعادة المجد الأدبى القديم بالنسبة لمدينة الإسكندرية لكى تنهض من جديد بحمل لواء الثقافة لا بين الشرقيين وحدهم بل وبين الغربيين أيضاً.

وسبيل ذلك أن ننشئ فى الإسكندرية معهداً للدراسات الإنسانية والأدبية فى حوض البحر الأبيض المتوسط.

وليكن البدء فى ذلك بإنشاء كرسى لهذه الدراسات فى كلية الآداب. والحق أننا لا نجد فى هذه المنطقة من العالم مدينة أخرى أولى من الإسكندرية لتحمل هذا العبء والنهوض بتلك المسئولية.

لقد نادينا بهذا مراراً يوم كنا فى أثينا عن طريق الإذاعة والصحافة اليونانية فوجدنا لهذا النداء أصداء طيبة وترحيباً كبيراً بين اليونانيين واليوغسلافيين والإيطاليين.

فهل آن الوقت لأن نجد لهذا النداء فى مصر نفس الأصداء التى وجدناها له فى أوروبا الشرقية؟ وهل آن الوقت لأن تعود مدينة الإسكندرية من جديد كعبة العلم والأدب ومصدر المعرفة والثقافة للشرقيين والغربيين؟.

وهل آن الوقت كذلك لأن نرى هذا الأمل يتحقق على أيدى القائمين بالأمور فى مصر؟

وقد التقيت بالأستاذ الدكتور حسن عون فى كلية الآداب عام ١٩٥٤ وكان سبباً فى انتقالى إلى قسم اللغة العربية، بعد أن أمضيت عاماً فى قسم اللغة الإنجليزية، وفى السنة التالية أصبت بمرض، وتأخرت عن دخولى الكلية لمدة شهر، فساعدنى الدكتور عوف فى إلحاقى بقسم اللغى العربية، وتوطدت الصداقة بينى وبينه. وازدادت الصلة عندما جعلنى رئيساً لتحرير مجلة "الأسرة" وطبعت على نفقته، وكانت توزع على جميع أقسام اللغة العربية فى الجامعات المصرية وفى أوروبا وأمريكا اللاتينية. وكنت أشاهده وهو يتعامل مع عمال المطبعة فى المنشية برفق، ويمنحهم المكافآت لتشجيعهم على العمل ومساعدتهم.

كان المرحوم الدكتور حسن عون أستاذ اللغويات، علامة فى علمه التقرير، وكان يترجم أيضا مسرحيات موليير، وكان محبوباً فى الكلية. وكان عدد طلبة قسم اللغة العربية من زملائى فى السنة الثانية لا يتجاوز خمسة عشر طالبا. وعندما نال درجة

الأستاذية حاولنا أن نكرمه ونحتفل به، وكان معنا فى الفرقة الثانية أربع من الطالبات. فقرر أن يكون الاحتفال فى بيته مع أسرته، واتفق على كل شىء أسعدنا . وكانت احتفالية لا ننساها أبدا . فقد كان أستاذًا وأخًا كبيرًا لى ولكل زملائى حتى بعد أن تخرجنا فى الكلية.

وكانت صلتى به مستمرة بعد التخرج، فقد عملت بالصحافة السكندرية بأخبار اليوم، واتصلت به دائما وببقية الأساتذة. إلى أن انتقلت إلى العمل بالقاهرة فى أخبار اليوم، وكنت ألتقى به عندما كان يحضر إلى القاهرة للتدريس بجامعة عين شمس. فكان مثالا للأستاذ الجامعى الذى يرى فى تلاميذه إخوة وسوف يصبحون كبارا فى يوم من الأيام.

د. علـى نـور

نتحدث الآن عن منارة ثقافية رائدة فى الثقافة والإذاعة، والأدب والفكر العربى، والأدب اليونانى .. إنه الأستاذ الدكتور المرحوم على نور.

فى يوليو ٩٩ فاضت روح الدكتور على نور.. وهو فى أثينا.. بعد كفاح طويل.. طويل.. مع الحياة، والأدب، والناس، والفكر، والثقافة. وللأسف لم تهتم الأوساط الثقافية بالإسكندرية بإحياء ذكرى هذا الرائد الإذاعى الذى تخرج على يديه كبار الإذاعيين فى الإذاعة السكندرية.

ولى مع الدكتور على نور ذكريات فى الإسكندرية. وفى اليونان أيضاً حيث قضى نهاية عمره فى هذه العاصمة طوال أربعين عاماً.

وقد بدأت معرفتى بهذا الرائد الكبير.. منارة الإسكندرية الثقافية فى أوائل الخمسينيات.. منذ أن أنشئت إذاعة الإسكندرية، وكان على نور هو مدير البرامج الثقافية فى أول إذاعة إقليمية فى مصر. وكان يقدم مجموعة من البرامج الثقافية، والأدبية، منها: على ضوء الفنار، قصة الأسبوع، سهرة ثقافية، نشرة الأخبار، وبرامج متنوعة باللغة اليونانية.

وقد تعرفت عليه أكثر عندما كان يشاركنا الندوة الأدبية التى يقيمها قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، ليسجلها، ويذيعها فى برنامجه الخالد المميز "على ضوء الفنار". وكانت هذه الندوة الأدبية هى ملتقى الأدباء والشعراء فى الثغر والقاهرة، ويحضرها عميد الكلية، والأساتذة، وعبد اللطيف النشار، والشاعر الكبير أحمد خميس الذى غنى له عبد الوهاب ليالى الشرق، والشاعر على حسن جمودة وأنا وأحمد السمرة، ومحمد الشيشى، وكامل حسين ود. حلمى مرزوق، وكثيرون ممن أصبحوا الآن من رواد الشعر والأدب فى الإسكندرية.

لقد استطاع الدكتور على نور أن يجعل من بيته فى باكوس بالقرب من إذاعة الإسكندرية صالونًا ثقافيًا يلتقى فيه الشعراء والأدباء والكتاب ورجال الإذاعة ورجال الإعلام.

وقد كنت أحضر هذه الندوات فى صالونه بباكوس، أستمتع بهذه الكوكبة من الشعراء والكتاب وهم يتبارون فى إلقاء القصائد، ويتناولون موضوعات ثقافية وفكرية مختلفة.

ولا أنسى أن أول قصة أذيعت لى فى الإذاعة المصرية كانت قصة "المفتاح" التى قرأها المرحوم الدكتور على نور بصوته فى برنامجه بإذاعة الإسكندرية "قصة الأسبوع" فكان ذلك بمثابة وسام جعلنى أواصل مسيرة الإبداع القصصى، خصوصًا وأنها قد أعجبت الدكتور على نور، وكان دقيقًا جدًا فى اختيار القصص التى يذيعها الكبار بأدب الشباب، وقد اختار لى تلك القصة.

ولذلك لم يتأخر لحظة، عندما دعوته لحضور أول مجلس إدارة لنادى القصة بالإسكندرية عام ١٩٦٠، ويعتبر الدكتور على نور من أوائل الذين أنشأوا معى نادى القصة بالإسكندرية الذى ظل يواصل المسيرة منذ عام ١٩٦٠ حتى الآن بعد أن قام اللواء محمد عبد السلام المحجوب محافظ الإسكندرية بتدعيم هذا النادى العريق، وبخاصة أن النادى وكل الأندية الثقافية بالإسكندرية قد توقفت عن النشاط طوال السنوات العشر الماضية لعدم تدعيمها ماديًا. واصل الدكتور على نور المشاركة فى مهرجانات النادى القصصية ويقرأ مئات القصص ليصبح هؤلاء الشباب من القصصيين من أشهر القصصيين الآن. إن الدكتور على نور منارة ثقافية رائدة بالإسكندرية.

وراح يترجم أيضًا لأولئك اليونانيين الذين شغفوا بالأدب وعاشوا فترة فى الإسكندرية، من أمثال لورانس داريل، وقسطنطين كفافيس. وكفافيس كما يقول على نور فى مقال نشره بمجلة المجلة عددى يناير وفبراير سنة ١٩٦٣ أكبر شعراء

اليونان فى العصر الحديث ولد بمدينة الإسكندرية فى اليوم السابع عشر من شهر أبريل سنة ١٨٦٣ بدأ كفاكفيس ينظم الشعر منذ صباه الباكر، ومع ذلك فإنه لم ينزل إلى المضمار العام كشاعر إلا عندما بلغ الأربعين، لأنه كان شديد الحرص على إعادة النظر فيما ينظم من شعر.

ويقول على نور: وفى سنة ١٩٦٣ أقامت الجالية اليونانية بالمدينة حفلاً بالغ الروعة والجلال، بمناسبة مرور مائة عام على مولد شاعرنا الأكبر، وقد وزعت على الحاضرين رقاعًا تحمل على أحد وجهيها صورة الشاعر وتاريخ مولده ووفاته، وعلى الوجه الآخر قصيدته شموع التى قمت بنظمها شعراً عربيًا، فجاء على هذه الصورة:

أرى أيام عمرى المقبلات كصفٍّ من شموع موقدات

منسقة مذهَّبة السمات أحسُّ بدفئها نبض الحياة

وعلى نور رحمه الله عليه له دراسات فى الأدب الإغريقى وفيها ملامح مصرية فى المسرح الإغريقى، تحدَّث فى هذا الكتاب عن مصر فى نظر الإغريق والأسر الإغريقية ومدى علاقتها بمصر، كما تحدث عن يوربيدس وشخصيات مسرحية هيلين مترجمة عن يوربيدس.

غادر على نور الإسكندرية إلى أثينا، وعمل مع "جون لاتسيس" صديق العرب، ولكنه أبى أن يعود إلى الجامعة – فحصل من جامعة أثينا على أكبر درجة علمية يحصل عليها غير يونانى، وانتخب عمدة لأثينا ثم انتخبت زوجته عمدة، وظل الرجل وفيا لكل مصرى أو سكندرى نزل اليونان حتى تستقر حالته.

رحم الله على نور. كان من الأفذاذ العباقرة الذين خسرتهم إذاعة الإسكندرية، وخسرتهم مصر. وعزاؤنا الوحيد أن الجميع ما زالوا يتذكرونه.

د. حسن ظاظا

عاش فريدا ومات غريبا.

نتحدث الآن عن منارة ثقافية سكندرية عالمية فى الأدب والثقافة والفكر الصهيونى. إنه المرحوم الأستاذ الدكتور حسن ظاظا.

لقد فاضت روحه فى شهر يوليو ٩٩ فى السعودية، بعد أن صارع الحياة، والناس، وظل مغترباً طوال الوقت حتى آخر أيامه.

إن الحديث عن مسيرة حياة الأستاذ الدكتور حسن ظاظا يحتاج إلى صفحات. وقد لا يعرف الكثيرون أن الأستاذ الدكتور حسن ظاظا عندما كان يدرس اللغات السامية فى باريس، درس تاريخ الفنون التشكيلية ونقدها علما وعملا، وحصل فى هذه المادة على دبلوم التخرج من قسم الدولة العالى بمدرسة اللوفر. وهو أعلى درجة فى هذا الموضوع فى أوروبا.

وقد حصل على دكتوراه الدولة من السوربون فى الفكر اليهودى وناقشه حاخامات اليهود بست ساعات.

فقد كان عالمًا فى الفقه، والأدب الإسرائيلى، والفكر الصهيونى، وكان شاعراً، ومحدثًا لبقًا، وكان له الأحاديث الكثيرة فى إذاعة الإسكندرية، وإذاعات القاهرة، ومونت كارلو، وإذاعة لندن، وصوت أمريكا.

ومن أشهر برامجه فى إذاعة الإسكندرية برنامج "أصل الكلام" ظل يقدمه طوال عدة أعوام وبرنامج "من قلب إسرائيل"، فى إذاعة الشرق الأوسط، وكانت تقدمه سوسن سامى.

وعندما اضطر إلى أن يسافر خارج البلاد، رشحنى لكى أقدم هذا البرنامج يوميًا صباحًا، ومساء.

إنها عظمة أستاذ عبقرى أصيل. وقد قدم كتابى "القهيلا والمخططات الصهيونية" ونشرته هيئة الكتاب. وكان سببا فى صداقتى بالأخ أحمد الحملى مدير البرنامج العبرى وكل العاملين بإذاعة "قول قاهير" وكانت هذه اللمسة الإنسانية تدل على نفسية إنسان عظيم وأستاذ كبير.. يرشح أحد تلاميذه لكى يتولى مسئولية تقديم هذا البرنامج السياسى الخطير.

وقد ازدادت معرفتى بالدكتور حسن ظاظا عندما كان يحضر كل يوم سبت فى أخبار اليوم بالإسكندرية ليلتقى بالأدباء والمفكرين والشعراء والزجالين. وخصصت هذا اليوم ليكون صالونًا خاصًا للدكتور حسن ظاظا..

وقد ولد الدكتور حسن ظاظا فى الثالث والعشرين من شهر أبريل عام ١٩١٩ .

وفى عام ١٩٤١م حصل الطالب الجامعى حسن ظاظا على درجة الليسانس، فى اللغة العربية واللغات السامية من جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن)، وكان من أوائل دفعته، وكانت الحرب العالمية الثانية قد اندلعت وهو فى السنة الثالثة من حياته الجامعية، وفى عام ١٩٤٢م أنشئت فى الإسكندرية جامعة فاروق الأول (جامعة الإسكندرية الآن) وكان طه حسين أول مدير لها، فاختار النابهين من خريجى جامعة فؤاد، وعينهم معيدين فى جامعة فاروق، وكان حسن ظاظا واحداً منهم، يتطلع إلى استكمال دراسته العليا فى أوروبا، شأنه فى ذلك شأن أساتذته ومن سبقوه من خريجى الجامعة، غير أن أتون الحرب كان قد استعر، وقطع الاتصال بين مصر وأوروبا فتوقف إرسال المبعوثين إلى الخارج.

ولما كانت درجته العلمية الأولى فى اللغة العربية واللغات السامية، رأى مدير الجامعة طه حسين، وربما بمشورة المستشرق بول كراوس ومساعدته، أن يذهب المعيد حسن ظاظا إلى فلسطين، ليلتحق بالجامعة العبرية فى القدس للحصول على درجة الماجستير فى اللغة العبرية وآدابها، ولا أعرف بدقة متى ذهب، وكم كان عمره حينذاك، وأغلب الظن أنه كان فى الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين من عمره، شابًا طموحًا

للعلم، يتمتع بذكاء لماح وذاكرة حادة ومواهب أدبية فى الشعر والزجل، كما نلمح بعضا من التمرد والتحدى تظهر فى بواكير شعره وفى عام ١٩٤٤م حصل على درجة الماجستير من الجامعة العبرية، ورجع إلى مصر، وكانت الحرب العالمية الثانية توشك أن تضع أوزارها، فاشتغل بالتدريس فى جامعة الإسكندرية، انتظارا للسلام، لكى يستكمل دراسته بالخارج، وبعد انتهاء الحرب بدأت مؤامرة الاستيلاء على فلسطين تتضح فصولها وما لبث اليهود أن أعلنوا عن قيام دولتهم فى فلسطين عام ١٩٤٨م، ودخلت مصر والدول العربية الحرب، وألغت الجامعة فى مصر درجة الماجستير التى حصل عليها وسحبتها منه، على وعد ببعثة أخرى، ويبدو أن هذا الوعد لم يتحقق إلا فى العام الجامعى ١٩٤٩ - ١٩٥٠م.

وسافر المعيد حسن ظاظا إلى فرنسا للحصول على درجة دكتوراه الدولة من جامعة السربون، ومرة أخرى يغادر وطنه، ولكن إلى باريس هذه المرة، وهو يخطو نحو الثلاثين من عمره، ولا شك أنه وهو فى طريقه إلى باريس تذكر من سبقوه إليها، رفاعة الطهطاوى وطه حسين وتوفيق الحكيم ومحمد صبرى السربونى وغيرهم من علماء مصر ومفكريها، واستقبلت عاصمة النور - كما كانت تسمى حينئذ - وافدا جديدا من أبناء مصر المتعطشين إلى العلم والنور والحرية، غير أن وقع الغربة كان شديدا عليه فى بداية الأمر وأحس بوحشة وافتقد الأهل والوطن!

ولكنه سرعان ما تجاوز محنة الاغتراب واستغرق كما يقول: "فى دراسة التوراة والإنجيل والتلمود، وقوانين حمورابى وما إليه من النقوش المسمارية". وشيئًا فشيئًا اندمج فى الحياة الباريسية وبدأ يستمتع بوجوده فيها، فتفتحت مواهبه وبخاصة حبه للفن، فالتحق بجوار عمله فى إعداد رسالته، بمدرسة اللوفر لدراسة تاريخ الفن والآثار، وفي عام ١٩٥١م حصل على دبلوم الدولة العالي في الآثار وتاريخ الفن، وبعد ذلك بأربعة أعوام حصل على دبلوم مدرسة اللغات الشرقية بباريس عام ١٩٥٥م [illegible] عام ١٩٥٦م [illegible] العدوان الثلاثي على مصر [illegible] [illegible] مع فرنسا وإنجلترا [illegible] المصريين هناك في مظاهرات تندد

بالعدوان، ووقف أحرار فرنسا معهم، وانقطع راتب البعثة، فاشتغل بالترجمة حتى اندحر العدوان، واستأنف عمله فى رسالة الدكتوراه، حتى حصل عليها عام ١٩٥٨ بمرتبة الشرف الأولى بالإجماع مع التبادل مع الجامعات والهيئات العلمية العالمية، وحضر مناقشة الرسالة جمع غفير من يهود فرنسا على رأسهم الحاخام الأكبر فى باريس، وكان موضوعها "اليمين والقسم عند الساميين".

وفى العام نفسه عاد إلى الوطن يتكلم الفرنسية والعبرية كأبنائها، بجوار الإنجليزية، والألمانية، وعدد من اللغات السامية فضلاً عن دراسته عدداً من اللهجات العربية الحديثة وبخاصة لهجة المغرب، وكذا علم اللغة العام وفقه العربية وعلومها.

وبعد عودته عين مدرسًا للغة العبرية والعلوم اللغوية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، ثم أخذ يترقى فى مناصب أعضاء هيئة التدريس بالجامعة حتى حصل على درجة الأستاذية فى العلوم اللغوية عام ١٩٦٩م، وظل يشغل هذا المنصب حتى ترك جامعة الإسكندرية إلى جامعة الرياض عام ١٩٧٨م.

وخلال هذه الفترة، أى من عام ١٩٥٨م، قام بتدريس اللغة العبرية وآدابها وعلوم اللغة العربية وعلم اللغة العام، كما قام بالإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه فى اللغة العبرية والعربية فى جامعات الإسكندرية والقاهرة وعين شمس، كما كان يقوم بتدريس تاريخ الفن فى كليتى الفنون الجميلة بالإسكندرية والقاهرة وكذلك الإشراف على الرسائل العلمية فيهما، فضلاً عن المؤتمرات المحلية والدولية، والندوات والمحاضرات العامة التى كان يشترط فيها.

أما على مستوى الوطن العربى فقد عمل أستاذاً زائرًا فى جامعات الخرطوم وبغداد والرباط والجزائر. ومكث نحوا من عام فى مالطة يشرف على دراسة لغوية للهجة المالطية من حيث هى لهجة عربية، كما أعير إلى جامعة بيروت العربية فى الفترة ([illegible]م)، وكان [illegible] الجامعات العربية، فهى [illegible] أبناء الوطن العربى جميعًا قبل أن تكون لجامعة [illegible]

أسسها الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٦٠م، ومنذ ذلك الحين ارتبطت هذه الجامعة بجامعة الإسكندرية علميًا وأكاديميًا، وما زالت حتى اليوم تمدها بأعضاء هيئة التدريس مع جميع التخصصات، وتمنح درجاتها العلمية.

إذاعة الإسكندرية، وإذاعة الشرق الأوسط بالقاهرة تحت عنوان "من قلب إسرائيل"، ورغم إلحاح تلاميذه وحوارييه لكى يكتب هذه الأحاديث فى كتاب، إلا أنه لم يفعل.

وعندما اضطر إلى السفر إلى الخارج لإلقاء محاضرات فى بيروت أطلب من مديرة إذاعة الشرق الأوسط أن أقدم بدلاً منه برنامج "من قلب إسرائيل" صباحًا ومساء. وهذا الموقف النبيل من أستاذ عالم كبير، لا أنساه له، بل وقد قدم كتابى "القهيلا وأسرار المنظمات الصهيونية" وتم طبعه فى هيئة الكتاب، وصدرت منه أربع طبعات. وكنت أقوم بتدريسه لطلبة الإعلام والدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وهذا يدل على شخصيته المعطاءة للآخرين، وليس كبعض أساتذة الجامعة الذين يحيطون أنفسهم بسياج من المنهجية ويكنزون فى نفوسهم العلم، ولا يحبون أن يكون لهم مريدون.

غير أن من أجل مشاريعه العلمية التى لم تكتمل - للأسف - مشروع ترجمة التوراة "العهد القديم" إلى اللغة العربية ترجمة جديدة. غير تلك الترجمة التى بين أيدينا فى مصر، والتى قام بها المستشرق "فاندايك"، واشترك فى مراجعتها أحمد فارس الشدياق، اللغوى والأديب اللبنانى الأصل، وكان مسيحيًا ثم أسلم فى تونس. وكان لأستاذنا على هذه الترجمة تحفظات كثيرة وبخاصة المستوى اللغوى العربى الذى ترجمت به، ويقول تلميذه الدكتور أحمد خليل:

وقد بدأ هذا المشروع فى أوائل السبعينيات وشاركه فى هذا العمل وتحمس له راهب مسيحى مصرى كان يناديه "أبونا قزمان" ولا أعرف بقية الاسم. وحضرت بعض جلسات هذه الترجمة، وطبع أبونا قزمان أجزاء من هذه الترجمة التى استمرت

جلساتها فى بيت الدكتور ظاظا سنوات كل يوم جمعة من الساعة الرابعة أو الخامسة حتى الثامنة مساء، وكان عمله فى الترجمة على النحو التالى: يقرأ أستاذنا النص بالعبرية، من نسخة العهد القديم بتحقيق المستشرق "كيتل Kittel" وأبونا قزمان يقرأ النص نفسه من النسختين اليونانية واللاتينية، ويترجم إلى العربية شفويا، وكنت أنا أقرأ الترجمة من النسخة العربية التى بين أيدينا فى مصر، ويستمع هو لكل هذا ويدون ملاحظاته، ثم يترجم إلى العربية، فإذا اطمأن لدقة الترجمة بعد المراجعة عدة مرات، من حيث استبدال كلمة بأخرى، أو حذف كلمة، وإعادة الصياغة أكثر من مرة، كان أبونا قزمان يكتب ما انتهت إليه الترجمة، واشترك معنا أيضا فى هذا العمل الصديق الدكتور محمود المراغى، وكان من تلاميذه المتخصصين فى اللغة العبرية، وكان يقرأ من الترجمة اليسوعية للتوراة.

أما عن إنتاجه العلمى المنشور فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

أولاً - كتب فى الدراسات اللغوية، وهى:

١ - اللسان والإنسان.

٢ - كلام العرب.

٣ - الساميون وثقافتهم.

وقد طبعت فى السبعينيات، ثم أعيد طبعها فى لبنان وفى غير لبنان عدة مرات.

ثانياً - كتب فى الدراسات الإسرائيلية، وهى:

١ - الفكر الدينى الإسرائيلى: أطواره ومذاهبه.

٢ - الشخصية الإسرائيلية.

٣ – دراسات فى الفكر اليهودى.

٤ – الصهيونية العالمية وإسرائيل، بالاشتراك مع د. فتح الله الخطيب، ود. عائشة راتب.

٥ – من تاريخ أنبياء بنى إسرائيل (ترجمة عن العربية).

ثالثاً – مجموعة المقالات:

وهى مجموعة من المقالات فى اللغة والأدب والنقد والفكر والفن والسياسة والإسرائيليات، يبلغ عددها أكثر من ستين مقالا، كان يكتبها أسبوعيا فى جريدة الرياض بالسعودية خلال السنوات التى قضاها هناك، تحت عنوان "الكشكول"، ثم نشرت فى عددين من أعداد كتاب الرياض، صدر الأول منها عام ١٩٩٤ والثانى عام ١٩٩٧، ثم توقف عن الكتابة عندما اشتد عليه المرض قبل وفاته بعامين.

وهذه المقالات تحتاج إلى دراسة خاصة، أرجو أن أفرغ لها قريباً عندما نصدر كتاباً تذكارياً عنه، وقد استعنت ببعض ما جاء فيها فى كتابة هذا المقال.

رابعا – أعماله غير المنشورة:

وهى – فيما أعلم – أربعة أعمال، هى:

١ – العرب على المائدة.

وهو معجم لغوى بألفاظ الطعام والشراب وأنواع المأكولات وطرق صناعتها فى التراث العربى.

٢ – الحيوان فى التوراة.

وهو أيضا معجم بأسماء الحيوان وأنواعها وأجناسها وأسمائها بالعربية والعبرية.

٣ – فلسفة الفن وتاريخه.

٤ – ديوان من الشعر والزجل.

ولست أدرى أهما ديوانان أحدهما للشعر والآخر للزجل، أم هما ديوان واحد جمع فيه بين الشعر والزجل؟ وقد رأيت معه منها ثلاث أو أربع "مفكرات" كبيرة، كان أحيانًا يقرأ لنا منها فى نداوته وجلساته الخاصة، وفيما أذكر كان العنوان الذى أطلقه على هذا العمل "حارة البهلوان" وأحيانا "سيرة بهلول".

أما موضوعات هذا العمل فكانت فى السياسة والحب والحياة والناس، فى لغة ساخرة تضحك أحيانًا ولكنه ضحك كالبكاء، ولا أدرى إلى من آلت هذه "المفكرات" بعد وفاته، وأنا على يقين أن عددها قد ازداد كثيرًا عما رأيت.

أما عن صفة الشخصية فكان من أبرزها وأوضحها لكل من تعامل معه تواضعه الجم وبساطته، وقدرته غير المألوفة على شرح أشد الأفكار والأشياء تعقيدا، فى عبارات جامعة، كثيرًا ما كان يطلق عليها ساخرًا "المتون"، ولذلك أقبل عليه الناس من كل طبقات المجتمع سواء فى مصر أو خارجها، خاصة فى العالم العربى، من أرفعهم ثقافة وعلما، إلى من لا يعرفون العلم والثقافة إلا أمانىّ، يحب التجول والحركة خصوصًا فى الأسواق، وكانت جلساته المفضلة فى مقهى "النيل بالمنشية بالإسكندرية فى ركن قصى منها، أو فى داكن "أبو فراج" بكوم الدكة، الذى كان رئيسًا لرابطة الزجالين فى الإسكندرية، حيث يجتمع حوله الزجالون والشعراء من كل حدب وصوب، يبادلهم زجلاً بزجل وشعرًا بشعر، ويضحك فى حبور، وأحيانًا فى محل "على العمرى" الخياط الذى كان يعشق الشعر وعلم العروض والثقافة.

ومن أبرز صفاته العقلية أنه كان عالمًا كأشد ما يكون العالم عقلانية. وموضوعية. كتاباته عن اليهود تشهد بذلك، ليبرالى الفكر، يختلف معه تلاميذه فى الرأى سواء فى

العلم أو فى السياسة، فلا يأخذ عليهم هذا الاختلاف، بل يترك لهم حرية الاعتقاد والتفكير، فقط عليهم أن يدافعوا عن آرائهم بموضوعية وتجرد، فقد كان يمقت التعصب والمتعصبين، وكان إذا سخر تأتى سخريته فى لطف وظرف، ولكن وقعها أشد من الحسام، وفى الوقت نفسه، كان فنانًا كأشد ما يكون الفنان إحساسًا ورقة شعور وإدراك.

وصفوة القول فيه أنه كان عالمًا ومفكرًا ولغويًا وشاعرًا وفنانًا قل أن يجود الزمان بمثله، عاش فريدًا ومات غريبًا!!!

حسنى نصار

(١٩١٧ - ١٩٨٣)

تعرفت على الصديق الأديب القاص رجل القانون والسياسة والاجتماع فى عام ١٩٥٢، بعد قيام ثورة يوليو، وذلك فى مطبعة دار نشر الثقافة بشارع محرم بك، وكنت أطبع مجلة "صوت الطلبة"، وكنا نصدر عددا خاصا عن الثورة. وكان هو يطبع روايته "الضحى والليل". وأهدانى كتابه الذى انتهى من طبعه، وكان صاحب المطبعة الحاج يوسف طه الذى شجعنا وخفَّض لنا تكاليف الطباعة لأننا كنا نصدر هذه المجلة من نقودنا القليلة.

وفى قصر ثقافة الحرية بطريق الحرية تعرفت عليه فى الندوات الثقافية، وعندما حاولت إنشاء نادى القصة بالإسكندرية كان من أوائل الذين اشتركوا معى فى إنشاء النادى، وكان أول اجتماع لمجلس إدارة النادى فى مكتب المحاسب الأديب فوزى إبراهيم بالمنشية، ومنذ ذلك ازدادت الصلة به على مستوى الأسرة، وكان منزله فى كليوباترا، وأنا كنت أقيم مع والدتى بالإبراهيمية. وكان يشترك معنا فى ندوات نادى القصة بقصر ثقافة الحرية أسبوعيًا فى كل يوم اثنين. ويناقش الأدباء الشبان الذين أصبحوا بعد ذلك من كبار أدباء القصة الذين حصلوا على الجوائز الأولى فى مسابقات القصة فى مصر والعالم العربى.

والأديب العالم حسنى نصار من مواليد إمبروزو بالإسكندرية فى ٢٥ سبتمبر ١٩١٧ ، ثم رحل إلى طنطا مع أسرته فى أثناء ثورة ١٩١٩ حيث أكمل تعليمه الأولى والابتدائى ثم الثانوى .

وحصل على شهادة الثقافة عام ١٩٣٩ والتوجيهية عام ١٩٤١ . واضطر إلى أن يعمل بإحدى شركات بنك مصر بالمحلة الكبرى لظروف واجهتها عائلته.

ثم حصل على ليسانس الحقوق على ١٩٤٨ بجامعة الإسكندرية ثم دبلوم القانون عام ١٩٥٠، ثم دبلوم الاقتصاد السياسى عام ١٩٥٢، وكتب فى مجالات القصة والرواية والقانون والسياسة والاجتماع، وكان عضوا فى كثير من الأندية، والجماعات الثقافية بالإسكندرية.

وقد وقع حادث سيارة له ولأسرته، وأصيب بارتجاج فى المخ، والحمد لله، نجا هو وأسرته من هذا الحادث الأليم، ولكنه ترك آثارًا كبيرة فى صحته، إلى أن فوجئت بوفاته عام ١٩٨٣، وأنا موجود فى القاهرة، وقد كرمته فى نادى القصة بقصر ثقافة سيدى جابر بعد ذلك، وجاء ابنه ليتسلم شهادة التقدير والتكريم.

وقد نشرت عنه بعض المقالات والدراسات منها مقال ليوسف القعيد فى الهلال أغسطس ١٩٨٣، بعنوان: "حسنى نصار الأديب الذى رحل".

ومقال "كتاب عن أديب راحل.. حسنى نصار" لمحرر مجلة الإذاعة والتليفزيون ٢٥ يونيو ١٩٨٣ . وببليوجرافيا حسنى نصار لشوقى بدر يوسف، نادى القصة ١٩٨٣ ودراسة تمهيدية حول أعمال الأديب حسنى نصار لعاطف عز الدين بمجلة نادى القصة ١٩٨٣ . و"حسنى نصار روائيًا" لشوقى بدر يوسف ١٩٨٣ . وحسنى نصار و"القضية الخاسرة" لسعيد سالم ١٩٨٣ . وعن رواية حسنى "الضحى والليل" كتب محمود قاسم دراسة ١٩٨٣ .

رحم الله الأديب العالم حسنى نصار، فقد كان محبوبا من جميع الأدباء، وله أفضال كثيرة على الأدباء الشبان فى الأدباء والقصة.

د. عبد الحميد العبادى

(١٨٩٢ - ١٩٥٦)

ولد عبد الحميد العبادى بالإسكندرية فى ٢١ من مارس ١٨٩٢ - وبمدارسها أتم تعليمه الابتدائى والثانوى[(١)] وبها قضى السنوات الطوال باحثا ومعلما وعميداً لكلية الآداب بجامعتها. وكان من أعلام الفكر فى هذه المدينة ومن أساتذة الجيل فى الشرق العربى. ويطلق اسمه اليوم على قاعة المحاضرات أو "مدرج العبادى" بكلية الآداب بالإسكندرية تخليداً لذكرى عميدها الراحل.

والتحق العبادى بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة، وتخرج فيها بسنة ١٩١٤ فكان من الرعيل الأول الذى أنجبته هذه المدرسة فى الربع الأول من القرن العشرين، والذى لمعت بينه أسماء كثيرة فى ميادين العلوم والآداب والمناصب التعليمية. ودرس العبادى أيضًا القانون وحصل على "ليسانس الحقوق" ولكنه آثر الاشتغال بالتعليم فى مختلف مناصبه - منذ تخرجه فى مدرسة المعلمين إلى نهاية حياته أى أكثر من أربعين عاما.

وبدأ حياته التعليمية مدرسًا بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، بطنطا والقاهرة، ثم عين فى أوائل عام ١٩١٧ أستاذاً للتاريخ بمدرسة القضاء الشرعى بالقاهرة. وكان بين أصدقائه وزملائه بهذه المدرسة المرحوم الأستاذ أحمد أمين - أحد خريجيها. وظلا صديقين ومتعاونين فى "لجنة التأليف والترجمة والنشر" التى تألفت

---

(١) انظر مقدمة "مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية" المجلد ١٤ ، بسنة ١٩٦٠، العدد التذكارى المهدى إلى المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادى - بإشراف دكتور جمال الدين الشال.

بالقاهرة عام ١٩١٤ من عدد من رجال التعليم ونشرت عشرات الكتب المؤلفة والمترجمة خلال نصف قرن. كما كان العبادى صديقًا للشاعر عبد الرحمن شكرى (١٨٨٦ - ١٩٥٨) وتبادلا الرسائل أهدى كل منهما إلى الآخر قصيدة منظومة من شعر المديح.

وعندما افتتحت "الجامعة المصرية" بالقاهرة عام ١٩٢٥ اختير عبد الحميد العبادى أستاذًا للتاريخ الإسلامى بكلية الآداب، وهناك توالت محاضراته فى هذا العلم، فلما أنشئت جامعة الإسكندرية عام ١٩٤٢ نقل إليها العبادى عميدًا لكلية الآداب وأستاذًا للتاريخ الإسلامى بها، وظل يشغل هذا المنصب عشر سنوات إلى أن أحيل إلى المعاش فى سن الستين عام ١٩٥٢، وفى أثناء شغله لكرسى للتاريخ الإسلامى بجامعتى القاهرة والإسكندرية، ندب لتدريس هذه المادة فى الجامعة الأزهرية، وكلية دار العلوم، وكلية الآداب بجامعة عين شمس، ودار المعلمين العالية فى بغداد. وعقب إحالته إلى المعاش (١٩٥٢) عين أستاذا للتاريخ فى معهد الدراسات العليا التابع للجامعة العربية وظل يشغل هذا المنصب إلى أن اشتد به المرض فى ذلك العام فسافر إلى لندن، وبقى فى أحد مستشفياتها ثلاثة أشهر ثم عاد إلى مصر ولكن العلة اشتدت به فانتقل إلى رحمة الله فى الثالث من أغسطس سنة ١٩٥٦ .

وكان العبادى عضوًا مؤسسًا وعاملاً "بلجنة التأليف والنشر" منذ إنشائها (عام ١٩١٤) وعنها صدر بعض مؤلفاته، كما كان عضوًا مؤسسًا بمجلس إدارة "الجمعية المصرية للدراسات التاريخية" مع المؤرخ شفيق غربال، وعضوًا "بالمجمع المصرى للغة العربية" وعضوًا مراسلا بالمجمع العلمى العربى بدمشق، كما مثَّل مصر والجامعات المصرية فى عدد من المؤتمرات الدولية، ومنها مؤتمر المستشرقين والمؤتمرات التاريخية فى بعض الأقطار.

ووضع العبادى من المؤلفات كتابًا بعنوان "صور من التاريخ الإسلامى" طبع بالإسكندرية عام ١٩٤٨ ، وشمل عددًا من الفصول عن العصر العربى، وألحقه بجزء ثانٍ عن الدولة العباسية والأندلس، وله كتاب "مجمل تاريخ الأندلس" ويضم مجموعة

من محاضراته ونشر بعد وفاته، وترجم إلى العربية كتاب "علم التاريخ" الذى ألفه بالإنجليزية – هرنشو، عن تطور كتابة التاريخ وعلاقته ببعض العلوم الأخرى، وعلّق عليه المترجم بما يفسر ما غمض من معانيه وأعلامه، كما ترجم مشتركًا مع المرحوم الأستاذ محمد بدران كتاب "تاريخ المسألة المصرية" الذى وضعه تيودور وتشيستين (صديق مصطفى كامل ومحمد فريد) عن الفترة بين سنتى ١٨٧٥ و١٩١٠ وكتب مقدمته ولفرد بلنت – والكتاب دفاع عن مصر.. وحقق بالاشتراك مع دكتور طه حسين كتاب "نقد النثر، المنسوب إلى قدامة بن جعفر"، وراجع كتاب "الحضارة الإسلامية" الذى ترجمه عن الإنجليزية الأستاذ جاويد.

ونشر الكثير من المقالات والأبحاث التاريخية والأدبية فى الصحف والمجلات فيما بين ١٩١٦ و١٩٥٦– وأكثرها لم يجمع فى كتب مستقلة بعد. وله محاضرات ومخطوطات لم تطبع، ألقى بعضها فى معاهد الإسكندرية والقاهرة وبغداد. وكانت من بواكير مقالاته فى الشباب ما نشره بجريدة "السفور" بالقاهرة عام ١٩١٨ عن الأدب العربى المصرى – تاريخه وإهمال دراسته، وما نشره بمجلة الثقافة منذ إنشائها عام ١٩٣٨ .

ألفريد فرج

(١٩٢٩ - ٢٠٠٥)

فقدت الثقافة العربية واحداً من أبرز أعلامها وهو الكاتب المسرحى الكبير ألفريد فرج الذى وافته المنية فى ٤ ديسمبر ٢٠٠٥ فى لندن. فقد ولد بالإسكندرية عام ١٩٢٩ وتعلم بمدارسها حتى تخرج فى كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية من جامعة الإسكندرية عام ١٩٤٩ . وبدأ العمل مدرسًا حتى عام ١٩٥٥، ثم انتقل إلى القاهرة للعمل فى الصحافة ناقدًا فنيًا وأدبيًا، ثم نال منحة التفرغ للكتابة المسرحية عام ١٩٦٤ ثم عين خبيراً بمؤسسة المسرح والموسيقى والثقافة الجماهيرية ثم مديرا للمسرح الكوميدى (١٩٧١ - ١٩٧٣)، ثم سافر إلى لندن بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ وظل فيها لمدة ستة عشر عامًا، وكان يتردد على الإسكندرية لزيارة أسرته وإخوته، والقاهرة لمتابعة أعماله المسرحية والأدبية. وقد وافته المنية فى مستشفى سانت ميريز فى لندن بعد صراع طويل مع مرض السرطان، وقد دفن فى مسقط رأسه الإسكندرية.

ومن أبرز أعماله مسرحيات "حلاق بغداد" و"على جناح التبريزى وتابعه قفة" و"رسائل قاضى إشبيلية" و"السندباد" و"عطوة أبو مطوة" وغيرها عشرات المسرحيات التى تعد من العلامات البارزة فى تاريخ المسرح المصرى والعربى.

وقد عرضت مسرحياته فى الأقطار العربية ولندن وباريس وواشنطن، وقد كتب رواية واحدة باسم "حكايات الزمن الضائع" نشرتها دار المستقبل العربى عام ١٩٨٣ . وله أيضا مجموعة قصصية واحدة.

وكنت ألتقى به فى المؤتمرات الأدبية التى تعقد فى القاهرة، والتقيت به فى لندن عندما كنت أعالج فى مستشفى تشارلز والتقيت به فى مبنى الـ B.B.C وتجاذبنا الحديث حول غربته فى لندن، ثم التقينا مرة أخرى فى بغداد فى مهرجان المربد، وبخاصة عندما ركبنا الطائرة مع الوفد المصرى للذهاب إلى الموصل، وكانت الصدفة الجميلة أنه كان جالسًا فى الكرسى المجاور لى، وفى خلال الرحلة التى استغرقت ساعة تجاذبنا الحديث وراح يروى لى قصة حياته وكفاحه، وغربته فى لندن. كان يشعر بالمرارة فى قلبه لأنه لم يأخذ مكانه كما ينبغى. وقد حفر اسمه بالإصرار والعمل، والإبداع فى وجه القاهرة بصعوبة بالغة. وقد صدرت عنه بعض الدراسات .

كتب تناولت عمله الروائى بالدراسة والتحليل:

"حكايات من الزمن الضائع: الريف فى الرواية العربية"، د. محمد حسن عبد الله، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٩ .

مقالات نشرت عن روايته:

- "ألفريد فرج روائيا"، د. رشيد العنانى، الهلال ع ١٠م ٩٧ أكتوبر ١٩٨٩ .
- "ألفريد فرج العائد من غربته (شكوك المصالحة)" مجدى حسنين، الشاهد، نوفمبر ١٩٩١ .
- "ألفريد فرج يتحدث عن الغربة" (حوار)، جميل عطية إبراهيم، البيان الكويتية، أكتوبر ١٩٨٢ .
- "ألفريد فرج رسائل أدبية" (نبيل فرج)، أدب ونقد، ع ٣٠ أبريل/ مايو ١٩٧٢ .
- "مقابلة مع ألفريد فرج"، د. أحمد أبو مطر، الثقافة العربية، ع ١٠س ٢، أكتوبر ١٩٧٥ .
- "مع الكاتب المسرحى ألفريد فرج" (حوار) فوزى سليمان، الفنون، يونيو ١٩٩١ .

قاسم أمين

(١٨٦٣ - ١٩٠٨)

كان المصلح الاجتماعى قاسم أمين، والمقرون اسمه بحركة تحرير المرأة، سكندرى المولد والنشأة ، وقد وضع عن سيرته وجهوده عدد من الكتب، وكتب عنه الكثير من المقالات والدراسات، وخلدت أعماله وكتاباته ذكره.

ولد قاسم أمين بالإسكندرية فى أول ديسمبر عام ١٨٦٣ من أب تركى الأصل وأم مصرية صعيدية، وكان أبوه محمد أمين يعيش فى "السليمانية" بالعراق، وانتقل إلى إستانبول فترة من الزمن، ثم ولى على كردستان، وزار الإسكندرية والقاهرة، ثم عرج على الصعيد، وهناك تزوج مصرية من أسرة صعيدية، ورحل معها إلى الخارج، ولما عاد إلى مصر لزيارة أسرة زوجته بالصعيد، نزل بالإسكندرية، وبقى بها بضعة أيام ولدت زوجته خلالها ابنه قاسم أمين.

وهكذا رأى قاسم النور أول مرة تحت سماء الإسكندرية - ومرت أيام على الطفل فى هذا الثغر، رحل بعدها الأب ليزور أسرة زوجته ثم عاد إلى كردستان وأمضى بها عامين أنجب بعدهما ابنه الثانى، وذهب إلى تركيا مع زوجتيه وابنيه، وهناك طالت إقامته قليلا بسبب الثورة التى شبت يوم ذاك فى كردستان.

وعندما بلغ قاسم أمين الثامنة من عمره، عاد مع أسرته إلى الإسكندرية.

"عاد قاسم(*) إلى أحضان الشاطئ الصخوب الذى ولد على ضفافه - عاد وهو فى الثامنة من عمره هادئًا هدأة البحر فى ظاهره، صخوبًا صخوبه فى مخبره،

(*) (قاسم أمين) - الدكتور ماهر حسن فهمى - (سلسلة أعلام العرب) ١٩٦٣ ص ٣١-٣٢ و(قاسم أمين) لأحمد خاكى ١٩٤٤ .

مستمداً من جماله الإعجاب بالجمال، كانت أسرة الصبى على حظ كبير من النعمة، ترفرف عليها السعادة ممثلة فى الحياة الوادعة، وكان الأب عطوفًا على هذا الصبى الحساس. وإذا أسعفتنا قوانين الوراثة، قلنا إن الهدوء ورثه عن أمه المصرية، وأن سرعة الانفعال بها ورثه عن أبيه التركى".

وألحقه أبوه بمدرسة رأس التين الابتدائية، وكانت مدرسة حكومية تقع بحى رأس التين، تطل نوافذها على الميناء والبحر. وكان بها يوم ذاك أبناء الأثرياء والأتراك - وأمضى بها الصبى أعوامه المدرسية الأولى (١٨٧١ - ١٨٧٥)، ومن سنى الخديو إسماعيل الأخيرة.

وعندما أتم دراسته بهذه المدرسة انتقل والده إلى القاهرة، وهناك أدخله "المدرسة التجهيزية" أو الخديوية الثانوية.

وبارح الصبى مسقط رأسه، ولكنه كان يزوره للاصطياف، وكلما أراد عبور البحر فى دراسته بفرنسا. أو فى زيارة تركيا والشام - فشبّ وفى نفسه الكثير من خصائص البحر - وكما يصفه دكتور محمد حسين هيكل(*):

"... روح قاسم أمين كانت روح أديب - كانت الروح العصبية الثائرة التى لا تعرف الطمأنينة ولا تستريح إلى السكون. وكانت الروح المشوقة التى لا تعرف الانزواء فى كنّ للبحث والتنقيب حيث تنسى نفسها؛ وتستبدل بكنها ما فى حياة الكون وحركته من نشاط وجمال، بل كانت عيونه الواسعة تريد أن ترى جدة الوجود الدائمة تتكرر مناظرها فتطبع على صفحات نفسه وحيًا وإلهامًا - أكثر مما تؤدى إليها المباحث الجافة منطقًا وجدلاً. وكانت هذه المناظر تذكى شعوره الحساس بجمال الحياة، وتدعو إلى الحرص على متاعه بها، وعلى دعوته غيره لهذا المتاع - وذلك لا يؤتاه إلا رجل فن

(*) "تراجم مصرية وغربية" الدكتور محمد حسين هيكل - ١٩١٩ و(فى أوقات الفراغ) للدكتور هيكل ١٩٢٩ س ١٢٢ - ١٤٨ و(زعماء الإصلاح فى العصر الحديث) لأحمد أمين ١٩٤٨ .

جميل لا يقف عند التلذذ لنفسه بنعم الحياة، بل يعبر لغيره فى معانى هذه النعم، وكما يعبر الموسيقى بالنغم، والمصور بالنقش، والمثال بالنحت، والشاعر بالوزن – كذلك الكاتب الأديب يجد فى وصف ما فى الحياة من مختلف ألوان الجمال ما يعبر عن شعوره به، وما يدعو غيره إليه ؛ وحياة قاسم كانت كلها متجهة إلى هذه الدعوة. وكانت متجهة إليها بقوة آخذة بنفسه، متغلبة عليه حالَّة منه محل الإيمان بها إيمانًا صادقًا".

وعندما أتم قاسم أمين دراسته الثانوية بالمدرسة الخديوية، التحق بمدرسة الحقوق بالقاهرة، ونال منها إجازة القانون عام ١٨٨١ ، وكان أول الناجحين واشتغل فترة بالمحاماة بمكتب مصطفى فهمى (الذى صار رئيسا للوزارة عام ١٨٩١). وكان متحمساً للإصلاح والحركة التحررية، وشهد ندوات جمال الدين الأفغانى، وتعرف هناك إلى محمد عبده وسعد زغلول وعبد الله النديم وأديب إسحق، وعاصر مقدمات الثورة العرابية وإرهاصاتها.

ثم سافر إلى فرنسا لدراسة القانون – فيما بين عامى ١٨٨٢ و١٨٨٥ – وهناك لمس الحريات التى سادت المجتمع الفرنسى سواء فى مشاركة المرأة للرجل فى كثير من الأعمال، أو فى الصحافة والنشر، أو فى الحياة السياسية، وكانت الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر قد ألقت هذه البذور الأولى هناك. وفى باريس عام ١٨٨٤ التقى قاسم أمين بجمال الدين الأفغانى، وبمحمد عبده الذى حكم عليه بالنفى من بلاده متهماً بالتعاون مع الثورة العرابية، واطلع على صحيفة "العروة الوثقى" التى أصدرها فى تلك الفترة للدعوة إلى التحرر السياسى والإصلاح الاجتماعى، والتقت آراؤهم فى وجوب الإصلاح المتحرر من قيود التقاليد الدخيلة على الدين. وقد استشهد قاسم فى كتابه "تحرير المرأة" فيما بعد بمقالة للإمام محمد عبده عن [illegible] الاستبداد بالعلم [illegible] الكتب [illegible] الحوادث [illegible] التقييد [illegible]

وعاد قاسم أمين إلى مصر فى صيف ١٨٨٥، وعمل فى سلك القضاء وكيلاً للنيابة ثم رئيسًا لها فى بنى سويف وطنطا. وفى طنطا قدم عبد الله النديم إليه - وكان متخفيا بمديرية الغربية ومحكومًا عليه بالإعدام، فسعى قاسم إلى الإفراج عنه بقرار من مجلس الوزراء عام ١٨٩١، إذ كان يقدر جهاده وفضله.

وفى عام ١٨٩٢ عين قاسم أمين قاضيًا بالمحاكم، فمستشارًا بمحكمة الاستئناف بالقاهرة عام ١٨٩٤ (هو وسعد زغلول بأمر واحد). وظل بهذا المنصب حتى وفاته، وكان من المستشارين الأعلام فى محيط القانون والقضاء.

وفى عام ١٨٩٤ نشر بالفرنسية كتابًا بعنوان: "المصريون" - ردًا على كتاب وضعه الدوق داركور، تهجّم على المصريين وعاداتهم وتقاليدهم، وعلى المرأة المصرية وتخلفها. وقدم قاسم كتابه بقوله: "فى سطور هذا الكتاب تفنيد موجز للآراء التى أبداها الدوق داركور عن المصريين. ولم أنقد كلّ التفاصيل غير الصحيحة التى صادفتها فى كتابه - فهذه كانت تتطلب منى وقتًا لا أملكه لسوء الحظ، ولو ملكته ما كنت بمستطيع أن أضع سوى تعليقات على هامش كتابه، ولهذا اقتصرت على معارضة الأسس العامة التى شاء أن يستخلصها من مشاهداته. وقل ما بهم أننا اليوم فى حال متخلفة، إذ ما يمر بمصر مر على أوروبا من قبل. ولكن ما لم أستطع الموافقة عليه حقًا هو أننا آلينا ألا نخرج من وضع متخلف".

ثم بدأ قاسم أمين بذكر ميزات الفلاح المصرى وجلده، وتفوقه العسكرى، وتحدث عن المجتمع المصرى، والرق، والحكومة، والمرأة، وتعدد الزوجات، والطلاق، والدين، والخلق، والإسلام، والتعليم، والعلوم، والآداب.

ومع ذلك فقد زعم البعض أن قاسم أمين فى كتابه هذا يدافع عن المرأة المصرية، ويتضمن دفاعات عن الحجاب، فرد قاسم على هذا الزعم [illegible]

وأخذ قاسم أمين يكتب فى جريدة المؤيد فى الفترة بين ١٨٩٥ و١٨٩٧ مقالات بتوقيع "السائح" تحت عنوانين: "أسباب ونتائج" و"أخلاق ومواعظ"، وجمعت [illegible] المقالات

عام ١٨٩٨ فى كتاب يحمل هذين العنوانين، وتتضمن أحاديث عن التربية وأصولها، وعيوب تربيتنا، والأمهات والتربية، وكيف يصرف المال، والوظائف، والحالة الاقتصادية فى مصر، وواجب العمل، والإقدام على التجارة والصناعة، وغيرها.

ثم نشر عام ١٨٩٩ كتابه: "تحرير المرأة" وأتبعه بكتابه "المرأة الجديدة" عام ١٩٠٠ – ومهد لكتابه الأول بأن حالة المرأة فى الهيئة الاجتماعية تابعة لحالة الآداب فى الأمة، ثم تحدث عن تربية المرأة، وعن السفور والحجاب من الوجهتين الدينية والاجتماعية، وعن العائلة والزواج والطلاق، راجعًا فى ذلك إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومطالبًا بإنصاف المرأة وتثقيفها، وتحريرها من الجهل عامة، ومن جهل الرجل بحقوقها المشروعة.

وعاد إلى الدفاع عن المرأة فى كتابه الثانى، وعرّف المرأة الجديدة بأنها "ثمرة من ثمرات التمدن الحديث بدأ ظهورها فى الغرب على أثر الاكتشافات العلمية التى خلصت العقل الإنسانى من سلطة الأوهام والظنون والخرافات .. واختفت الأنثى التى كانت مغمورة بالزينة منغمسة فى اللهو، وظهر مكانها امرأة جديدة هى المرأة شقيقة الرجل وشريكة الزوج ومربية الأولاد ومهذبة النوع". وفى هذا الكتاب دعا إلى خروج المرأة للأعمال التى تلائمها كالتعليم والطب. فإن للمرأة حقًا فى أن تشتغل بالأعمال التى تراها لازمة للقيام بمعاشها وأن هذا الحق يستدعى الاعتراف لها بحق آخر وهو أن نوجه تربيتها إلى الطرق التى تؤهلها إلى الانتفاع بجميع قواها وملكاتها .

ونشر لقاسم أمين عام ١٩٠٦ كتاب بعنوان "كلمات قاسم أمين" جمعت من مقالاته ومؤلفاته.

وأسهم قاسم أمين فى مشروع إنشاء الجامعة المصرية القديمة وكان بين أعضاء اللجنة التأسيسية التى عقدت أول اجتماعاتها فى أكتوبر ١٩٠٦ بمنزل سعد زغلول، وتولى قاسم أمين سكرتيريتها، وقررت فيه فتح باب الاكتتاب لها. وفى اجتماعها الثانى

فى نوفمبر سنة ١٩٠٦ انتخب قاسم أمين وكيلا لهذه الجمعية إذ عين سعد زغلول يومئذ وزيراً للمعارف، فشارك فى جمع التبرعات ولكن لم يعش ليشهد افتتاحها إذ توفى قبله ببضعة أشهر.

وتوفى قاسم أمين بالقاهرة فى ٢٣ من أبريل سنة ١٩٥٨ وكان فى ليلة وفاته قد ألقى خطاباً فى نادى المعلمين، وعاد إلى بيته مرهقًا حيث فارق الحياة، وشيعت جنازته فى اليوم التالى. وعند قبره وقف سعد زغلول وبعض أصدقائه يذكرون مآثره.

وأما دعوته إلى تحرير المرأة فقد أثمرت بعده أحسن الثمار، وتشارك المرأة العربية اليوم أخاها الرجل مختلف أعبائه فى جميع الميادين.

عبد الحميد أبو هيف

(١٨٨٧ - ١٩٢٦)

ولد بالإسكندرية عام ١٨٨٧ ونشأ بها وتعلم، وكان من نوابغ أسرة "أبو هيف" السكندرية، ثم التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها عام ١٩٠٨ ، وكان زميلاً فى الدراسة لعبد الحميد بدوى القانونى الكبير: كما كان كلاهما من الأوائل فى امتحان الليسانس، وأُرسِلا معًا فى بعثة إلى فرنسا حيث حصلا على "الدكتوراه" فى القانون.

وعاد أبو هيف إلى وطنه ليشتغل بالمحاماة، وأصبح من كبار المحامين أمام محكمة الاستئناف العليا، واشتهر فى الدوائر القضائية والسياسية بمصر، ثم شغل منصب الأستاذ بكلية الحقوق بالقاهرة وكان يلقى بها المحاضرات فى القانون الدولى والمرافعات التجارية والمدنية. ورقى عميداً لهذه الكلية، وفى عام ١٩٢٥ كان على ماهر (رئيس الوزراء فيما بعد) وكيلاً لهذه الكلية، وعميدها أبو هيف. ورقى على ماهر عميداً للكلية ونقل أبو هيف مديرًا لدار الكتب، وكان هذا لأسباب سياسية.

وكانت قد بترت ساقه فى عملية جراحية ومشى على ساق صناعية، فتسلم وظيفته بدار الكتب مبتور الساق، وحز هذا كله فى نفسه، وتوفى عام ١٩٢٦، وأقيم له عام ذاك حفل فى "مسرح الحمراء" بمسقط رأسه، أشاد فيه بعض المحامين والخطباء بفضله وجهاده.

ووضع عبد الحميد أبو هيف عددًا من المؤلفات القانونية أهمها: المرافعات المدنية والتجارية، والنظام القضائى فى مصر - أعيد طبعه عام ١٩٢١ - وهو كتاب فى نحو

ألف صفحة، ولم يزل مرجعًا رئيسيًا لرجال القانون، ويمتاز بشرح أحكام المحاكم المختلطة بتفصيل وتعليق، وكتاب: التكييف القانونى لمشروع قواعد الاتفاق بين مصر وبريطانيا، وقد صار مرجعًا تاريخيًا لحركة الاستقلال وما تخللها من مفاوضات واتفاقات، وكتاب: إجراءات التنفيذ والتحفظ فى المواد المدنية والتجارية، ظهرت طبعته الثانية ١٩٢١ ، وكتاب: القانون الدولى الخاص فى أوروبا وفى مصر - بالعربية والإنجليزية.

ووقف أبو هيف فى معارضة مشروع ملنر الذى قدمه ذلك الوزير الإنجليزى متضمنًا استقلالاً صوريًا لمصر - واقترن اسمه من ذلك الحين بأعلام المجاهدين فى قضية البلاد، فقد هب أبو هيف ومعه نفر قليل قاموا بحملة على هذا المشروع ونشر الفقيد بحوثًا قانونية فى تفنيده، كانت من أهم مراجع رجال السياسة فى رفضه. وقد أشار إلى هذا كله - الشاعر أحمد شوقى، فى مرثيته له (ديوان شوقى جـ ٣ ص ٨ - ١١) وفيها يقول:

بالأمس كانت لابن هيف غضبة ... للحـق تذكرها يداً بيضاء
لما رأى التقرير ينفـث سـمـه ... سبق الحواة فأخرج الرقطاء
هتك الحماية - والرجال وراءها ... يتلمسون لها الستور رياء

وكان عبد الحميد أبو هيف رجلاً صريحًا لا يعرف المداورة، وحجة فى القانون، وتتلمذ عليه بمدرسة الحقوق عدد كبير من المحامين والقضاة، والوزراء فيما بعد، وكانوا جميعًا يرجعون إلى آرائه ومؤلفاته. وكان من تلاميذه ابن أخيه الدكتور على صادق أبو هيف عميد كلية الحقوق بالإسكندرية سابقًا.

إسماعيل أدهم

الكاتب الناقد (١٩١١ - ١٩٤٠)

ولد الأديب الناقد إسماعيل أحمد أدهم بالإسكندرية فى١٧ من فبراير ١٩١١ ونشا فى أسرة متوسطة الحال، تعيش فى حى الجمرك بالإسكندرية، وكان والداه من أهل الإسكندرية، وكان جده إسماعيل أدهم ملمًا باللغة التركية، ويعلمها فى بعض المدارس، وورث تركيته هذه عن أبيه إبراهيم أدهم باشا رأس هذه الأسرة، وكان قد استوطن الإقليم المصرى، وعين فى عهد محمد على محافظًا للقاهرة، ووزيراً للمعارف والحربية، ثم ترك لأولاده بعض الممتلكات بقى منها البيت الذى كان يقيم به أديبنا إسماعيل أدهم مع والدته وإخوته بحى الجمرك حتى نهاية حياته، وفيه كان يكتب أبحاثه ويرسل منه خطاباته ومقالاته.

وتلقى إسماعيل أدهم تعليمه الابتدائى والثانوى بمدارس الإسكندرية ولكنه كان يعتمد فى تثقيف نفسه على مطالعة الكتب والمجلات، وبخاصة الكتب الأدبية والتاريخية، كما كانت له نزعة عملية تدفعه إلى دراسة العلوم الرياضية والطبيعية .

ويحدثنا إبراهيم أدهم عن شقيقه إسماعيل أدهم فى مقالة نشرها عقب وفاته:

> "كانت له مكتبة كبيرة مشحونة بالكتب العربية والتركية والإفرنجية فكان [illegible]
> يقبل على مطالعة هذه الكتب [illegible] التهامًا. وأذكر أنه كان يطالع [illegible]
> [illegible] حتى [illegible]. "فكان [illegible] إلى [illegible]
> لتناول الطعام والكتاب بين يديه، وينام والكتاب معه. [illegible] إلى أنه كان يقرأ

وهو يسير فى الطريق، وكانت له عبارة كثيراً ما كان يرددها أمامى بإيمان واضح وهى: "اجعل الكتاب صديقك" وكنت لا تراه إلا وتحت إبطه رزمة من الكتب والصحف".

وكان على شغف بتعلم اللغات ليقرأ المؤلفات الموضوعة بها ويكتب بها مقالاته وأبحاثه، فكب على دراسة التركية والألمانية والإنجليزية إلى جانب لغته العربية. وساعده ذلك على الاتصال بالمستشرقين فى الخارج فكان يكاتبهم ويقرأ مؤلفاتهم العلمية والإسلامية والعربية، وتأثر منهجهم العلمى فى البحث والتحقيق والتعليق، وحاكاهم فى التنقيب عن المراجع والأسانيد، بل لقد أسدل لحيته وعد نفسه من المستشرقين!

ويقول دكتور أحمد زكى أبو شادى: "الدكتور إسماعيل أحمد أدهم، أكثر من شخصية ، فهو عالم رياضى نابغة، وهو بحاثة بارع فى التاريخ، وهو ناقد نافذ البصيرة... وعلى الرغم من مولده المصرى، يصح اعتباره غريباً فى نشأته وثقافته، فهو فى حكم المستشرقين والمستعربين، وتجد فى أسلوبه الصراحة وحرية الفكر، ودقة التقسيم العلمى، والنقد المستقصى، والترفع عن السفاسف والمنابذة، والتشبث بما انتهى إليه من حقائق...".

وعاصر إسماعيل أدهم الحركة الثقافية التى نشطت بالإسكندرية فى الثلاثينيات قبل أن تركد مع نشوب الحرب العالمية الثانية، ففى تلك الفترة، أى فى الثلاثينيات خصوصاً، عمد أدباء هذه المدينة من مختلف المهن والأجناس إلى تأليف الجماعات الأدبية، وعقد الندوات والحفلات الثقافية فى أندية المدينة، ونشر نتاجهم فى صحفها الإقليمية وعلى رأسها وادى النيل والأهالى، والبصير، والسفير، وغيرها من الجرائد والمجلات العربية. وكان من تلك الجماعات "جماعة الأدباء المصريين" التى أقامت فى ديسمبر ١٩٣٥ مهرجاناً فى ذكرى البارودى الشاعر فيما قام به من نشاط. و"اتحاد الأدباء العرب" الذى أقام فى الشهر نفسه حفلاً فى الذكرى الألفية على وفاة المتنبى، و"جماعة نشر الثقافة" المنشأة عام ١٩٣٢، وعاشت نحو ثلاثين عاماً

و"جماعة أصدقاء الفكر" ١٩٣٢ ، و"أصدقاء الفن" و"رابطة الموسيقيين" و"جماعة دانتى أليجييرى" الإيطالية، وجماعة "الأتيليه" و"مدرسة الفنون الجميلة الأهلية" وغيرها، كما عرف بالإسكندرية فى خريف ١٩٣٤ الأديب سامى الكيالى، صاحب مجلة "الحدث" بحلب، ففتح له صدر مجلته، ونشر بها أدهم عدداً من الأبحاث منها مقالاته عن إسماعيل مظهر (١٩٣٨)، وأفردت "الحديث" عدد أبريل ١٩٣٨ لكتابه عن: طه حسين مصدراً بمقدمة عن أدهم ومؤهلاته ونشاطه الأدبى فى الشرق والغرب، وهى المقدمة التى رأى فيها بعض النقاد الكثير من المبالغات والمغالطات، وأفردت مجلة "الحديث" عدداً خاصا لذكراه عقب وفاته عام ١٩٤٠ شارك فى تحريره بعض أصدقائه.

وكذلك عندما انتقل الشاعر زكى أبو شادى من القاهرة إلى الإسكندرية عام ١٩٣٥ ليعمل بكتريولوجيًا فى مستشفاها الحكومى، ويسهم فى نشاطها الثقافى، وينشئ بها مطبعة، ثم يصدر عام ١٩٣٦ مجلتيه الأدبيتين: "الإمام" و"أدبى" ويتبعها بمجلة "مملكة النحل" ورابطتها، ويكون "رابطة الأدب الجديد" - كان إسماعيل أدهم فى مقدمة معاونيه كما كان أبو شادى أكثر الأدباء رعاية ووفاء لأدهم، ففتح له أبواب مطبعته ومجلاته واختاره "سكرتيراً" لرابطة الأدب الجديد، ومعاونًا له فى تأسيس "جماعة الأدب المصرى"، وفى تأليف "رابطة اللوتس" الأدبية بجمعية الشبان بالإسكندرية، و"رابطة النحل"، وفى المهرجانات والمناظرات والمحاضرات التى كان يقيمها أبو شادى فى أندية الإسكندرية، وحيث ألقى أدهم بعض المحاضرات منها محاضرته عن "ألغاز الوجود"...

وسجل إسماعيل أدهم رعاية صديقه أبى شادى، وأصدقائه الأوفياء فى رسائله الخاصة التى كان يكتبها إليهم، وعن آماله فى إنجاز عدد من الأبحاث والمؤلفات، وكذلك فى مقدمة كتابه عن طه حسين، ١٩٣٨ . وخلف إسماعيل أدهم عدداً من المؤلفات المطبوعة فى النقد الأدبى، وفى العلوم الرياضية والطبيعية، ونشر الكثير من المقالات الأدبية والأبحاث العلمية، فى الصحف والمجلات - العربية والخارجية، وبينها

المقتطف، والرسالة، بالقاهرة، والإمام وأدبى بالإسكندرية، والحديث بحلب.. وشارك بمحاضراته ومساجلاته فى الحركة الثقافية بالإسكندرية. وتراسل مع عدد من الأدباء العرب والمستشرقين وغيرهم. ثم لم تطل حياته التى لم تبلغ أعوامها الثلاثين كى يتابع جهوده الأدبية، وينشر ما كان يعده من المؤلفات:

ومما نشر له فى حياته من المؤلفات العربية - فى النقد الأدبى:

دراسة عن الشاعر أحمد زكى أبو شادى - نشرت أولا عام ١٩٣٦ بمجلة "أدبى" التى أصدرها أبو شادى بالإسكندرية ذلك العام. ودراسة مثلها بالإنجليزية عن أبى شادى ألحقت بمجلة "أدبى" ١٩٣٧ ثم نشرت فى كتاب خاص. و"الزهاوى الشاعر" - نشر أولا بمجلة "الإمام" بالإسكندرية لصاحبها أبو شادى - فى أبريل ١٩٣٧ ، "وإسماعيل مظهر - المفكر المصرى" ظهر مسلسلاً بمجلة "الحديث" بحلب ١٩٣٨ ، و"طه حسين، نشرته له مجلة "الحديث" بحلب فى عدد خاص (أبريل ١٩٣٨) مقسمًا إلى ثلاثة فصول: الأول عن حياة طه حسين وتحليل شخصيته، والثانى عن مذهبه فى النقد الأدبى ومذهبه الفنى، والثالث معتقده وبعض آرائه، وشىء عن آراء معاصريه فيه ، و"خليل مطران" ، ظهر فى مقالات مسلسلة بمجلة المقتطف بالقاهرة فى عامى ١٩٣٨ - و١٩٣٩ ، ويعده بعض النقاد أوفى كتبه و"توفيق الحكيم" ، كتاب اشترك فى تأليفه مع المرحوم الشاعر دكتور إبراهيم ناجى.

ومما وضعه فى البحث العلمى - غير مقالات أخرى لم تجمع - فهو:

بحث فى "نظرية النسبية" - نشره مسلسلاً بمجلة الرسالة فى عامى ١٩٣٥، و١٩٣٦ . وبحث فى "حرية الفكر" بمجلة "أدبى" ١٩٣٧ ، و"رسالة محمد" ١٩٣٧ .

والمعروف أنه ترك الكثير من الآثار الأدبية المفقودة، ونشر في الصحف بعض الشعر المنثور، وترجمات عن أدباء الترك، ومن ذلك مسرحيته "نظيفة" "والنغمات المطربة" للشاعر التركي عبد الحميد عبد الحق ورواية "بنت يزيد" لرفيق خالد، ونشر جزءًا منها بمجلة "الحديث" بحلب ولم يتمها، ومقاله بعنوان: "التاريخ القديم" نشرها بالمقتطف، كما ترجم بعض قصائد فكتور هوجو وشيلر.

ويقول شقيقه عن قلة اهتمامه بالماديات: وإن أخي كان لا يكتب هذه الكتابات من أجل أجر معلوم أو مجهول، وكل لذته خدمة فكرة معينة ومبادئ يعتز بها.

وهو في جميع كتاباته لا يصدر قلمه إلا عن عقيدة ثابتة. ولم يعرف أن أحدا استطاع أن يهيمن على شخصيته بأية صورة، بل كان شديد الاعتزاز حتى بتعابيره . ولم تعرف عنه النظرة المادية إلى العلم والأدب بأي حال، فلم يجلبا له أي مغنم، بل بالعكس كثيرًا ما جلبا له الخسارة المادية فضلاً عن المتاعب التي خصه بها الرجعيون" ويرى أنه في كل ما كتب ونشر، لم تعوزه الصراحة وحرية الرأي، ولم يفته التحليل والمقارنة، ودقة البحث على المنهج العلمي، وذكر المراجع والمصادر التي نقل عنها في هوامش صفحاته، وأنه كان يعاني كثيرًا من ناحية أسلوبه الذي كان لا يطاوعه تمام المطاوعة حين يكتب بالعربية أو يحاضر فيها. فإن المعاني ماثلة في ذهنه والأفكار حاضرة في عقله، والأسلوب وحده هو الذي كان يأبى عليه.

وكانت السنوات الخمس الأخيرة من حياة إسماعيل أدهم (١٩٣٥- ١٩٤٠) أكثر سن حياته عملاً وإنتاجًا، وفيها نشر معظم كتاباته، ثم هده الجهد وحطمه مرض الصدر، وحاصره النقاد والرجعيون، ونسب إليه البعض الضعف في الأسلوب، والاستعانة بأقلام الأصدقاء، والعجز عن التكسب من أية مهنة، والزيغ عن الإيمان. وعندما شبت الحرب العالمية الثانية اتهمه الإنجليز المحتلون وأعوانهم بممالأة الترك والألمان، وغيرهم بالاتصال بروسيا.

وفى مساء ٢٢ من يوليو ١٩٤٠ كتب رسالة وضعها فى جيبه، ثم ذهب إلى شاطئ "جليم" برمل الإسكندرية، وألقى بنفسه فى البحر ومات غرقا. وانتشل جثمانه فى اليوم التالى، وشيع جنازته خمسة أشخاص منهم شقيقــه، وصديقــه الشاعر أحمد زكى أبو شادى .

محمد ناجى

المصور الفنان (١٨٨٨ - ١٩٥٦)

كان الفنان المصور ، العربى السكندرى ، محمد ناجى بين الرعيل الأول من روّاد الحركة الفنية الحديثة التى تجلّت فى مصر منذ أوائل القرن الحالى ، وانفردت بطابعها فى التعبير ، ودعت إلى ربط أمجاد الماضى بيقظة الحاضر ، وبعث الفن الشعبى الممتد الجذور إلى أعماق العصور .. وكرّس ناجى حياته لخدمة الفن ، والنهوض بالمعاهد الفنية فى بلاده ، طوال أربعين عامًا فى جهاد متصل ، وإنتاج فائق ، وتنقل بين البلاد والأقطار ، وبين القديم والحديث .

وولد محمد ناجى يوم ١٧ من يناير ١٨٨٨م فى بيت أبيه موسى ناجى ، على ضفة ترعة المحمودية بحىّ محرم بك بالإسكندرية ، وشبّ بين أسرة تتذوق الآداب والفنون ، فوالده يقرأ الكتب الأدبية والعلمية ، وجدّته تكتب الشعر ، وشقيقته الصغرى الفنانة « عفت ناجى » ، تتمرّس بالرسم والتصوير ، وهو بفطرته مهيأ ليصبح الفنان الكبير ، والبيت يطل على الترعة والريف ، ويتوسط حديقة غنية بالأشجار والأزهار ، وفناننا الصبى يستلهم ما حوله من طبيعة ريفية وبيئة شعبية ، وينفرد على ضفة الترعة تحت شجرة الجميز ليصور « المراكبية » والفلاحين وعابرى السبيل ، وليقرأ الأساطير القديمة ، ويكتب عنها بلغة شعرية ، ويعزف على العود والكمان ، محاولاً التعبير بشتى لغات الفن عما يجيش فى قلبه الفتى من أحلام وآمال راح يجسدها فى لوحاته الخالدة طيلة العمر ، وظل يصورها بقلبه فى رسائله الخاصة إلى أصدقائه وفى أحاديثه وكتاباته .

وأتم فناننا تعليمه الابتدائى والثانوى بمدارس الإسكندرية ، ثم سافر عام ١٩٠٦ إلى فرنسا للالتحاق بكلية ليون حيث درس القانون تلبية لرغبة أبيه وحصل عام ١٩١٠ على إجازة « ليسانس » القانون .

غير أن ميله الفطرى إلى الفن وحده ، دفعه إلى الالتحاق بأكاديمية الفنون الجميلة بفلورنسا فى إيطاليا ، حيث ظل فى الفترة (١٩١٠ - ١٩١٤) يدرس الرسم والتصوير ، ويتعمق لوحات الأساتذة فى عصر النهضة . وأمضى عام ١٩١١ فى سويسرا يعالج من مرض ألمَّ به وقتذاك ، كما كان يقضى فى بلاده بعض شهور شتاء متنقلاً بين الإسكندرية والقاهرة والأقصر باحثًا وراء مستلهمات التصوير ، وتعود لوحته الباكرة « قطف البلح » عام ١٩١٢ إلى ذلك العهد .

كذلك عاش سنى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) فيما بين مرسمه بالأقصر ومرسمه « بدرب اللبانة » بحى القلعة بالقاهرة ، وفى الأقصر كان يقيم مرسمه شتاء فى قرية « القرنة » وهناك يقوم بجولاته لدرس الآثار القديمة ويستوحيها صوره طائفًا بالمعابد والأطلال المنثورة على ضفة النيل وفى الصحراء ، وفى «طيبة» ومدينة « هابو » وبين أبهاء « الكرنك » ، ووادى المقابر ، ومعبد حتشبسوت . متأملاً الصور والرسوم المنقوشة على الأعمدة والجدران تحكى الأساطير ، وتروى أحداث التاريخ ، وثمت استوحى ذلك العالم السحرى القديم عدداً من لوحاته ، ومنها لوحته الكبيرة « نهضة مصر » أو « موكب إيزيس » . وقد رمز فيها إلى مصر بالربة المصرية القديمة « إيزيس » يتبعها شعبها فى موكب حاشد ، والجموع تتقدم إليها بما لديها من ثمرات الزرع والعلم والفن ، والأمهات يقدمن لها أولادهن ، (وقد زينت لوحاته ذات الطابع المصرى القديم - زينتها صور « طيبة » ومعالمها ، الجناح المصرى فى المعرض الدولى بباريس عام ١٩٣٧) .

وارتحل فناننا إلى باريس عام ١٩١٩ ، وهناك تعرَّف إلى الفنان الفرنسى - التأثيرى - كلود مونيه ، وأقام مرسمًا فى بلدة "جيفرلى" بفرنسا ، واتجه فى فنه إلى المدرسة التأثيرية ... وبينما كانت أعماله الأولى تميل غالبًا إلى الفن التنقيطى

ومع تقبله للفن التأثيرى كان يفضل أحيانًا فن جوجان لبراعته فى التلوين ، واقتبس منه تناسق الألوان حيث يحتفظ كل لون بروعته وجلائه ، كما أنه برع فى الفن الكلاسيكى ، ومع ذلك فقد استطاع ناجى أن يحتفظ بشخصيته الفنية ، ورأى أن انتقاء الألوان وتوزيعها ، واستخدام الخطوط ، واختيار الموضوعات يجب أن تتسم بالطابع الشخصى دون المحاكاة .

وعندما عاد ناجى إلى وطنه عام ١٩١٩ أسهم فى الانتفاضة الوطنية المطالبة بالتحرر والاستقلال ، والداعية إلى النهضة والتجدد بعدد من لوحاته الرامزة إلى النهضة – وفى مقدمتها اللوحة الكبرى السالفة الذكر : موكب إيزيس ، والتى نالت الميدالية الذهبية فى صالون الفنانين المصريين بباريس عام ١٩٣٢م .

وفى مدى أربع سنوات انخرط فناننا فى السلك الدبلوماسى بوزارة الخارجية المصرية ، ورحل فى يونيو ١٩٢٥ إلى البرازيل – ملحقًا بالسفارة المصرية بريودى جانيرو ، وهناك كان يمضى فراغه فى تصوير معالم البرازيل وريفها ، وانتقل منها عام ١٩٢٧ إلى السفارة المصرية بباريس ، وتعرَّف إلى الرسام الناقد الفرنسى أندريه لون ، وظل هناك حتى عام ١٩٢٩م . وفى ذلك العام مثَّل بلاده فى مؤتمر الفنون الشعبية فى براج ، وألقى فيه خطابًا بالفرنسية دافع فيه عن فن بلده وبخاصة فنونها الشعبية وواجب تقديرها والنهوض بها – وختم كلمته بقوله :

« وإنى أود أن أُعَبِّر عن أملى ورجائى فى أن تستعيد فنوننا الشعبية سابق حيويتها ونشاطها ، ولا سيما بعد ما لاقته من عنت بسبب ترفع بعض مواطنينا الذين يأنفون من كل ما هو شعبى ، ويفضلون عليه الفن الدخيل ، وإن كان الفن الشعبى كما سمحت لنفسى أن أعرّفه : هو الصورة التى يتجلى فيها إحساس كل شعب وقوة إدراكه الخاصة ، والتى يعبر بها الفرد عن مشاعره المكنونة ، فيخرجها إلى حيز الوجود فى صورة تشكيلية أو موسيقية ، وأرجو أن يُفسح لهذا الفن مكان فى دراسة الفنون الجميلة حتى تكتسب بفضل ما يحدثه فى نفوسنا روح الإبداع والتجديد » .

وفى عام ١٩٣٠ استقال ناجى من الوظائف الدبلوماسية ليتفرغ إلى رسالته الفنية والإنتاج الفنى بقية حياته ، وفى ذلك العام نشر مقالة عن الحركة الفنية فى مصر - انتقد فيها أسلوب الدراسة فى مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة التى أنشئت عام ١٩٠٨ ، ثم تطورت إلى مدرسة عالية ١٩٢٧ لافتقاره إلى الطابع القومى وإلى منهاج يربط الفنان الناشئ بتراث بيئته .

ورحل عام ١٩٣٢ فى بعثة فنية إلى أثيوبيا حيث أمضى سنة صَوَّر خلالها الحياة فى البيئة الأثيوبية ، مناظرها وتقاليدها وحفلاتها ، ورسم إمبراطورها وأسقفها - فى نحو خمسين لوحة زيتية تتجه إلى الأسلوب التأثيرى عدا حوالى ثلاثمائة من الرسوم ذات الألوان المائية والقلمية ، ومن ذلك مناظر أديس أبابا وضواحيها ، والنجاشى على جواده ، ووجوه حبشية لرجال ونساء ، وأحد السعف ، والسوق ، ومحكمة فى الهواء ، ومسرح حبشى ، وغيرها .

كما قام برحلة فنية إلى بلاد اليونان ومقدونية وقبرص . ورسم هناك عدداً من الصور .

وأسس عام ١٩٣٤ أتيليه الإسكندرية ، وضم جماعة من الفنانين والأدباء ، واختير رئيساً له .

وفى العام نفسه عهدت إليه جمعية المواساة بالإسكندرية برسم بعض لوحات لتاريخ الطب لوضعها فى بهو مستشفى المواساة بالثغر ، وقدم لها ناجى أربع لوحات تمثل الطب عند العرب ، والطب فى الريف ، والطب عند قدماء المصريين ، ولم تزل هذه اللوحات معروضة هناك .

وأقيم له معرض فى لندن عام ١٩٣٥ واقتنى أحد النواب لوحته : - أحد السعف فى الحبشة ، وأهداها إلى متحف تيت جاليرى بلندن .

ووُضِعت لوحته : "عصر إحياء الفنون" فى أحد أبهاء مجلس الأمة بالقاهرة .

وعيّن ناجى عام ١٩٣٧ مديراً لمدرسة الفنون الجميلة العليا بالقاهرة (كلية الفنون الجميلة) ، فكان أول عربى يعين مديراً لهذه المدرسة ، وفى عام ١٩٣٩ عيّن مديراً لمتحف الفن الحديث بالقاهرة .

وعاد عام ١٩٤٠ إلى الأقصر ، وكان أول من عرض إنشاء مرسم لطلبة مدرسة الفنون لدراسة الفن المصرى القديم ... وفى يناير من هذا العام نشر له حديث يقول فيه : لا ريب أن تاريخ مصر العسكرى جدير بعناية الفنانين المصريين ، إذ فى تسجيل هذا المجد فى لوحات الفن إحياء له وتبجيل لذكرى رجاله الذين بذلوا من دمائهم وجهودهم ما يشهد لهم بالبطولة والنبوغ ، وانتدب عام ١٩٤٦ إلى مؤتمر الأدباء والفنانين ، بلندن ، ثم سافر إلى إسبانيا لتصوير بعض مناظرها . وعيّن عام ١٩٤٧ مديراً لأكاديمية الفنون الجميلة بروما ، وظلّ بروما مستشاراً ثقافيًا لبلاده حتى عام ١٩٥٠ ، ثم رجع إلى بلاده لينشئ عام ١٩٥١ جماعة الأتيلييه بالقاهرة ، وانتخب رئيسًا لها .

وأخيراً رأى أن يستقر فى وطنه ، فبنى عام ١٩٥٢ مرسمًا خاصًا يتوسط حديقة فى بقعة من الصحراء تشرف عليها أهرام الجيزة وسط الهدوء وذكريات التاريخ . وزين مرسمه هذا بلوحاته ، وذكريات رحلاته ، وبعض أعمال كبار الفنانين . وعاش فى هذا المرسم نحو أربع سنوات استكمل خلالها بعض أعماله غير أن القدر لم يمهله طويلاً ، فودّع الحياة فى مرسمه يوم ٥ أبريل عام ١٩٥٦ - فى الثامنة والستين من العمر ، ودفن فى الإسكندرية . وتحول مرسمه هذا إلى متحف خاص تشرف عليه وزارة الثقافة ، ويجتمع فيه الكثير من آثاره وذكرياته ولوحاته .

وقد عمد مواطنوه عقب وفاته إلى تخليد ذكراه وبعث تراثه - فإلى جانب تحويل مرسمه فى صحراء الأهرام إلى متحف قومى ، أقام « المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب » معرضًا شاملاً لأعمال الفنان الفقيد بمتحف الفن الحديث بالقاهرة ، وأنتج فلمًا سينمائيًا عن حياته وأعماله ، ونظمت شقيقته الفنانة « عفت ناجى » عام ١٩٦١

فى الذكرى الخامسة لوفاته معرضًا لرسومه ولوحاته مما لم يسبق عرضه . وأخذ النقّاد يكتبون عن فنّه الأبحاث(*) .

وكانت قد أقيمت المعارض لأعمال محمد ناجى فى القاهرة والإسكندرية وأثيوبيا وأوروبا ، ومونتفديو عاصمة أورجواى بأمريكا الجنوبية ، وفى روما عام ١٩٣٣م .

واستأثر مسقط رأسه الإسكندرية بعدد من لوحاته ورسومه ، فمن رسوم الأفلام الملونة لشتى مناظر ترعة المحمودية : مراكبها الشراعية ، وضفافها الريفية ، ونخيلها وقروياتها إلى صور لشاطئ الميناء الشرقى ، وبستان بالإسكندرية ، وفتاة من الشعر ، إلى لوحات مستشفى المواساة عن الطب القديم . وتزدان اليوم قاعة الاجتماعات بمحافظة الإسكندرية بلوحته الكبيرة : « مدرسة الإسكندرية » التى جمع فيها الفنان أشهر الشخصيات القديمة والحديثة فى العلوم والفنون – وتتوسط اللوحة فتاة ترمز إلى مدينة الإسكندرية وحولها الإسكندر مؤسس المدينة ، والفلاسفة والعلماء والشعراء والفنانون ممن يمثلون الحضارات التى مرت بالمدينة : إغريقية وعربية ، إلى يومنا هذا . كما ترى فى هذه اللوحة الكبرى بعض معالم الإسكندرية القديمة والحديثة ، المكتبة القديمة ، والأكاديمية والميناء الشرقى ، وقلعة قايتباى ، ومسجد أبى العباس المرسى .

وتابعت شقيقة الفنان وتلميذته ، المصورة الفنانة – عفت ناجى – رسالته وأخذت تصهر أحاسيسها الخاصة تجاه التراث العربى والشعبى فى قالب معاصر ، مستخدمة فى لوحاتها الألوان الصريحة التى تمتاز بها طبيعة بلادها وتاريخها ومتاحفها .

(*) انظر كتاب : "الحياة الشعبية فى رسوم ناجى" لسعد الخادم (١٩٦٥) – ومقالة "ناجى بين الإسكندرية مسقط رأسه وطيبة" لعفت ناجى – المجلة بالقاهرة ، يناير عام ١٩٦٩م .

بهيجة حافظ

نجمة الموسيقى والسينما

وكان المرحوم إسماعيل حافظ (باشا) والد بهيجة حافظ ، فنانًا يهوى الموسيقى ويُجيد العزف على العود ، ويحيى الندوات الموسيقية بمنزله بالرصافة بحىّ محرم بك بالإسكندرية ، فيؤمها المطربون والموسيقيون ومنهم المطرب عبد الحى حلمى وغيره . وفى هذا الوسط الفنى شبّت ابنته الفنانة بهيجة حافظ ، وكانت تتثقف بمدارس البنات بالإسكندرية وأجادت بضع لغات ، ودفعتها مواهبها وهوايتها إلى دراسة الموسيقى نظريًا وعمليًا فنبغت فى هذا الفن ، ووضعت الكثير من القطع الموسيقية الجديدة سجل بعضها على « الأسطوانات »، ولمعت فى محافل الموسيقى بالإسكندرية . كما كان لهذا الاهتمام بالفن أن أخذت تتردد على دور السينما لترى الأفلام الأجنبية المعروضة بالإسكندرية ، ولم تفتها مشاهدة المحاولات الباكرة فى الأفلام العربية خلال العشرينيات – وتقول عنها : « كنت أذهب خلسة لأشاهد بعض الأفلام الهزيلة التى تعرض فى دور السينما بالإسكندرية . كانت محاولات تفتقر إلى عناصر النجاح المادى والفنى ، كما كانت المحاولات الأولى التى تبذل فى مصر ، ولا ترقى إلى الأفلام التى ترد من الخارج » .

وفى ذلك الوقت عاد المخرج السينمائى محمد كريم من ألمانيا حيث كان يدرس الإخراج ، وأعلن فى الصحف أنه يستعد لإخراج فيلم « زينب » الصامت ، عن قصة الدكتور محمد حسين هيكل ، وأنه يبحث عن وجه مصرى نسائى جديد ليقوم بدور بطولته . وصادف أن رأى بهيجة حافظ فى إحدى الحفلات وعرض عليها القيام بهذا

الدور فوافقت – « رغم ما قد يجرّه عليّ ذلك من معارضة أهلى » ، فقد كان اشتغال الفتيات بالتمثيل فى السينما والمسرح يعد يومذاك فى نظر الأسر المحافظة عاراً ، وكانت بهيجة حافظ أول فتاة مصرية مثقفة من الأسر الكبيرة تقتحم ميدان السينما متخطية التقاليد والعقبات .

وبدأت بتمثيل دور الفلاحة فى فيلم « زينب » عام ١٩٢٧ أمام الممثل سراج منير وإخراج محمد كريم ، وتصف بهيجة حافظ بعض ما لاقته هى ومن معها من مصاعب ، مؤرخة للحركة السينمائية بمصر فى أول عهدها : « .. واستغرق الفيلم عشرين شهراً رغم أننا لم نقم بالعمل خلال هذه الفترة سوى شهرين وبضعة أيام . والسبب فى ذلك أن الوسائل والمعدات الفنية كانت تنقصنا – كانت آلات التصوير تدار باليد ، كما لم يكن هناك « ستديو » سينمائى أو معمل للتحميض . ولم تكن هناك أجهزة للإضاءة وإنما كان التصوير يتم فى ضوء الشمس وفى أماكن غير مستوفية . لكن هذه المتاعب بدأت تخف وطأتها حينما بنى يوسف وهبى منتج الفيلم « ستديو » بسيطاً من الطين النيئ على قطعة أرض فى إمبابة . وحدث عندما كنا فى مدينة الفيوم نصور أحد المناظر أننا انتظرنا مدة طويلة حتى تطلع الشمس ، فكنا نرجع فى المساء بخفى حنين ، وكم من مرة تعطلت بنا السيارة فكنا نضطر إلى المبيت فى الطريق المهجور . وفى إحدى المرات حاول كريم تصوير مشهد تسير فيه البطلة فى أحد الحقول تحت وابل من المطر ثم تلجأ إلى شجرة تحتمى بها ، وكنا فى الشتاء ، ففكر كريم بعد أن فشل فى السيطرة على الجو فى أن يأتى برشاشات الحديقة وقد أرهقنى هذا وأمرضنى ، فإن المشهد أعيد تصويره عدة مرات ! » .

وأخيراً تمّ الفيلم وعرض بالقاهرة ولقى نجاحاً كبيراً ، لأنها كانت أول محاولة جادة فى ميدان السينما المصرية . وفوجئت بهيجة بحضور أسرتها لتشهد العرض الأول للفيلم وتهنئتها بالنجاح ! وعاد محمد كريم ويوسف وهبى يعرضان عليها القيام ببطولة فيلم آخر باسم « أولاد الذوات » وتصور مناظره فى باريس لأنه سيكون فيلماً

ناطقًا – وسافرت مع الفرقة إلى باريس وبدأ العمل فى الفيلم ، ولكن حدث خلاف حول بعض المسائل الفنية أدى إلى عودتها إلى القاهرة وعدولها عن الاشتراك فيه .

وفى القاهرة واصلت طريقها فى ميدان الفن فأنشأت شركة سينمائية أنتجت فيلمًا اسمه « الضحايا » ، ثم أتبعته بآخر اسمه « الاتهام » – ولقيا رواجًا فأعادت فيلم « الضحايا » ناطقًا ، ثم فيلم « زهرة » ، وكانت بهيجة تتولى أحيانًا إخراج أفلامها إلى جانب التمثيل والموسيقى التصويرية و « المونتاج » .

فلما شرع طلعت حرب فى بناء « ستديو مصر » دفعها هذا إلى إنتاج فيلمها الجديد : « ليلى بنت الصحراء » تدور قصته حول محاولة كسرى أنو شروان ملك الفرس اغتصاب فتاة بدوية عربية تقاومه ، وتقف قبيلتها ضده وتنتصر للبدوية الفقيرة على الملك الكبير . وعرض الفيلم ولقى نجاحًا – ولكن حدث أن تزوجت أخت الملك السابق فاروق من شاه إيران فصدر الأمر بمنع عرضه ، وسبب هذا خسارة مالية جسيمة للفنانة التى وضعت كل ما تملك فى هذا الفيلم . وظلت طويلاً فى عزلة عن الميدان السينمائى ، حتى جاء عهد الثورة فاستطاعت أن تعيد عرضه .

ومرّت الأعوام ونشرت إحدى الصحف اليومية عام ١٩٦٦ خبرًا بعنوان : « بهيجة حافظ تطلب عملا » ، « أرسلت بهيجة حافظ إلى وزارة الثقافة تطلب عملاً ، قالت : إنها تُجيد ثلاث لغات واشتركت فى تأسيس السينما المصرية وعاطلة منذ سنة ١٩٤٧ وتشغل نفسها بصالون الموسيقى ولكن هوايتها الأصلية السينما » .

وفى أواخر عام ١٩٦٨ ذكرتها جريدة الأهرام فى كلمة مصحوبة ببعض صورها الأخيرة جاءتها : « وحيدة إلا من ذكرياتها ، تناجى صور الماضى المعلقة على كل جدران المنزل ، ولا ترى فيها إلا ظلامًا بعد أن ضعف بصرها » .

تعزف الألحان ولا تسمعها ، تنشد الألفة فلا تجدها إلا فى قطها العجوز الوحيد الذى يشاركها حياتها . إنها صاحبة أول وجه ظهر فى السينما المصرية ، وصاحبة

أشهر صالون للثقافة والموسيقى عرفته القاهرة . بهيجة حافظ سلكت طريق الفن منذ أكثر من أربعين عامًا عندما بدأت دراساتها للموسيقى فى القاهرة ، وانتهت بحصولها على شهادة فى التأليف الموسيقى والعزف على البيانو من باريس ، فكانت أول فنانة مصرية فى عالم النغم الرفيع ، وهمزة الوصل بين عالم اللحن المدروس . كانت صاحبة أول أسطوانة موسيقية تنزل إلى الأسواق سنة ١٩٢٦ وكانت باسم بهيجة ، و« معلهش » التى قدمتها الإذاعة فى بداية عهدها . ومن خلال الموسيقى قامت الصلة بينها وبين السينما عندما كانت تعزف الموسيقى التصويرية للأفلام الصّامتة ... » .

عبد الحى حلمى

المطرب المتوفى ١٩١٢

وفد المطرب المشهور عبد الحى حلمى إلى الإسكندرية فى فجر شبابه للعمل والارتزاق لا يعرفه أحد ، ولكنه وهب صوتًا بديعًا ما لبث أن اكتشفه سامعوه ، ثم ذاع صيته فى أواخر القرن التاسع عشر بالإسكندرية والقاهرة وسائر المدن . وقد تأثر عبده الحامولى ، وعاصر سلامة حجازى ، وظلّ عبد الحى متعلقًا بموسيقى التخت والغناء القديم فى حين اتجه سلامة حجازى ومن بعده سيد درويش إلى الغناء المسرحى . وتتلمذ عليه عدد ممن اشتهروا فى الغناء والتلحين – ومنهم زكى مراد بالإسكندرية وداود حسنى بالقاهرة ، ولم يشهد عبد الحى ما دخل على الغناء والموسيقى العربيين بعده من التطورات الحديثة ، إذ وافاه الأجل عام ١٩١٢ ، ولكن ما سجل له من الأغانى على أقراص « الفونوغراف » الباقية إلى اليوم يشهد بما لصوته من طرب وعذوبة وقوة .

وكان بالإسكندرية فيما بين منتصف القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عدد من أهل الموسيقى الشرقية والغناء العربى هواة ومحترفين اشتهر بعضهم . وكانت الموسيقى العربية محصورة فى التخت الذى يقام فى الأفراح والحفلات ، وفى بعض المسارح التى ظهرت بالإسكندرية فى أواخر القرن التاسع عشر . وفى السهرات الخاصة فى بيوت الأعيان ، ثم فى القهوات الشعبية المنتشرة على ترعة المحمودية . وكان من الندوات المنزلية الخاصة تلك التى تقام فى بيت إسماعيل حافظ (باشا) بالرصافة بحى محرم بك ، وكان من مهرة العازفين على العود ، وفيها تخرج المطرب عبد الحى

حلمى وأحيا السهرات ، وفيها شبت الفنانة بهيجة حافظ ابنة إسماعيل حافظ ، كما كانت هناك ندوة بدار عازف العود محمود عيسى فى حىّ محرم بك ، وكان من العازفين على تخت عبد الحى حلمى ، ينضم إليها أحيانًا سيد درويش فى صباه .

ويؤرخ الفنان محمد إبراهيم لعبد الحى حلمى بقوله : « وفد شاب من بنى سويف على الإسكندرية ، خامل الذكر فقير ، يريد أن يجد عملاً فساقته الظروف إلى حىّ محرم بك حيث يقيم الأعيان من كل نوع واستطاع الشاب أن يجد عملاً فى منزل إسماعيل حافظ (باشا) والد الفنانة بهيجة حافظ ، وكان من عادة الباشا أن يقيم حفلاً موسيقيًا كل أسبوع ، يحضره كثيرون من الكبراء ، ويرتاده كثير من رجال الأدب والفن . وتأثر الفتى (عبد الحى) بما فى المنزل من جو موسيقى عجيب . وكأن القدر قد بعث به إلى هذا المكان لتظهر عبقريته فى الإسكندرية ، فأخذ يرسل صوته المجلجل فى أثناء قيامه بتنظيف الخيل والعربات ، واكتشف الباشا هذا الكنز الثمين وقدمه إلى أصدقائه فى حفلاتهم المسائية التى بدأ يحييها ، وكان مثار إعجابهم وتقديرهم – كانت رسالته متممة لرسالة عبده الحامولى ، فلقد استمع إليه وتأثر به ، وكان أكثر المطربين تشبثًا به حين يغنى ، وكان حلو الحديث رائع النكتة .

وفى مرثية الشاعر أحمد شوقى لعبد الحى حلمى يصف فنه بقوله [(1)] :

كان الندامى إن شدوت وعاقروا	سيان صوتك بينهم والراح
فيما تقول مغنيًا ومحدثًا	تتنافس الأسماع والأرواح
آهاته حرق الغرام ولفظه	سجع الحمام لو انهن فصاح

وقد نشأ بالإسكندرية واشتهر بفن الغناء على نهج عبد الحى والشيخ يوسف المنيلاوى الشيخ على الحارث ، وكان يُجيد أيضًا ترديد ألحان عبده الحامولى ومحمد عثمان . ولما اشتهر سيد درويش بألحانه الجديدة أنكر عليه الشيخ على الحارث طريقته فى الغناء والتلحين تمسكًا منه بالقديم .

وبدأ المطرب السكندرى زكى مراد حياته الغنائية بالتتلمذ على عبد الحلى حلمى الذى كان أيضًا معجبًا بصوت تلميذه ، وقدمه إلى شركات « الجراموفون » حيث سجل الكثير من أدوار عبد الحى وغيره من كبار المطربين والملحنين ، كما شارك فى الغناء المسرحى ، وكان سلامة حجازى ينيبه عنه فى أداء أدواره الغنائية فى أثناء مرضه . كما تتلمذت ابنته ليلى مراد على أبيها زكى مراد فى الغناء والموسيقى .

وكان جاك رومانو ، المطرب السكندرى المتوفى عام ١٩٥٢م من أصدقاء عبده الحامولى ومدرسة عبد الحى وذاع صيته خارج الإسكندرية أيضًا ، وحيّاه الشاعر حافظ إبراهيم بقصيدة منها :

يا جـــاك إنك فى زمـــانك واحـــد ولـكـل عـــصـــر واحـــد لا يـلحق

فـــإذا ارتحلت لنا الغنـاء فكلنـا مـــهج تـســيل وأنفس تتــحــرق

كامل الخلعى

الموسيقار الملحن (١٨٨١ - ١٩٣٨)

وولد الموسيقار الملحن والمؤلف الموسيقى محمد كامل الخلعى ، عام ١٨٨١م ، (وقيل ١٨٧٩م) بحى كوم الشقافة بالإسكندرية وقضى بها صباه ... ثم حدث أن رحل والده محمد سليمان الخلعى ، وكان ضابطًا فى الجيش ، إلى القاهرة وهناك تزوج بسيدة أخرى مما أفزع ابنه فرحل إلى القاهرة وعمل فى كتابة اليفط بشارع محمد على وكان مثوى أهل الموسيقى والغناء ، وكان الصبى ميالا إلى الموسيقى فأخذ فى تعلم العزف على آلاتها وظهرت مواهبه فى هذا الفن .

وتصادف أن التقى به يومًا الشيخ محمد توفيق البكرى (١٨٧٠ - ١٩٣٢) وكان أديبًا فنانًا بقدر ما كان من علماء الدين ، فقدر موهبة الشاب وقدمه فى ندواته بقصره فى الخرنفش . ولما جاء أحمد أبو خليل القبانى من دمشق إلى مصر ليقوم بنشاطه المسرحى ، وجدنى الشاب كامل الخلعى موهبة فى الموسيقى والتلحين فاصطحبه إلى الشام لعدة أشهر وجعله تلميذه ، فكان أبو خليل أستاذه الأول .

وفى تلك الرحلة زار الخلعى بعض مدن سوريا كما زار بغداد وإستانبول ، وتونس وتمرّس بالموسيقى الشرقية : العربية والفارسية والتركية ودرس الموشحات الأندلسية وعاد مزودًا بخبرة فنية كبيرة ، والمعروف عنه أنه درس أيضًا قواعد الموسيقى الغربية وألم بالفروق بينها وبين الموسيقى الشرقية ، ولكنه كان شديد التمسك بالموسيقى الشرقية وتراثها القديم ويعدها معبرة عن الروح الشرقى ، ولم يحاول تطويرها وإدخال جديد يذكر متفقًا فى الرأى مع معاصره وزميله الملحن الموسيقى

داود حسنى (١٨٧١ - ١٩٣٧) وسائر فنانى المدرسة القديمة ، ومخالفًا فى ذلك معاصره الفنان المجدد سيد درويش الذى قطع فى طريق التطوير والتجديد شوطًا بعيدًا، وكان من رأيه حفظ المئات من الموشحات العربية والأدوار من جميع المقامات قبل القيام بالتلحين ، وأن لا يستقبح الملحن تلاحين الأجانب فإنه بالتعود على سماعها تصير عنده ملكة التمييز .

وكان الخلعى أديبًا ينظم الشعر ويكتب المقالات فى الأدب والموسيقى . ووضع عام ١٩٠٣م كتابًا بعنوان : « الموسيقى الشرقية » وضح فيه تاريخ الموسيقى وآدابها وما يجب أن يتحلى به المطرب والمستمع كما ذكر فيه تاريخ أساتذة الموسيقى فى عصره وألحانهم ، ويصف دكتور حسين فوزى هذا الكتاب بقوله(*):

« ومن الكتب التى أعتز بها كتابه عن « الموسيقى الشرقية » لأنه من الكتب الأساسية فى فهم الموسيقى العربية والاطلاع على تاريخها ، وواضح مع مطالعة هذا الكتاب أن كامل الخلعى كان مضطلعًا بقواعد الموسيقى الغربية ، واعيًا لما يقوم بين موسيقى الشرق والغرب من موانع وحواجز أقامتها قرون التطور التى مرّت بالموسيقى الغربية فنقلتها من البسيط إلى المركب ، وأوسعت مجالات التعبير فيها ، بينما وقفت الموسيقى العربية عند حدود تقاليدها ورفضت لغير التركية بإجراء أى تطوير فيها » .

واتصل الخلعى بسلامة حجازى وانضم إلى أول فرقة له للمسرح الغنائى . ووضع الكثير من الألحان والأدوار للتخت وللمسرح ، وله نحو مائة موشحة وعدد من الأناشيد و « الطقاطيق » ، وكثير من المسرحيات الغنائية «الأوبريت» أهمها مسرحيتا : كان زمان ، والتلغراف لفرقة على الكسار . ومسرحيات : كارمن ، وتاييس ، وروزينا ، وأدنا (أو إكسير الحب) ، وكارمنينا ، والتالتة تابتة ، لفرقة منيرة المهدية .

(*) انظر مقالة بعنوان : « فى ذكرى كامل الخلعى » للدكتور حسين فوزى - جريدة الأهرام ، عدد ١٤ يونيو ١٩٦٣ ، ص ١٥ ، وحديث لكامل الخلعى أعيد نشره بجريدة المساء مايو ١٩٦٥م .

ومسرحية : آه يا حرامى ، لفرقة عكاشة ، والشرط نور، والسعد وعد، والبدر لاح ، ومبروك عليك ، لفرقة محمد بهجت . وقيصر وكليوباترة ، والشرف اليابانى ، والإيمان ، لفرقة جورج أبيض .

وتتلمذ عليه عدد من كبار الملحنين منهم محمد القصبجى - كما غنّت أم كلثوم ومطربات أخريات عدداً من الأغانى التى لحنها . وذكر قبل وفاته أنه جمع واختار أكثر من مائتى موشح قديم ، وعزم على تسجيل ألحانها بالنوتة الموسيقية .

وتوفى كامل الخلعى عام ١٩٣٨ وشيع جنازته المتواضعة عدد قليل من مريديه وأصدقائه - من منزله بإحدى حارات شارع محمد على - القلعة حاليًا - بالقاهرة .

وفى عام ١٩٦٦ احتفل معهد الموسيقى العربية بذكراه ، وعزف فى الحفل بعض ألحانه وموشحاته ، كما احتفلت الإذاعة بالقاهرة بذكراه ، ويقوم المجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة بجمع تراثه الموسيقى والمسرحى .

ويقول دكتور حسين فوزى :

« وكامل الخلعى إلى موهبته الأصيلة فى التأليف والموسيقى بل وعبقريته ، كان عالمًا من علماء الموسيقى ، مطلعًا على تاريخها العربى اطلاعًا طيبًا ، متابعًا لأثر الموسيقى التركية فيها ، وعارفًا ببعض ما كتب علماء الغرب عنها . وقد درس أعلامها من سابقيه ومعاصريه : أبو خليل القبانى ، والشيخ عبد الرحيم الشهير بالمسلوب ، وعبده الحامولى ، وإبراهيم القبانى ، ومحمد عثمان ، وسلامة حجازى ، وداود حسنى، وسيد درويش .

ويقول توفيق الحكيم : « فن الموسيقى فى مصر كما عرفناه منذ ثلاثين سنة كان يلمع فى سمائه ثلاثة نجوم : داود حسنى ، وسيد درويش ، وكامل الخلعى » .

محمد حسن

الفنان - مدير متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية
(١٨٩١ - ١٩٦١)

لم يكن الفنان الكبير محمد حسن من مواليد الإسكندرية ، ولكنه ترك أثرًا جليًا في حياتها الفنية ، إذ كان مديرًا لمتحف الفنون الجميلة بها ووقف على هذا المتحف الناشئ جهده في السنوات الأخيرة من حياته . وكان آخر أعماله الكبرى بهذه المدينة إشرافه وتنظيمه لمعرض بينالى الإسكندرية الرابع الذي افتتح يوم ١٤ من ديسمبر ١٩٦١ واشترك في دورته هذه كبار فناني سبع دول ؛ واشتركت فيه مصر بحوالي ٢٥٠ قطعة فنية بينها عدد من تماثيل الفنانين أحمد عثمان ومحمود موسى ، فكان مهرجانًا فنيًا مثلت فيه روح العصر الحديث .

وفي صبيحة افتتاح معرض البينالي الرابع هذا ، ودعت الإسكندرية مدير متحفها محمد حسن - انتقل إلى رحمة اللّه فجأة في ذلك اليوم : ١٤ من ديسمبر سنة ١٩٦١م .

وولد محمد حسن في دنجواى مركز شربين عام ١٨٩١ وغادر مسقط رأسه طفلاً ليتعلم ، وبعد تعليمه الابتدائي التحق بمدرسة الفنون الجميلة التي أنشئت عام ١٩٠٨ بدرب الجماميز بالقاهرة ، وكان أحد الخمسة الكبار من طليعة هذه المدرسة : محمود مختار ، محمد حسن ، يوسف كامل ، راغب عياد ، أحمد صبرى ، وبدأت مواهبه الفنية منذ ذلك العهد . ويكتب الأستاذ لابلانى ناظر المدرسة في تقريره عام ١٩١٠ عن مقدرة المصريين الفنية ، ثم يقول عن محمد حسن : « إنه أبدى منذ الشهور الأولى

امتيازًا ظاهرًا فى الرسم وهو يتقدم بخطى ثابتة . لقد صنع صورًا لزملائه ، ورسومًا من الطبيعة الحية لا تقتصر على مجرد النقل . وبعض لوحاته تشير إلى مستقبله كمصور ، وتومئ إلى ما يتوفر له من الإحساس باللون وحاسة التكوين » .

وعمل محمد حسن لدى تخرجه فى مدرسة الفنون الجميلة مدرسًا بمدرسة الفنون الزخرفية ، ثم أوفد فى بعثة إلى لندن استكمل فيها دراساته فى فن التصوير ، كما درس الفنون التطبيقية . وعاد ليتابع عمله فى مدرسة الفنون والزخارف ، واتجه إلى إحياء الفن التطبيقى والصناعات الزخرفية التى لمس حاجة بلاده إليها كأحد مقومات النهضة ، ثم أوفد فى بعثة ثانية إلى روما ، وعاد منها ليستأنف ما بدأه فى حقل الفنون التطبيقية ، وإعداد جيل من الفنانين تجتمع فيها القدرة على الابتكار والإبداع ، مع القدرة على التنفيذ والأداء . وكان هو على رأسهم ينفذ ويصمم ، ويخرج نماذج من روائع الفن التطبيقى .

وبذلك عمل على ارتياد المجالات التى كانت وقفًا على الأجانب ، وفتح الطريق للعناصر القومية ، سواء فى مهنة التدريس بمدارس الصناعات الزخرفية أو فى ميادين الفنون الجميلة والتطبيقية . وأتاحت له مواهبه أن يكون أول مدير مصرى للفنون التطبيقية كما كان أول مدير مصرى للإدارة العامة للفنون الجميلة ، فضلاً عن أنه تولى عمادة الفنون الجميلة بعد العهد الأجنبى ، كما تولى الإشراف على الفرقة القومية . ولما بلغ سن التقاعد عُيِّن مديرًا للأكاديمية المصرية فى روما ، ثم عاد ليكون مديرًا لمتحف الفنون الجميلة بالإسكندرية ، ووقف عليه جهده حتى يوم وفاته عام ١٩٦١م .

ويقول الفنان صلاح طاهر عن محمد حسن(*):

« خلال هذا الخط المديد لحياته ، كان لمحمد حسن سمات فى الإدارة والتنظيم لها طابع ذكائه ومقدرته على التنظيم . وأتيح له فى أثناء هذه الفترة أن يخلف فى

(*) انظر : «المجلة» بالقاهرة فى يناير ١٩٦٢ ، ص ٩٤ ، «والمجلة» فى فبراير ١٩٦٣ ، عدد ٧٤ ، ص ٦٩ ، وجريدة «الأهرام» فى ١٩٦١/١٢/١٣ كلمة لكمال الملاخ .

مجال الفنون التطبيقية الزخرفية أثراً من براعته . إذ عمل على تحوير الفنون المحلية التقليدية ، وبعث فيها روحاً حديثة كما أمد الفنون التطبيقية بأسباب تقدمها وتطويرها، وفتح للفنانين التطبيقيين مجالات ما كانت لتتهيأ لهم فى بدء الطريق - سواء فى نطاق الحكومة أو غيرها - لولا جهوده وما تميز به من لباقة وكياسة فى معالجة الأمور .

« أما فى المجالات الرسمية للفنون الجميلة والمسرح ، لقد كان لمحمد حسن آثار تنظيمية فضلاً عن أنه كوّن مجموعة هيأها لأن تحتل الفراغ الذى كان من المحتم أن تتولاه الكفايات المصرية فى فترة التطور التى صاحبت انسحاب الأجانب من الميدان الرسمى والتوسع فى ذات الوقت فى تعليم الفنون وإنشاء المتاحف ، وإقامة المعارض والأعمال الفنية . وكانت له قدرة على الملاحظة ، وروح ساخرة . ووجه قدرته على الملاحظة إلى فن تصوير الأشخاص ، فأظهر فيه براعته ، وتميزت أعماله فى هذا المجال بالواقعية ، ولكنه يرتفع فيها عن مستوى « الواقع الفوتوغرافى » ، إلى الواقع الفنى الذى يسجل معالم الوجوه ومعالم الشخصية . أما السخرية فقد تجلت فى أعماله الكاريكاتورية تصويراً ونحتاً .

ويمتاز محمد حسن بأنه يمارس فنون النحت والحفر والميدالية جميعًا فى وقت واحد على درجة واحدة .

ويقول عباس محمود العقاد فى رثائه(*) ، وكان محمد حسن قد أهدى إليه صورة تمثل فتاة حزينة على قبر صديقها الفقيد :

« مات محمد حسن - عجباً - لقد وهمت أن فنه يعفيه من هذا القضاء بعد أن أصبح خبراً معاداً أنظر إليه مئات المرات ، ثم أبرح الدار فأرى الحيّ الخالد بقيد الحياة . مات محمد حسن ، ولم أره قط إلا رأيت إنساناً حيًا يمتلئ بالحياة ، ولم أتذكره قط إلا تذكرت أن الموت قد استحال بمعجزة فنه ظلا من الظلال ... » .

(*) جريدة « الأخبار » ١٩٦١/١٢/٢٠ كلمة لعباس محمود العقاد .

محمد مفيد الشوباشى

ولد الشاعر الباحث محمد مفيد الشوباشى فى ٨ سبتمبر ١٨٩٩م فى رمل الإسكندرية ، لأبيه محمد الشوباشى المحامى ، وأول نقيب للمحامين بالإسكندرية ، وممن أسهموا فى إنشاء نقابة للمحامين بمصر ، وتلقى تعليمه الأوَّلى بمدرسة إنجليزية بالرمل ، ثم تابع تعليمه الابتدائى وشطراً من الثانوى « بكلية فكتوريا » – كلية النصر بالإسكندرية حاليًا – وكانت هذه المدارس يومذاك لا تعنى بتعليم اللغة العربية قدر عنايتها بتعليم الإنجليزية ، فأخرجه منها والده وأحضر له مدرسًا خاصًا يعلمه العربية بالمنزل مدة عام ليعده لدخول المدارس الوطنية والتحق بمدرسة رأس التين الابتدائية فالثانوية . وكان بين معلمى هذه المدرسة الشاعر عبد الرحمن شكرى الذى كان يدرس له التاريخ ، وتوطدت صلته بأستاذه شكرى منذ ذلك الحين .

غير أن المرض حال بينه وبين مواصلة الدراسة ، فانقطع عن المدرسة نحو ثلاث سنوات (فيما بين ١٩١٧ و ١٩٢٠) قضاها فى الاستشفاء بين القاهرة والصعيد ، وعاد بعدها إلى الإسكندرية لمواصلة دراسته ، وحصل على « شهادة الكفاءة » عام ١٩٢٠ و « البكالوريا » أو إتمام الدراسة الثانوية ١٩٢٢ ، ثم درس القانون ، وحاز من « مدرسة الحقوق » بالقاهرة على إجازتها (الليسانس) عام ١٩٢٦ ورجع إلى الإسكندرية ليشتغل بالمحاماة أمام محاكمها ، وافتتح مكتبًا للمحاماة مشتركًا مع صديقه المحامى الشاعر عبد الحميد السنوسى حتى عام ١٩٣٢م .

ثم هجر المحاماة ، وترك المدينة ليشتغل بالزراعة ويعيش فى الريف فى بلدتى قويسنا وكفر الدوار ، ولكنه لم يحقق من ذلك غرضًا ، فعاد إلى مكتب المحاماة عام ١٩٤٢ وظل به حتى عام ١٩٤٧ حين طلب منه المرحوم أحمد أمين مجموعة

مخطوطة من شعره ، وعرضها على المجمع اللغوى ، فنالت جائزة الشعر العربى الحديث فى ذلك العام .

وعيَّنته وزارة التعليم مراقبًا لإدارة الثقافة العامة ، وقبل هذا المنصب لما له من صلة بالشئون الثقافية ، وظل به حتى عام ١٩٦١ بعد أن مدت خدمته بعد سن المعاش سنتين .

وكان منذ فجر الشباب ينشر القصائد الشعرية ، والمقالات الأدبية فى الصحف والمجلات . وبدأ حياته شاعراً ينظم القصائد الوجدانية ، وينشر بعضها فى الصحف . ثم قدم – كما سلف – مجموعة من هذه القصائد عام ١٩٤٧ إلى « المجمع اللغوى » ولكنه لم يطبع ديوان شعره حتى عام ١٩٦٥ وظهر بعنوان : « وحى الشاطئ » . فقد أحجم عن نشره طويلاً لأنه من شعر الشباب العاطفى ، وكان قد ترك نظم الشعر إلى القصة والفلسفة ، فلما اقتنع بوجوب نشره قدَّمه إلى وزارة الثقافة وظهر ذلك العام . « ويشمل هذا الديوان أكثر من خمسين قصيدة منظومة ، بعضها مستلهم من البحر وشواطئ الإسكندرية مثل الشاطئ المهجور ، والشاطئ الخالى ، وأنا والبحر ، وذكر البحر ، وشاطئ البحر ، ولقاء وفراق على شاطئ . ومن الريف مثل : «ليلة ريفية» ، و «فى القمة العالية» . ومن وحى المجتمع مثل : «أنا والمجتمع» ، و «شاعر يستيقظ» . وفى الحب والغزل ، منها : ربيع الحب ، والماضى الحى . ثم من وحى إبليس ومن وحى الصبا وبعض المراثى . وشعر مترجم عن شعراء الغرب . وختم ديوانه هذا بمنظومتين ، بأسلوب الحوار التمثيلى ، إحداهما بعنوان : سليك وورد ، والأخرى بعنوان : « محنة » مترجمة عن ستيفان زفايج .

وشعره من وجهة عامة سلس خال من الحشو والزخرف ينساب فى هدوء وتأن ، وتطرد كلماته فى خطى بطيئة ثابتة لا انفعال فيها ولا تسرع . ويصور الواقع تصويراً طبيعيًا صادقًا دون قصد إلى التأثير بالمؤثرات المفتعلة ، والحق أن الشاعر يعانى فى نظمه ويتأنى فى صياغته ، ويتدبر قبل إرساله .

ثم بدأ الشوباشى يقرأ الفلسفة كى يستطيع فهم الحياة فهمًا صادقًا ، ويصل بشعره إلى تفسير الحياة تفسيرًا علميًا حريصًا فى الوقت نفسه على الاحتفاظ بالشكل الفنى الأدبى . وقد انتهى به استغراقه فى دراسة الفلسفة إلى الانصراف عن الشعر العاطفى الخيالى .

وكان فى فجر شبابه يكتب الخواطر والقصة الخيالية . فنشر عام ١٩١٩ كتابًا بعنوان : «خواطر غريب» وبه صور من الريف ومجتمعه - خواطر أدبية فى أسلوب شعرى .

وأما فى ميدان القصة ، فقد وضع رواية بعنوان : الصحوة الأخيرة صدرت عام ١٩٤١ وتصور ثورة للشعب المصرى على بطليموس الثالث عشر عام ٥٠ ق.م - فكانت صحوة فى العالم القديم ، وثورة على مَلك فاسد ، كما أصدر له عام ١٩٤٤ الجزء الأول من قصة تاريخية سياسية باسم : « طلائع الأحرار » تصور تاريخ مصر من ١٩١٤ إلى ١٩٣٠، وفى عام ١٩٤٨ : « قطوف نادرة » ، مجموعة من الأقاصيص ، بعضها مؤلف والبعض الآخر مقتبس . ونشر عام ١٩٤٩ « سليك وورد - أو عاصفة فى صحراء » ، قصة تاريخية عربية غرامية ، وقعت حوادثها فى العصر الأموى .

ثم أصدر رواية طويلة بعنوان : الخيط الأبيض ، تصور حقبة الثورة الوطنية عام ١٩١٩ ، وبطلها فتى مصرى أحب فتاة إنجليزية فاصطدم هذا الحب بالعاطفة الوطنية . ونشرت له «المكتبة الثقافية» عام ١٩٦٤ كتاب نقدى عن : « القصة العربية القديمة » ، وفى موضوع النقد الأدبى ترجم عام ١٩٥٠ كتاب : الأدب والفن فى ضوء الواقعية لجان فيريفيل ، وهو شرح للمذهب الواقعى فى الأدب يلقى الضوء على الغموض الذى اكتنفه . كما نشر له عام ١٩٦٢ ببيروت كتاب : أثر العرب فى أدب المحدثين ، صور فيه تطور الأدب العربى من أدب التعمل والخيال إلى الأدب الواقعى .

وفى التاريخ - طبع عام ١٩٤٢ كتابًا باسم : « ألمع ساعات الحرج فى تاريخ الإنسانية ، ويتضمن عددًا من الوقائع التاريخية التى حولت مجرى التاريخ ، مثل فتح القسطنطينية ، وكشف الذهب فى أمريكا ، وموقعة واترلو واكتشاف القطب الجنوبى ، ومعركة الرومان مع كليوباترة التى انتهت باحتلال الدولة الرومانية لمصر . ونشرت له المكتبة الثقافية فى أغسطس عام ١٩٦١ كتابًا عن العرب والحضارة الأوروبية

يدلل فيه على أن حضارة أوروبا الحديثة تأسست على الحضارة العربية . وفى الفلسفة صدر له عام ١٩٥٥ ببيروت كتاب : « الفلسفة السياسية » عرض فيه لتطور الفلسفة وتحولها من نطاق التأمل المجرد إلى النطاق الواقعى العملى ... .

وترجم مفيد الشوباشى عدداً من القصص الأوروبى ، ومن ذلك رواية : «أرميا» لستيفان زفايج (١٩٤٦) وهى قصة تبشر بالسلام وتسخر من تجار الحرب ، وقد ترجمها نثراً وشعراً كما فى الأصل ، وترجم عن ترجنيف قصتين فى مجلد واحد بعنوان : « آسيا وجداول الربيع » .. عن تريفونوف : طلبة وطالبات ، وعن توماس هاردى رواية نافخ البوق أو جاويش البورجى (١٩٦٢) ، وعن فورستر رواية : هواردز راند – أو المنزل الريفى – وعن ثيوفيل جوتييه الكابتن فراكاس ، وغيرها .

سلوى المحلاوى

رائدة فى الصحافة المدرسية

عندما حاولت إنشاء نادى القصة بالإسكندرية عام ١٩٦٠ ، طلبت منا وزارة الشئون الاجتماعية تكوين جمعية عمومية لوضع الأساس للائحة النادى . واجتمع أعضاء الجمعية العمومية فى فرع نقابة الصحفيين بالإسكندرية ، وكانت الأديبة الشابة سلوى المحلاوى من الأعضاء المؤسسين لهذا النادى العريق منذ ذلك التاريخ حتى الآن ، لجمع شمل القصاصين الكبار بالإسكندرية ، والكشف عن المواهب القصصية الشابة وإعداد المهرجانات القصصية لتكريم هؤلاء الشبان ومنحهم الجوائز ، وكان يحضر تلك المهرجانات وزير الثقافة ، ومحافظ الإسكندرية ، وكبار الأدباء فى الإسكندرية والقاهرة ، وكانت قاعة المحاضرات الكبرى فى جمعية الشبان المسلمين بالشاطبى تكتظ بالحاضرين .

وكانت الأديبة سلوى المحلاوى من الأوائل فى أعضاء مجلس الإدارة حتى الآن لما اتصفت بخلق عظيم ، وأدب جم ، ونشاط ملحوظ فى النادى ، وفى الصحافة المدرسية حين كانت موجهة فى الصحافة ورائدة فى ذلك المجال .

وكانت سلوى المحلاوى من الممتازات وهى طالبة فى المرحلة الابتدائية وتحصل على الدرجات النهائية ، وحصلت على جائزة مادة الدين وكانت كتاب "بلال مؤذن الرسول ﷺ" للأديب عبد الحميد جودة السحار . وكان ذلك بداية المرحلة الثانوية ، وكانت أول فتاة تدرس الصحافة فى الجامعة الشعبية بالإسكندرية وسط العشرات من الدارسين من مختلف المهن ، وكان يقوم بالتدريس مديرو المكاتب الصحفية بالإسكندرية . وكانت الدراسة لمدة عامين ونجحت بتفوق ونالت الجائزة .

وعندما عينت مدرسة للغة العربية بمدرسة عرفان الإعدادية كونت جماعة للصحافة وأصدرت أول مجلة مطبوعة باسم "مجلة عرفان" وأرسلت نسخة من المجلة إلى وزارة المعارف فأرسلوا إليها خطابا يطلبون منها إبداء رأيها فى تأسيس قسم للصحافة المدرسية لأول مرة بالوزارة .

وبعد عملها بالتدريس لمدة ستة عشر عاما تم انتدابها كإخصائية ، وتدرجت فى العمل حتى أصبحت موجهة الصحافة والإعلام بمديرية التربية والتعليم ، ثم قدمت استقالتها لظروف عائلية .

وكانت رسالتها فى توجيه الصحافة هى اكتشاف المواهب وتشجيعها والأخذ بيدها .

وتعتز سلوى المحلاوى برسالة من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وبكلمة من الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس ، وأحمد بهاء الدين ، وكبار الأدباء والكتاب والصحفيين .

هذه لمحات سريعة لا يعرفها حتى المقربين منها لأنها تتصف بالخجل والتواضع . وهى من مواليد الإسكندرية ١٩٣٤ .

ولذلك عندما قرر نادى القصة بالإسكندرية تكريمها ضمن الرواد الذين أعطوا للإسكندرية الكثير ، طلبت منها أن تقدم لنا بعض الذكريات والخواطر ، والقصص التى نشرتها فى الصحف والمجلات وعالم القصة وجريدة الاتحاد المصرى وجريدة الإسكندرية . وتم نشرها فى كتاب "أمواج" بعنوان "خواطر إسكندرانية" .

وسلوى المحلاوى من الأديبات النشيطات ، فقد كانت تشارك فى جميع ندوات النادى الأسبوعية ، والاحتفالات وتساهم بجوائز مادية للأدباء الواعدين .

سعيدة قطيط

فى ندوات القصة بقصر ثقافة الحرية التى كنت أنظمها كل يوم إثنين منذ عام ١٩٥٩ ، التقيت بالأديبة سعيدة قطيط التى كانت حريصة كل الحرص على الحضور فى كل الندوات ، وكانت تشارك بجهودها وقصصها ، ومناقشاتها فى كل ندوة . وعندما قررت إنشاء أول ناد للقصة بالإسكندرية ، كان لزامًا أن تعقد جمعية عمومية للنادى طبقًا لقواعد الشئون الاجتماعية . وفعلاً اشتركت سعيدة قطيط فى الجمعية العمومية للنادى ، ثم اختيرت عضواً بمجلس إدارة النادى منذ عام ١٩٦٠ حتى الآن .

وهى من مواليد رشيد فى ٢٢ أكتوبر ١٩٤٢ من أبوين ينتميان إلى أسرتين عريقتين فى مدينة رشيد هما أسرة السيسى وأسرة قطيط . وعندما تزوجت انتقلت مع زوجها إلى الإسكندرية حتى الآن ، وواصلت تعليمها وهى زوجة ، وأم ، حتى حصلت على الثانوية العامة القسم الأدبى .

وكانت هوايتها القراءة لكبار الأدباء ، وخاصة لأدباء رشيد وبخاصة على الجارم فى روايته «غادة رشيد» ، وغيرهم . وبدأت تكتب القصة القصيرة والرواية .

وصدرت لها أول مجموعة قصصية باسم «بسمة أمل» ١٩٧٦ . ثم قرأت حول النور ١٩٨١ . وابتسامة فى بحر الدموع ١٩٨٤ ، ثم رواية أم معاذ فى السجن ١٩٨٨ وفى عام ٢٠٠٧ صدرت لها ثلاثة كتب : أولاد الشوارع . دراسة أدبية حول أدباء القصة ، ثم للقلب نزوة .

وشاركت سعيدة فى مهرجانات نادى القصة ٢٨ مهرجانًا ، وكانت تنشر قصصها فى مختلف المجلات وبخاصة "عالم القصة" التى يصدرها نادى القصة ، وكذلك جريدة "المستقبل" ، وجريدة "الاتحاد المصرى" . وأذيعت لها عدة قصص فى إذاعة الإسكندرية فى برنامج "أدب الشاطئ" . ورغم إصابتها بالمرض فهى تشارك بإبداعاتها القصصية فى الصحف والمجلات السكندرية والقاهرية .

الشيخ مرزوق سعد عبيد

الشيخ مرزوق سعد عبيد وقد ولد فى ٢٩ مارس ١٩٤٠ .

وحصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف وليسانس أصول الدين جامعة الأزهر ، وهو وكيل الوزارة لأوقاف الإسكندرية (سابقًا) ، وإمام بأوقاف الإسكندرية ثم مفتش أول بأوقاف الإسكندرية ومدير إدارة غرب الإسكندرية ، والمنتزه ، والجمرك ، ثم وكيلاً لوزارة أوقاف الإسكندرية .

ومن الأعمال والأنشطة التى شارك فيها :

رئيس اتحاد علماء الإسكندرية ونائب رئيس جمعية ابن خلدون الخيرية الإسلامية وعضو مجلس إدارة تنظيم الأسرة المصرية ، وعضو مجلس إدارة جمعية العمل الوطنى ، وعضو مجلس إدارة شعبة شرق للجمعيات الخيرية ، ورئيس لجنة الشئون الدينية بالحزب الوطنى الديمقراطى ، ورئيس لجنة المبدعين والمبتكرين ، وعضو جمعية أبناء البحيرة بالإسكندرية ، ومدير مؤسسة الإبيارى الخيرية .

السفريات :

١ - أمريكا عام ١٩٩٧ حتى ١٩٩٨ .

٢ - النرويج عام ١٩٩٨ حتى ١٩٩٩ .

٣ - كندا تورتنو - عام ٢٠٠٣ .

٤ - لندن - ٢٠٠٤ .

الأوسمة :

- حاصل على وكيل الوزارة المثالى على مستوى الجمهورية ٢٠٠٣ .

- حاصل على درع وزارة الأوقاف والذى قام بتسليمه السيد/ وزير الأوقاف ٢٠٠٣ .

- حاصل على عدة أوسمة من جمعيات العمل الوطنى والخيرى بالإسكندرية .

جمعية شبان المسلمين ، جمعية العمل الوطنى والمجلس الشعبى المحلى ، والقوات البحرية ، ونادى سموحة ، ونادى الاتحاد ونقابة الأطباء ونقابة عمال الإسكندرية ، ومن جامعة الإسكندرية ومن الشباب والرياضة بالإسكندرية ، ووزارة الصحة والسكان ٢٠٠٥ .

- حاصل على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى من السيد رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك ٢٠٠٥ .

- وشهادة تقدير من السيد رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك ٢٠٠٥ .

شهادات التقدير :

- شهادة تقدير من السيد الدكتور وزير الأوقاف لحصوله على وكيل وزارة الأوقاف المثالى على مستوى الجمهورية ٢٠٠٣ .

- شهادة تقدير من السيد اللواء محافظة الإسكندرية ٢٠٠٣ لحصوله على وكيل الوزارة المثالى على مستوى الجمهورية .

- وحاصل على شهادة تقدير وجائزة من مؤسسة الدكتور مرسى عرب (لاختيار الشخصية المصرية القدوة فى مجالات الخدمات الإنسانية والاجتماعية والمحافظة على القيم الرفيعة) .

موجز لمساجد الإسكندرية
وأولياء الله الصالحين

١ – سيدى المرسى أبو العباس .... بميدان المساجد بحى بحرى

٢ – سيدى محمد شرف الدين البوصيرى .... بميدان المساجد بحى بحرى

٣ – سيدى ياقوت المرسى .... بميدان المساجد بحى بحرى

٤ – سيدى محمد بن وكيع .... بميدان المساجد بحى بحرى

٥ – سيدى محمد الغريب .... بميدان المساجد بحى بحرى

٦ – سيدى محمد الشريف المغربى .... بميدان المساجد بحى بحرى

٧ – سيدى محمد أبو وردة .... بميدان المساجد بحى بحرى

٨ – سيدى محمد الطرودى .... بميدان المساجد بحى بحرى

٩ – سيدى محمد الحلوانى .... بميدان المساجد بحى بحرى

١٠ – سيدى محمد إجابة .... بميدان المساجد بحى بحرى

١١ – سيدى محمد غريب اليمنى .... بميدان المساجد بحى بحرى

١٢ – سيدى محمد الشريف .... بميدان المساجد بحى بحرى

١٣ – سيدى محمد بركة .... بميدان المساجد بحى بحرى

١٤ – سيدى سعيد النجعاوى .... بميدان المساجد بحى بحرى

١٥ – سيدى محمد صلاح الدين .... بميدان المساجد بحى بحرى

١٦ – سيدى أبو الفتح .... خلف مسجد أبو العباس

١٧ – سيدى محمد مكن .... بجوار سيدى ياقوت

١٨ – سيدى ناصر الدين .... شارع سيدى ياقوت بحى بحرى

١٩ – سيدى على الموازينى .... شارع الموازينى

٢٠ – سيدى عثمان الشرنوبى .... شارع التتويج .

٢١ – سيدى كظمان .... بالأنفوشى

٢٢ – سيدى يوسف الجعرانى .... خلف مدرسة إبراهيم الأول

٢٣ – سيدى أبو شوشة .... ش رأس التين (قبو الملاح)

٢٤ – سيدى عبد الرحمن بن هرمز .... ش رأس التين

٢٥ – سيدى خضر الأنصارى .... ش رأس التين

٢٦ – سيدى على تمراز .... ش رأس التين

٢٧ – سيدى عبد الله المجاهد .... شارع الجمرك رقم (١)

٢٨ – سيدى مسعود .... نهاية ش النصر بالجمرك

٢٩ – سيدى العدوى .... شارع الترسانة

٣٠ – سيدى الحجارى .... شارع الحجارى

٣١ – سيدى العراوسى .... بجوار شارع الجمرك

٣٢ – سيدى ابن ربيع المشهور بأبى نواية .... بالجمرك

٣٣ – سيدى عبد الله المغاورى .... متفرع من ش جعفر باشا .

٣٤ – سيدى شحاته .... بوكالة الليمون .

٣٥ – سيدى وقاص .... بالباب الأخضر .

٣٦ – سيدى المراسى .... شارع الشمرلى .

٣٧ – سيدى برتقيش .... شارع الشمرلى .

٣٨ – سيدى رزق النحاس .... شارع الشمرلى .

٣٩ – سيدى سند .... شارع السكة الجديدة .

٤٠ – سيدى الطرطوشى .... شارع السكة الجديدة .

٤١ – سيدى خضر الطوابسى .... شارع السكة الجديدة .

٤٢ – سيدى محمد شاهد روحه .... شارع السكة الجديدة .

٤٣ – سيدى محمد سليمان الشهير بالعطار .... شارع العطارين .

٤٤ – سيدى المتولى .... شارع سيدى المتولى .

٤٥ – سيدى الشومانى .... شارع الفراهدة .

٤٦ – سيدى عبد الرازق الوقائى .... شارع النبى دانيال .

٤٧ – سيدى النبى دانيال .... شارع النبى دانيال .

٤٨ – سيدى أبو الدرداء .... شارع أبو الدرداء .

٤٩ – سيدى الواسطى .... شارع أبو الدرداء .

٥٠ – سيدى سعيد .... بالفراهدة .

٥١ – سيدى الصورى .... شارع الخديوى الأول .

٥٢ – سيدى عامر الفوال .... شارع الخديوى الأول .

٥٣ – سيدى على البديوى .... كوم الدكة .

٥٤ – سيدى تميم .... كوم الدكة .

٥٥ – سيدى سرور .... كوم الدكة .

٥٦ – سيدى حذيفة اليمانى .... كوم الدكة .

٥٧ – سيدى محرز .... كوم الدكة .

٥٨ – سيدى يعقوب .... طريق الحرية .

٥٩ – سيدى كريم .... غيط العنب – كرموز .

٦٠ – سيدى المغربى .... غيط العنب – كرموز .

٦١ – سيدى عبد القادر .... مينا البصل .

٦٢ – سيدى عبد الله .... طريق الحرية .

٦٣ – سيدى محمد البردى .... شارع الحافظة .

٦٤ – سيدى ثابت .... مينا البصل .

٦٥ – أحمد المنير .... سوق الجمعة .

٦٦ – سيدى الزهرى .... بجوار ملعب البلدية .

٦٧ – سيدى أحمد المتيم .... ش السلطان حسين .

٦٨ – سيدى محمد أبو النور .... بحى العناهرية .

٦٩ – سيدى الحلوجى .... ش مسجد الحلوجى .

٧٠ – سيدى مرزوق الكنانى .... ش مسجد النور .

٧١ – جامع أولاد الشيخ .... ش محرم بك .

٧٢ – سيدى الشاطبى .... الشاطبى .

٧٣ – سيدى جابر .... سيدى جابر .

٧٤ – سيدى بشر .... سيدى بشر بالرملة .

٧٥ – سيدى كمال .... المندرة .

٧٦ – سيدى عبد الرحمن أبو بطيخة .... بالصحراء .

٧٧ – سيدى عبد القادر الجيلانى .... ساحل الغلال .

٧٨ – سيدى الجداوى .... بالقرب من شارع انسطاسى .

٧٩ – سيدى محمد المنقعى .... سوق سوريا .

٨٠ – جامع الشيماء .... سيدى بشر .

٨١ – مسجد القاضى سند بن عثمان .... حى اللبان .

٨٢ – سيدى العارف بالله الشيخ عبد الله المغاورى . متفرع من شارع جعفر باشر . الجمرك .

٨٣ – سيدى العارف بالله أبو الفتح الواسطى .... حى اللبان .

٨٤ – سيدى العارف بالله ابن الحاجب .... بالقرب من مسجد أبى العباس المرسى .

٨٥ – مسجد العارف بالله تعالى أبو القاشم القبارى .... القبارى .

٨٦ – مسجد العارف بالله أبو طاهر إسماعبل الزهرى .... بجوار أبو بكر الطرطوشى .

٨٧ – سيدى مفرح الدمامينى .... حدائق الشلالات .

٨٨ – سيدى ابن العلامة بن المنير .... حى اللبان .

٨٩ – سيدى ابن العماد .... حى اللبان .

٩٠ – سيدى داود بن عمر بن باخلا ..... رأس التين .

٩١ – سيدى تاج الدين الفاكهانى .... بجوار ضريح أبى العباس المرسى .

٩٢ – سيدى مكين الدين الأسمر .... بجوار مسجد أبى العباس المرسى .

٩٣ – سيدى محمد العراقى .... العصافرة .

٩٤ – سيدى محمد الصورى .... محطة مصر .

٩٥ – سيدى سلامة الرأس .... حى الجمرك .

٩٦ – سيدى عبد القادر الشاذلى .... حى مينا البصل .

٩٧ – سيدى محمد الحبشى ... حى مينا البصل .

٩٨ – سيدى محمد البنا .... حى الجمرك .

٩٩ – سيدى محمد البرزى .... حى اللبان .

١٠٠ – سيدى يوسف على الشاذلى .... حى راغب .

١٠١ – سيدى إبراهيم حلمى القادرى .... حى السيوف .

وغيرهم .

وفى لقاء مع الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف.. صرح لى بأن وزارة الأوقاف ضمت إليها ٧٦ ألف مسجد وزاوية فى محافظات مصر. وتشرف عليها. ومنها محافظة الإسكندرية التى تضم أكثر من مائة مسجد وزاوية.

وعندما استولى عمرو بن العاص على مدينة الإسكندرية، أنشأ بها عدة مساجد من أهمها مسجد (عمرو) الذى كان يطلق عليه مسجد الرحمة. وكانت المساجد فى هذا العصر تجمع بين أمور الدين والدنيا، بين الصلاة وأعمال الدولة فى جميع شئونها السياسية والحربية والتعاليم الدينية والدنيوية، ومركزا للقضاء والمحاكمات إلى غير ذلك.

وعلى مر العصور انتقلت هذه الهيئات الحكومية من المساجد إلى أماكن أخرى متفرقة فى أنحاء المدينة، وأصبحت المساجد بيوتا مقدسة خاصة بعبادة الله وحده سبحانه وتعالى.

وتقوم الآن وزارة الأوقاف بإدارتها، والإشراف عليها، واختيار العاملين فيها من مفتشين وأئمة ووعاظ، ومقرئين، وكلهم من العلماء الأفاضل الحاصلين على درجات علمية من دكتوراه، وماچستير، ودراسات عليا. وهؤلاء يحافظون كل المحافظة على حياة العروس الروحية.. عروس البحر.. الإسكندرية.

ولوزارة الأوقاف بالإسكندرية مآثر خيرية كثيرة من أهمها مساعدات العائلات المنكوبة، والفقيرة، وتقدير إعانات شهرية لها. والصرف على علاج بعض المرضى، المصابين بالسرطان، وسرطان الكبد، وفيروس (سى).. وغيرها من الأمراض بمساعدة رجال الأعمال فى الثغر السكندرى.

نبذات توضيحية .. لمساجد الإسكندرية وأولياتها

لقد تعرضت فى الجزء الأول من "منارة الثقافة.. الإسكندرية" لعدد من أولياء الإسكندرية.. منهم: الإمام أبو العباسى المرسى، والإمام البوصيرى، والإمام أبو الحسن الشاذلى، والإمام القبارى. وتناولت فى الجزء الثانى من "منارة الثقافة الإسكندرية" بعض الأولياء منهم: أبو بكر الطرطوشى، سند بن عنان، أبو بكر بن عوف، ابن عطاء الله السكندرى، ياقوت العرشى، ابن الحاجب. أبو الحسن الإبيارى، عبد الرزاق الوقائى، ابن اللبان. سيدى بشر، سيدى جابر، محمد بن أحمد بن جبير. ابن دانيال الموصلى، أبو عبدالله الشاطبى، محمد بن القاسم النويرى، ناصر الدين المنير، عبد الرحمن ابن هرمز، أبو الدرداء، ابن قلاقس، برهان الدين الأعرج، قجماش الأسماقى الظاهرى. فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر.

وهذه بعض النبذات التوضيحية لمساجد الإسكندرية وأوليائها.

القاضى سند بن عنان :

هو الإمام سند بن عنان إبراهيم الأزدى أبو على، أخذ العلم عن شيخه الإمام أبو بكر الطرطوشى. وله مؤلفات منها: شرح المدونة فى فقه المالكية فى ثلاثين مجلداً وسماه "الطراز". وظل ينشر العلم بعد وفاة شيخه إحدى وعشرين سنة وتوفى رحمه الله ٥٤١هـ. ودفن بجوار شيخه بحى اللبان.

الشيخ عبد الله المغاورى :

قال عنه الإمام عبد الرءوف المناوى فى كتاب "الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية".. كان كبير القدر فريداً فى وقته. عاش فى القرن السادس الهجرى فى قرية أشبيلية بقرية الأندلس، وأخذ العلم عن الشيخ أحمد بن جعفر أبى العباس الزاهد. وقد توفى بالإسكندرية بحى الجمرك، وضريحه داخل المسجد ودفن معه الشيخ محمد صالح البنا، ونجله الشيخ عبد الله البنا. والشيخ طاهر القردلى.

أبو الفتح الواسطى :

"هو أبو الفتح نجم الدين محمد أبو القاسم الواسطى" من العراق. وكان أحد تلاميذ الإمام أحمد الرفاعى، فأرسله إلى مصر ليعلم أهلها وينشر علم التصوف بها. وبخاصة الطريقة الرفاعية. فوصل إلى الإسكندرية سنة ٦٢٠هـ. وكان درسه بمسجد العطارين. قال عنه الإمام أبو الحسن الشاذلى: دخلت العراق، ولقيت جملة من المشايخ فلم أر أحسن من الشيخ الواسطى.

توفى سنة ٦٣٢هـ بحى اللبان. وضريحه بجوار مسجده.

ابن الحاجب :

هو عثمان بن أبو بكر الكردى الإتناوى الملقب بجمال الدين والمشهور بابن الحاجب. ولد سنة ٥٧٠هـ. ومن شيوخه: على أبى منصور الإبيارى، تفقه على يديه. ومن مؤلفاته: المختصر فى الفقه. منتهى السؤال فى الأصول. الكافية فى النحو.

ومن ثناء العلماء عليه: قال عنه شيخ الشام شهاب الدين الدمشقى فى كتابه "الذيل على الروضتين". كان ركنا من أركان الدين فى العلم بارعا فى العلوم الأصولية، وكان ثقة وحجة. متواضعاً. عفيفاً. محبا للعلم وأهله، ناشرا له. صبوراً على البلوى.

وقد أسس قواعد المبانى وتفقه على مذهب الإمام مالك. وانتقل من القاهرة. إلى الإسكندرية، وتوفى سنة ٦٤٦هـ. وضريحه أسفل مسجد أبو العباس المرسى.

إسماعيل الزهرى :

هو الإمام أبو طاهر إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عوف الزهرى المالكى من ذرية الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف، وأخذ العلم عن الإمام الطرطوشى، وعن الحافظ بن عبد الله الرازى، وله مؤلفات.

وتوفى ٥٨١هـ. عن عمر يناهز ٩٦ عاماً. ودفن بجوار الإمام أبو بكر الطرطوشى.

الحافظ الإمام ناصر الدين :

هو الحافظ الإمام ناصر الدين أبو العباس بن محمد بن منصور الجزامى الإسكندرانى المالكى، ولد ٦٢٠هـ. كان من الأئمة المتجرين فى العلوم منها التفسير، الفقه، الأصول، البلاغة، الأنساب.

ومن مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم، أسرار الأسرار، كتاب المناسبات تراجم البخارى، مختصر التهذيب، فى الفقه. توفى سنة ٦٨٢هـ، وخديجة داخل مسجده المعروف بحى المنير باللبان.

ابن سليمان الحمدانى الإسكندرانى :

هو الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن سليمان الحمدانى الإسكندرانى الشافعى الذى ولد سنة ٦٠٣هـ، وكان عالماً جليلاً، وتألق فى علوم الحديث والفقه، وله كتاب عن «تاريخ الإسكندرية ، ومعجم شيخوخه. وقد توفى عام ٦٧٣ . وضريحه داخل مسجده بحى العباد بحى اللبان.

تاج الدين الفاكهانى :

هو عمر بن أبى اليمن على بن سالم المالكى وشهرته بتاج الدين الفاكهانى. حفظ القرآن الكريم، وتعلم العلوم الشرعية. من مؤلفاته: شرح العمدة فى الحديث، وشرح الأربعين النووية. الفجر المنير فى الصلاة على البشير النزيه التحفة المختارة فى الرد على مفكر الزيارة. وتوفى ٧٣٤هـ بالإسكندرية وضريحه بالقرب من مسجد أبى العباسى المرسى.

محمد العراقى :

هو محمد بن محمود بن غريب الملقب بالعراقى. وقد ولد بمدينة طرابلس بليبيا سنة ١١٤٧هـ. جاء إلى مصر ناشراً العلم، ثم نزل بالإسكندرية داعيًا إلى الله طوال ٣٥ عامًا. وتوفى عام ١٢٢٢هـ وضريحه معروف بالعصافرة القبلية بشارع سيدى العراقى.

محمد الصورى :

هو محمد السيد الصورى الشريف الحسين ولد بمدينة صور بالشام سنة ٩٥١هـ. وانتقل إلى مصر، واستقر بالإسكندرية ناشراً العلم والفقه والتفسير والتصرف والحديث. توفى عام ١٠٠٣هـ. وضريحه بحى العطارين.

سلامة الرأس :

هو القاضى سلامة الرأس الملقب بالرأس السكندرى. كان فقيها وإمامًا فى المعارف. توفى سنة ١٢٨٣هـ بحى الجمرك.

عبد القادر الشاذلى :

هو عبد القادر بن عبد الوهاب الشاذلى، ولد بولاية طرابلس ١٢٢٣هـ، وحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى الإسكندرية، توفى ١٢٩٧هـ بحى مينا البصل.

محمد الحبشى :

هو محمد الحبشى بن على أبو سيد أحمد خطاب، ولد بمحافظة الشرقية، ثم رحل إلى الإسكندرية وحفظ بها القرآن الكريم، وتوفى سنة ١٣٢٠هـ، ودفن بجوار شيخه عبد القادر الشاذلى بحى مينا البصل.

محمد البنا :

إنه محمد بن صالح الرشيدى الحنفى، ولد بمدينة رشيد ١٨٧٨هـ، وحفظ القرآن الكريم، ثم تولى الإفتاء بالإسكندرية، واستقر بها حتى توفى ١٨٦٩م الموافق ١٢٨٦هـ بحى الجمرك.

يوسف على الشاذلى :

وقد ولد ١٢٩١هـ بالإسكندرية، وحفظ القرآن الكريم، واستكمل دراسته بالجامع الأزهر الشريف وتمكن من دراسة المذهب المالكى، وتوفى سنة ١٣٥٢هـ وخديجة بجوار مسجده بشارع العمرى بحى راغب.

الشيخ إبراهيم عبد الباعث :

وقد ولد بدسوق محافظة كفر الشيخ، وحفظ القرآن الكريم صغيراً، ثم رحل إلى الإسكندرية، وتولى نشر الطريقة الشاذلية بالإسكندرية بعد وفاة شيخه الشاذلى. ومن مؤلفاته: تحفة الأبرار فى مولد النبى المختار، وتثوير المقياس فى ذكرى أبو العباس. توفى سنة ١٣٩٠هـ بحى غبريال.

السيد إبراهيم حلمى القادرى :

إنه السيد إبراهيم حلمي القادرى، ولد ١٣٢٢هـ بالإسكندرية، ومن مؤلفاته:

السيد والسلوك إلى ملك الملوك، جلال الحق فى كشف أحوال شرار الخلق، وكان مشهوراً بالشعر فى مدح المصطفى ﷺ . توفى ١٣٩٠هـ، وضريحه بمسجده الذى بناه بالسيوف البحرية بالإسكندرية وهناك بعض الجوامع والأضرحة لم يستدل الباحثون على أصحابها، وعلى سيرتهم الذاتية.

بعض المراجع والمخطوطات

- اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا

– صورة شمسية بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية .

- النويرى (محمد بن القاسم السكندرى)

– مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقم ٢/٣٩ .

- رسالة فى فضل ثغر الإسكندرية

– مخطوطة بمكتبة الجامع الأزهر رقم ١٣٧٤ .

- د. جمال الدين الشيال

– تاريخ مصر الإسلامية

– الجزء الأول ، دار المعارف (٢٠٠٧) .

- د. جمال الدين الشيال

– تاريخ مدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى . دار المعارف (٢٠٠٠) .

- د. جمال الدين الشيال

– معاهد العلم فى الشرق الأدنى العربى فى القرنين السادس والسابع .

– (مخطوطة لم تطبع بعد) موجودة فى مكتبة كلية الآداب عين شمس .

- الشيخ أحمد حمزة

– مقامات سيدى أبى القاسم بن منصور الإسكندرى المعروف بالقبارى .

– المتوفى سنة ٦٢٢ هـ (ترجمة موجزة للشيخ القبارى) .

– مخطوطة بمكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ١٦٨٥ .

● ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد الحنفى)

– بدائع الزهور فى وقائع الدهور – ٤ أجزاء .

● مهذب رحلة ابن بطوطة جزءان . نشر أحمد العوامرى .

– ومحمد أحمد جاد المولى . القاهرة ١٩٣٣ .

● ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . ظهر منه ١٢ جزءاً .

– مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩ ، ١٩٥٦ .

● تاريخ الإسكندرية عبر العصور (أساتذة الجامعة) محافظة الإسكندرية ، المحافظ محمد خيرى عاشور .

● تاريخ الإسكندرية نشأتها وحضارتها منذ أقدم العصور – مجموعة من الأساتذة والكتابة ، المحافظ محمد عبد السلام الموري .

● الدكتور حسن إبراهيم حسن

– عبيد الله المهدى – بالاشتراك مع الدكتور طه شرف . القاهرة ١٩٤٧ .

● الفاطميون فى مصر . القاهرة ١٩٣٢

● الدكتور عبد اللطيف حمزة

– تاريخ الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول – القاهرة ١٩٤٧ .

● ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن حسن

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣ أجزاء – القاهرة) .

● عبد الرحمن الرافعى

– تاريخ الحركة القومية – الجزء الأول – القاهرة ١٩٢٩م .

– عصر محمد على – القاهرة ١٩٣٠ .

● أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى
– طبقات الشافعية الكبرى ، ٦ أجزاء .
● حسن السندوجى
– أبو العباس المرسى ومسجده الجامع بالإسكندرية – القاهرة ١٩٤٤
● جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .
– حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، جزءان .
● الدكتور جمال الدين الشيال
– مجمل تاريخ دمياط ١٩٤٩ .
● الأمير عمر طوسون
– أديرة وادى النطرون – الإسكندرية ١٩٣٢ .
– خليج الإسكندرية وترعة المحمودية – الإسكندرية ١٩٤٢ .
● حسن عبد الوهاب
– تاريخ المساجد الأثرية – جزءان – القاهرة ١٩٤٦م .
● فؤاد فرج
– الإسكندرية – مطبعة المعارف بالقاهرة ١٩٤٢ .
● الدكتور كلوت بك
– لمحة عامة إلى مصر والترجمة العربية لمحمد مسعود (جزءان) .
● على باشا مبارك
– الخطط التوفيقية الجديدة (٢٠ جزءاً – القاهرة (١٣٠٤هـ – ١٣٠٦هـ) .
● آدم متز
– الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى .
– جزءان – ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة – ط٢ – ١٩٤٨م .

● محمد بك مسعود

– المنحة الدهرية فى تخطيط الإسكندرية – الإسكندرية – ١٣٠٨هـ .

● تقى الدين أحمد بن على

– ألفاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا – نشر الدكتور جمال الدين الشيال – القاهرة (١٩٣٤ – ١٩٥٨م) .

● موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر الإسلامية)

– أ. د. سيدة إسماعيل الكاشف – (تاريخ المصريين – هيئة الكتاب – ١٩٩٢) .

– أ. د. جمال الدين سرور .

– أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

● مدرسة الإسكندرية وإشكالية الثقافة العربية – عالم الكتب ٢٠٠٢ .

– د. فريال حسن خليفة .

● مجلة (أمواج) صدر فى الإسكندرية – رئيس التحرير : فتحى الإبيارى ١٩٨٦

● فنانو الإسكندية – فكرى بطرس . الدار القومية ١٩٦٤

● سعيد حامد الصدر

– أحمد عثمان – هيئة الكتاب ١٩٨٥ .

● عز الدين نجيب

– محمد عويس – هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٣ .

● د. حسن حبشى

– تاريخ العالم الإسلامى – هيئة الكتاب – تاريخ المصريين (٢٢٨) .

● چون مارلو

– العصر الذهبى للإسكندرية – ترجمة نسيم مجلى – المشروع القومى للترجمة – المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٢ .

● د. سيد إسماعيل الكاشف

- مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية - سلسلة تاريخ المصريين (٨٢) ١٩٩٤ .

● نقولا يوسف

- أعلام من الإسكندرية - الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢م .

● ابن الأثير

- الكامل فى التاريخ - (١٨٦٦م - ١٨٧٤م) .

- أسد الغابة فى معرفة أصحابه (٥ أجزاء) القاهرة ١٢٨٥ - ١٢٨٦هـ .

- تاريخ دولة الأتابكة .

● أحمد أمين

- فجر الإسلام جـ١ - القاهرة ١٩٢٨م .

- فجر الإسلام جـ٢ - القاهرة ١٩٣٦م .

- ظهر الإسلام جـ١ - القاهرة ١٩٤٥م .

● إلياس الأيوبى

- تاريخ مصر الإسلامية جـ١ - القاهرة ١٩٣٢م .

● أبو البركات محمد بن أحمد (ابن إياس)

- كتاب تاريخ مصر - المعروف باسم بدائع الزهور فى وقائع الدهور .

- ٣ أجزاء - بولاق - ١٣١٢هـ - ١٨٩٤م .

● البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن تميز بن محفوظ المويني)

- سيرة أحمد بن طولون - حققها وعلق عليها - مركز على - ١٣٥٨هـ .

● ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف)

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - حـ١ ، حـ٢ [دار الكتب المصرية ١٩٢٩ - ١٩٥٦م] .

● أبو على الحسن بن أبى القاسم (التنوخى)

– الفرج بعد الشدة – القاهرة ١٣٥٧هـ .

● أحمد تيمور باشا

– نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الأربعة – القاهرة ١٣٥١هـ .

● الدكتور حسن إبراهيم حسن

– تاريخ عمرو بن العاص – القاهرة ١٩٢٦م .

– تاريخ الإسلام السياسى – القاهره ١٩٣٥ – القاهرة ١٩٤٦ .

– عبيد الله المهدى أيام الشيعة الإسماعيلية .

– ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب (بالاشتراك مع طه شرف) القاهرة – ١٩٤٧م .

– الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص – القاهرة ١٩٣٢م .

– النظم الإسلامية (بالاشتراك مع الدكتور على إبراهيم حسن – القاهرة ١٩٣٩م .

● الدكتور زكى محمد حسن

– فى مصر الإسلامية ، مع عبد الرحمن زكى وآخرين – القاهرة ١٩٣٣م .

– مصر والحضارة الإسلامية – القاهرة ١٩٤١م .

– دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى – مجلة الآداب . المجلد ١٢ – جـ١ – مايو ١٩٥٠م .

● الدكتور محمد كامل حسين

– فى الأدب المصرى الإسلامى من الفتح الإسلامى إلى دخول الفاطميين – القاهرة ١٩٣٩ .

– فى آداب مصر الفاطمية – القاهرة ١٩٥٠ .

● أبو حنيفة أحمد بن يوسف (ابن الداية)

– سيرة أحمد بن طولون – ١٨٩٤م .

● شوقى بدر يوسف

– ببليوجرافيا الرواية فى إقليم غرب ووسط الدلتا – هيئة قصور الثقافة – ١٩٧٧ .

● د. عاطف العراقى

– يوسف كريم – مفكراً عربياً ومؤرخاً للفلسفة – المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٨ .

● د. عبد العزيز سالم

– تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى حتى الفتح العثمانى – ١٩٦١ .

● دائرة المعارف الإسلامية

– تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور – أساتذة جامعة الإسكندرية ١٩٦٣

– شعراء الإسكندرية فى العصور الإسلامية – عبد العليم القبانى ١٩٦٤

– أعلام الإسكندرية فى العصور الإسلامية – د. جمال الدين الشيال ١٩٦٣

– الأدب الإسكندرى فى العصرين الفاطمى والأيوبى – أحمد النجار ١٩٦٨

● د. محمد أحمد خلف

– عبد الله النديم ومذكراته السياسية ١٩٥٦

● أحمد حسن الزيات

– تاريخ الأدب العربى ١٩٥٢

– جورجى زيدان – جزءان ١٩٠٣

● فيليب طرازى

– تاريخ الصحافة العربية ١٩٣٣

● د. إبراهيم عبده

– تطور الصحافة المصرية ط٣ ١٩٥١ .

- د. عبد اللطيف حمزة

– أدب المقالة الصحفية فى مصر ١٩٤٢ .

- فتحى الإبيارى

– الإسكندرية معصرة الحب الكبرى .

– حوار مع الكاتب الإنجليزى العالمى لورنس داريل – مجلة عالم القصة ١٩٩٨ .

– صاحب رباعية الإسكندرية ومجلة أكتوبر ١٩٩٨ .

- الإسكندرية .. روعة وعطاء (الزمان + المكان + الإنسان)

– أ. د. عبد الفتاح غنيمة – أ. د. حسين الشيخ .

– اللواء حازم أبو شليب – محافظة الإسكندرية، ٢٠٠٢ .

- صديق شيبوب – معارك الإسكندرية – الوكالة العربية، ١٩٦٢.

– تاريخ البحرية الإسلامية – د. أحمد مختار العبادى – د. السيد عبد العزيز سالم .

- شوقى بدر يوسف

– ببليوجرافيا الرواية فى إقليم غرب ووسط الدلتا . هيئة قصور الثقافة، ١٩٧٧.

- د. عاطف العراقى

– يوسف كرم .. مفكرًا عربيًا ومؤرخًا للفلسفة – المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٨٨.

- د. على سامى النشار ... نشأة الفكر الإسلامى .

- د. عبد العزيز سالم

– تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى حتى الفتح العثمانى، ١٩٦١.

– الإسكندرية الحكم المحلى فى الإسكندرية – محافظة الإسكندرية (١٩٦١ – ١٩٦٤).

- دائرة المعارف الإسلامية

– تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور ، أساتذة جامعة الإسكندرية، ١٩٦٣.

– شعراء الإسكندرية فى العصور الإسلامية . عبد العليم القبانى، ١٩٦٤.
– أعلام الإسكندرية فى العصور الإسلامى . د. جمال الدين الشيال ١٩٦٣.
– أدب الإسكندرية فى العصرين الفاطمى والأيوبى – أحمد النجار ١٩٦٨.

● د. محمد أحمد خلف

– عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، ١٩٥٦.
– ديوان البوصيرى .. تحقيق من سيعد كيلانى . نشر مصطفى الحلبى

● أحمد حسن الزيات، ١٩٥٢

– تاريخ الأدب العربى ١٩٠٣
– جورجى زيدان . جزآن

● فيليب طرازى

– تاريخ الصحافة العربية، ١٩٣٣

● د. إبراهيم عبده

– تطور الصحافة المصرية ط٣، ١٩٥١

● د. عبد اللطيف حمزة

– أدب المقالة الصحفية فى مصر، ١٩٤٢

● محمد محمود زيتون

– القبارى .. زاهد الإسكندرية . دار المعارف ١٩٦٨
– أبو العباس المرسى . هيئة الفنون و الآداب ١٩٦٥
– الإسكندرية .. الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٨٥
– عروس الإسكندرية .. والفرسان الثلاثة شكران زكى الساعى ١٩٦٣
– قبسات تاريخية عن أولياء الإسكندرية .. الشيخ محمد أبو الخير .

بعض المراجع الأجنبية

Becker (C.H)

- Art Egypt. the Encyclopedia of Islam vol. l. Leydem 1913.

Armold (Th.)

- The preahing of Islam - Lomdon - 1935

- The Islamic Book, by the Arnold an A grohman London, 1929.

Asaf A. A. Fyzer

- Mateials for an Islamic Ismaili bibliography. vol, 11-1995.

Brockelman (Cari)

- History of Islamic Peoples - London 1949.

تمت ترجمته بعنوان "تاريخ الشعوب الإسلامية، للدكتور أمين فارس، ومنير بعلبكي. (دار العلم - ١٩٤٨م - ١٩٤٩م) .

Butler (Alfred J)

– The Arab Conquest of Egypt. Oxford. 1902.

قام بتعريبه الأستاذ محمد فريد أبو حديد بعنوان "فتح العرب لمصر".

Islamic pottery - London, 1929.

Faris (N.A.)

The Arab Heritage - Princeton - 1944.

Ivanow (W.)

– The Rise of Fatimils (Bombay, 1942).

Levy (R)

– An Introduction of the Sociology of Islam vols 2 London 1931-1933.

Lewis (Bernard)

– The Arabs in History - London 1950.

ترجمه إلى العربية الأستاذ/ نبيه أمين فارس، والأستاذ محمود يوسف زايد – بيروت ١٩٤٥م.

Nicholson (R.L)

- Studies in Islamic Myslicism.

وقد قام بتدريسه الأستاذ الدكتور أبو العلا عفيفى ، لطلبة قسم الفلسفة بآداب الإسكندرية ، وكنت مع هؤلاء الطلبة ، واستمتعت بهذه الدراسات. وكان عنوان الكتاب "فى التصوف الإسلامى وتاريخه"، وكان ذلك فى عام ١٩٥٢ . وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٤٧ .

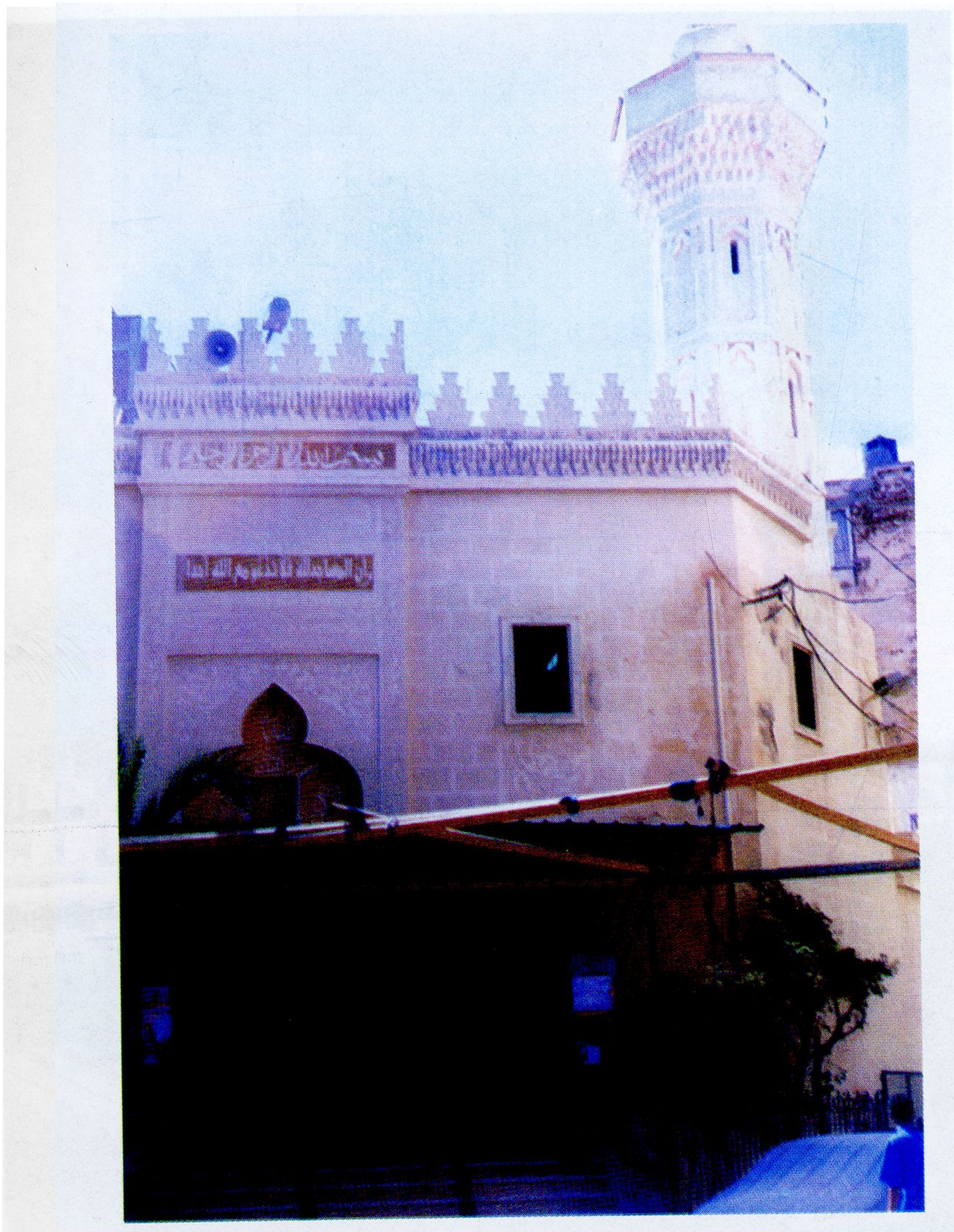
Ross (E. Denisom)

- The Art of Egypt through the Ages. London 193.

ملحق الصور



جامع سيدى أبو العباس المرسى



مسجد ومقام العارف بالله سيدى عبد الرحمن بن هرمز
بشارع رأس التين.. وهو أول جامع أتلقى فيه
علوم القرآن وحفظ القرآن الكريم
تصوير: ف - الإبيارى



مقام العارف بالله سيدى محمد العدوى – شارع الترسانة بحى الجمرك

تصوير: ف – الإبيارى



مسجد برثقيش .. بشارع الشمرلى

تصوير: ف – الإبيارى



سيدى عبد الله المغاورى بحى الجمرك - من الجوامع الشهيرة
تصوير: ف - الإبيارى



الميناء الشرقى - أبو العباس المرسى



ش إسماعيل صبرى باشا : أشهر شوارع حى بحرى
الذى يضم العديد من الجوامع والأضرحة الشهيرة
تصوير : ف - الإبيارى



مسجد العارف بالله سيدى محمد سليمان الشهير بالعطار

تصوير: ف - الإبيارى



مسجد العارف بالله سيدى محمد المتولى.. طريق الحرية
تصوير: ف - الإبيارى



مقام سيدى .. «أبو الدرداء» بشارع أبو الدرداء
بجوار مبنى محافظة الإسكندرية القديمة
تصوير: ف - الإبيارى



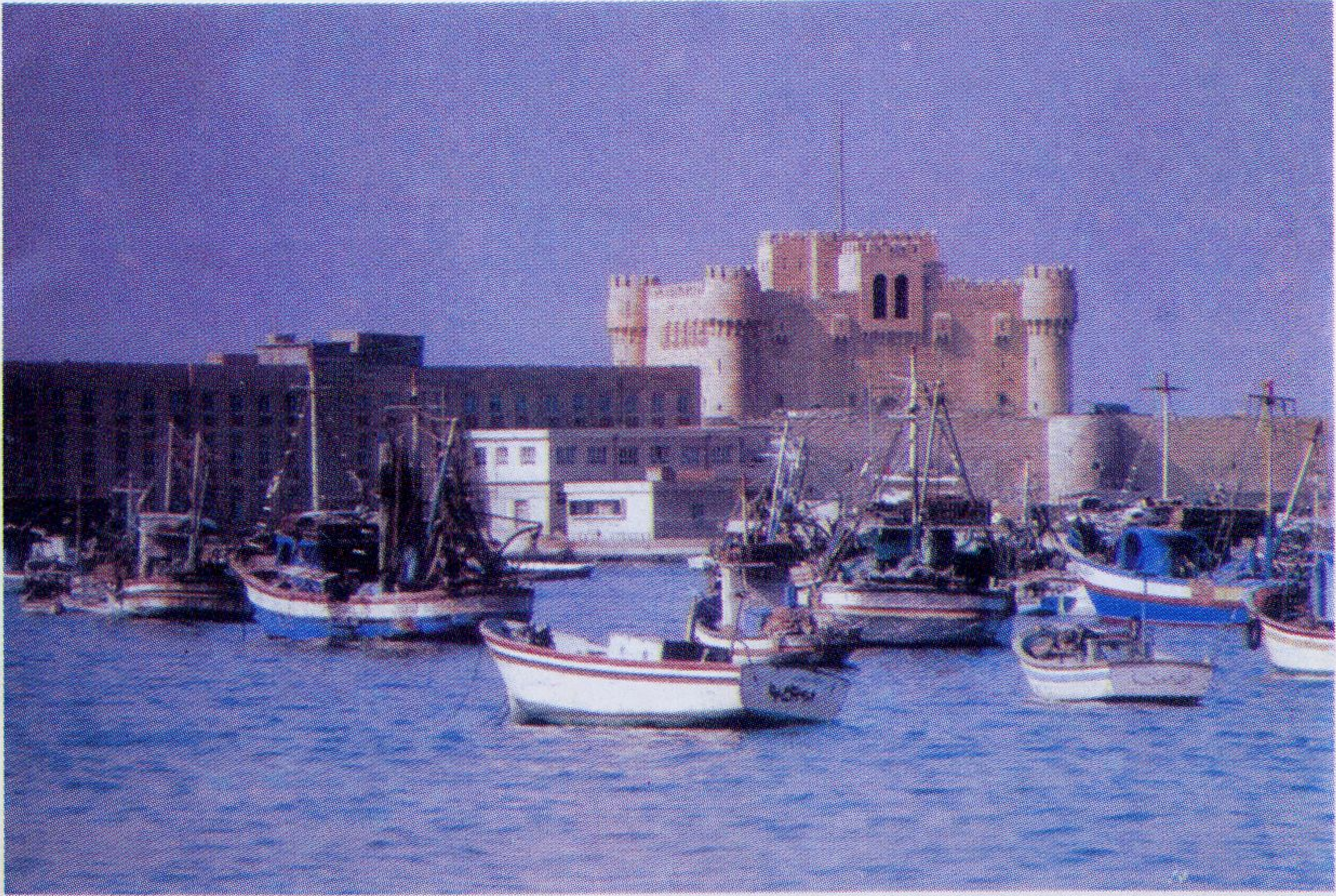
مسجد العارف بالله سيدى عبد الرازق الوفائى.. بشارع النبى دانيال
تصوير: ف - الإبيارى



مقام العارف بالله سيدى شحاته.. بوكالة الليمون بشارع الميدان
تصوير: ف - الإبيارى



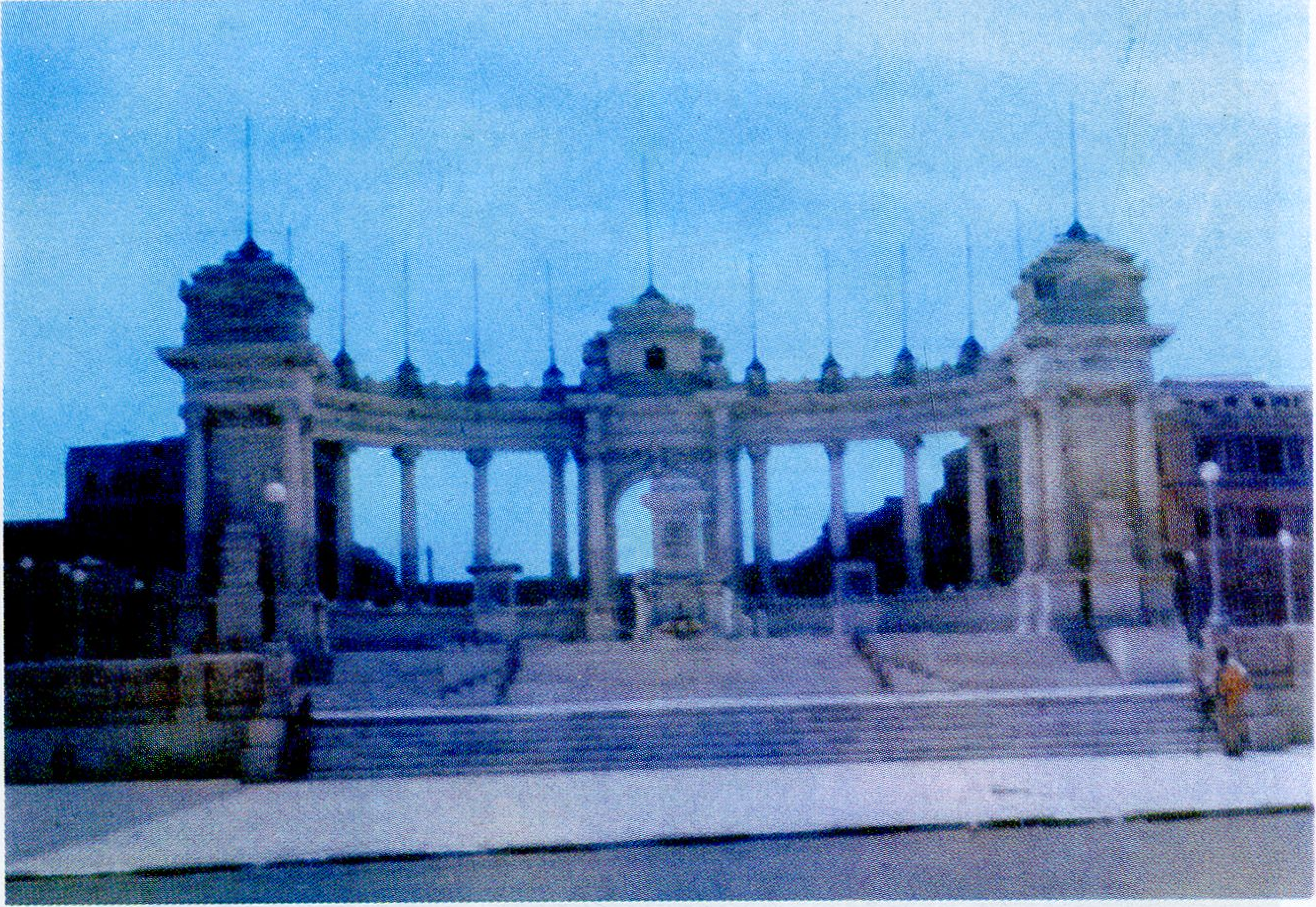
مسجد العارف بالله النبى دانيال – بشارع النبى دانيال
تصوير: ف – الإبيارى



قلعـة قـايتبـاى



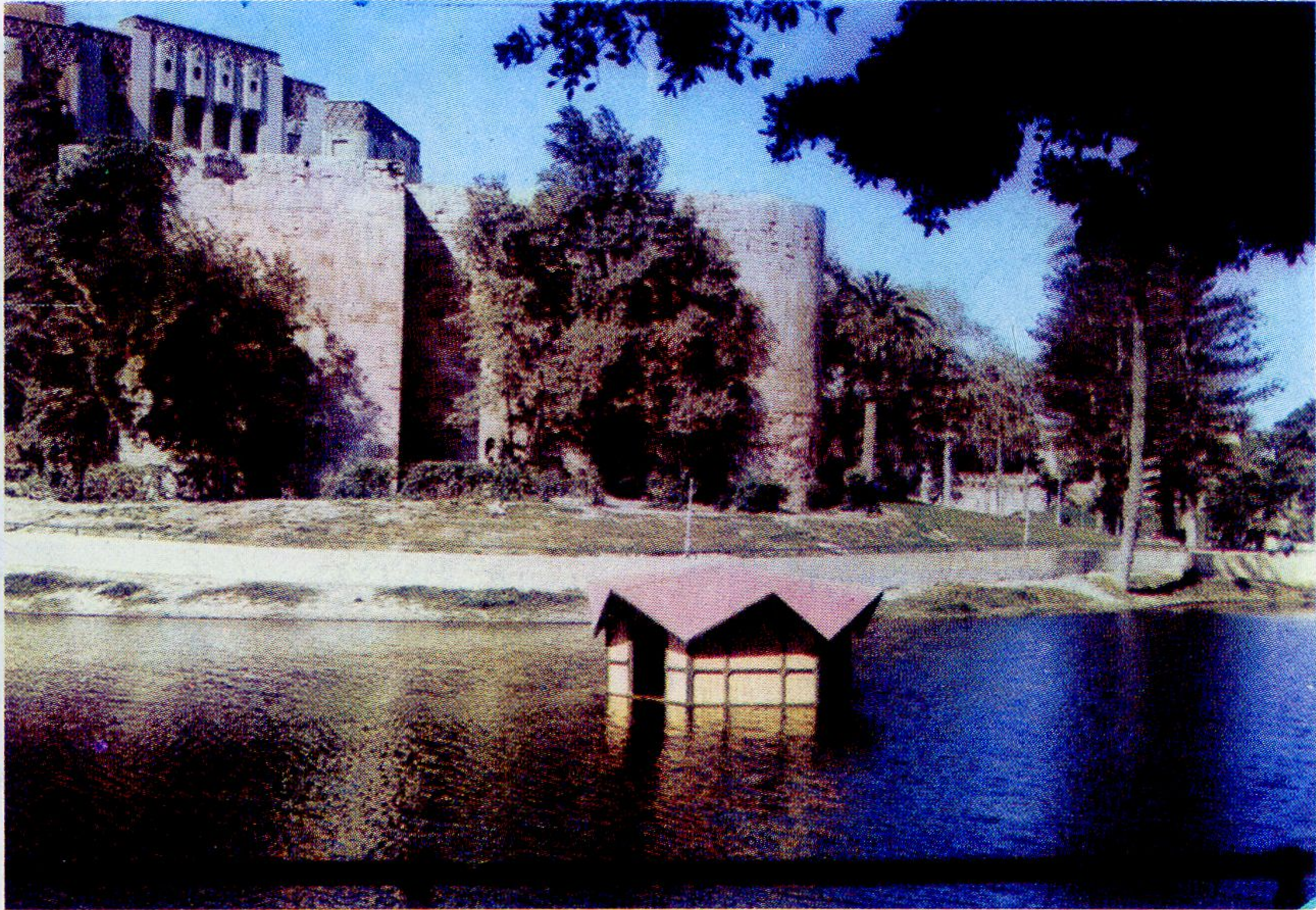
ميدان سعد زغلول بمحطة الرمل



الجندى المجهول (نصب شهداء البحرية)



المسرح الرومانى بالإسكندرية



حـدائق الشــلالات

السيرة الذاتية :

- ولد الأديب والصحفي والكاتب الإسلامي في ٣ أغسطس عام ١٩٣٤ بالإسكندرية .
- تلقى تعليمه بمدرسة رأس التين الإبتدائية ، ثم مدسة العباسية الثانوية ، وتخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية ١٩٥٨ .
- نال درجة الماجستير بامتياز . وكان موضوعها "الرأى العام والصحافة الإقليمية وأثرها في التنظيم السياسي . عام ١٩٦٨ . باشراف الدكتور محمد عبد المعز نصر أستاذ الفلسفة وعميد كلية الآداب . ومناقشة الصحفي الكبير محمد زكي عبد القادر رئيس تحرير الأخبار .
- دراسات عليا في الآثار الإسلامية بكلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٨٠ .
- درس اللغة الإنجليزية ، والفرنسية ، واللاتينية ، والتركية ، والعبرية ، والألمانية .
- متزوج . وله ابن هو "حسن" بكالوريوس تجارة . وابنة أماني مذيعة بصوت العرب . ومحمد ، وآيات بالمعهد الأزهري .

سيرة إبداعية وذاتية

فتحى الإبيارى

فى الفكر الإسلامى :

- السيدة نفيسة رضى الله عنها [٦ طبعات لوجه الله] من ١٩٨٩ حتى ٢٠٠٠ .
- فى ضيافة الرحمن دار الصفوة [لوجه الله] ١٩٩٢ .
- موسوعة المحمديات هيئة الكتاب ج١ وج٢ ٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩ ، ج١ (١٩٩٤) ، ج٢ (١٩٩٥) ، ج٣ (١٩٩٥) ، ج٤ (١٩٩٦) ، ج٥ (١٩٩٦) ، ج٦ تحت الطبع .
- محمد (ﷺ) ، ط١ ، ط٢ ، ط٣ . هيئة قصور الثقافة (٢٠٠١/٩٩/٩٨) .
- الطبعة الرابعة – الدار المصرية اللبنانية (٢٠٠٣) .
- حول المحمديات : بأقلام الكتاب المفكرين (أمواج) ٢٠٠٤ .
- أذيعت حلقات المحمديات (٣٢٠ حلقة) فى البرنامج العام منذ عام ١٩٩٤ .
- قام بأدائها كبار الممثلين والممثلات . وأذاعتها ٧ سبع دول عربية خلال شهور رمضان الكريم .
- محمديات : مواقف من السيرة النبوية الشريفة . لحظات نورانية ومواقف إيمانية (أمواج) سنة ٢٠٠١ أذيعت هذه الحلقات مسلسلة فى شهر رمضان بإذاعة الشرق الأوسط .
- ينابيع الحب فى سيرة سيد الخلق ﷺ (أمواج) [لوجه الله] ٢٠٠٢ . أذيعت هذه الحلقات مسلسلة فى شهر رمضان بإذاعة الشرق الأوسط .

الموسوعة المحمدية :

- رؤية علمية معاصرة لأحداث سيرة نبع الحب فى الوجود ، سيدنا محمد ﷺ وتصحيح ما رواه المؤرخون ، ومواجهة مؤامرات اليهود والمنافقين والموتورين عبر التاريخ (أمواج) إبداع ٢٠٠٥ حتى الآن بعون من الله سبحانه وتعالى .

- نور الإسلام .. ومؤامرات الموتورين .

- مع أعضاء لجنة السيرة والتاريخ بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لوجه الله) ٢٠٠٣ .

- دراسات عليا فى الآثار الإسلامية بكلية الآثار بجامعة القاهرة عام ١٩٨٠ ونال درجة الإمتياز عن بحثه "جامع السلطان حسن درة العمارة الإسلامية . وقد نشر فى كتاب "المستقبل" عام ١٩٩٥ .

- أصدر الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف قراراً بتعيينه عضواً بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ٢٠٠٢ تقديراً لجهوده فى الفكر الإسلامى ، وسيرة الرسول سيدنا محمد (ﷺ) . وتعيينه بمجلس إدارة مسجد ومركز النور بالعباسية ، وهو من أكبر مساجد القاهرة . وانتخبه أعضاء مجلس الإدارة أمينا عاما للمسجد .

- تبرع بثلاثة آلاف كتاب من مكتبته لمسجد النور لوجه الله فى مختلف فروع الثقافة الدينية والعلمية ، والفكرية ، والسياسية ، والصحفية ، والأدبية وغيرها .

- أكرمه الله سبحانه وتعالى بأداء فريضة الحج مرتين ١٩٨٥ ، ٢٠٠٤ والعمرة ٢٣ مرة .

- يغذى بمقالاته الإسلامية مجلة منبر الإسلام منذ عشرين عاما ، وجريدة "صوت الأزهر" و "اللواء الإسلامى" . وغيرها لوجه الله .

- يعكف على إعداد سلسلة كتب الصحوة "دفاعًا عن الإسلام والرسول الكريم ﷺ ، وكتاب "نحو المستقبل" "ملقيا الأضواء على حال المسلمين الآن من الضياع والتفكك والإنهيار إلى كيفية استعادة المسلمين والعرب لقوتهم وأداء رسالتهم فى المستقبل القريب..!!

- طيف لا يغيب فى قلب الحبيب المصطفى ﷺ (أمواج) ٢٠٠٨ .

- القرآن الكريم هدية الله لإنقاذ الإنسان .. لماذا ؟ - تحت الطبع .

المراجعة اللغوية : آمال الديب
الإشراف الفنى : نسرين كشك

المجلس الأعلى للثقافة

هذا هو الجزء الثالث من موسوعة "منارة الثقافة الإسكندرية" وفيه ملف عن "الإسكندرية عاصمة الثقافة الإسلامية عام ٢٠٠٨" . يلقى الأضواء على تاريخ مدينة من أهم وأكبر المدن العربية الإسلامية التى لعبت دورًا كبيرًا فى تاريخنا القومى ، فكانت ثغرًا ورباطًا ، وكانت مركز نشاط حربى واقتصادى كبير، ومركز إشعاع ثقافى وحضارى أكبر خلال العصر الإسلامى ، فهى وإن كانت قد تنازلت عن مكانتها التى كانت تشغلها فى العصرين اليونانى والرومانى كعاصمة أولى لمصر ، فإنها لم تفقد هذه المكانة عندما أصبحت عاصمة مصر الثانية فى العصر الإسلامى . ولم يكن الدور الذى لعبته فى العصر الإسلامى فى ميادين الحرب والبحرية والتجارة والاقتصاد والفكر والثقافة أقل شأنًا من الدور الذى لعبته فى هذه الميادين فى عصورها القديمة .

